افتتاحية العـــدد



■ إبراهيم بن موسى الحميد

يتجدد مفهوم الوقت والزمن، وتثور التساؤلات حول حركة الوقت وعوامل الزمن، وتشغل حركة الأيام وصيرورتها ومفهوم الزمن الفلاسفة والكتّاب والشعراء والمبدعين، فرأى بعضهم أن كل وقت له بداية ونهاية، وقبلهم يأتي القرآن الكريم محرضًا الإنسان على العناية بالوقت وعدم التفريط به، إذ أعطى أهمية بالغة للزمن، لاستغلال كل لحظة زمنية في أوقاتنا، بما يعود على الإنسان ومحيطه بالخير والسلام حياة وعاقبة؛ إذ لا يهم في الحياة طول زمنها.. بل ما نفعله فيها، فأقسم الله جلّ وعلا في مواضع عديدة من القرآن الكريم بالفجر، والضحى، والعصر، والليل، والنهار.. وقد ارتبطت معظم العبادات في الدين الإسلامي بمواعيد زمنية محددة وثابتة كالصلاة، والصيام، والحج، وحيث تستشهد الدكتورة هويدا صالح بمقولة الباحث حامد أبو طالب "تبدأ صناعة الحضارة من حرص أفرادها على احترام الوقت كقيمة حضارية، وجاء الإسلام مدركًا لهذه الحقيقة..".

وإذ "يرتكز مفهوم الزمن في القرآن الكريم على أسس هي بمثابة المسلّمات التي ينطلق منها وعي المسلم، وأول هذه المسلّمات أنّ الله تعالى لا يتزمّن بشيء ولا يحيطه شيء، ويحيط هو بالكائنات جميعًا، التي هي بالضرورة (خاضعة للزمن) ..".

وفي مجال الكتابة الإبداعية، يختلف مفهوم الزمن لدى الكتّاب والمبدعين: فمن الكتّاب من يعني له الزمن/ التجديد والاستمرارية، ومنهم من يعني له التوقف على حالة معينة لا يتجاوزها. وفي الفنون يتأكد ارتباط حركتها بعامل الوقت، إذ يرى الباحث خالد ربيع السيد أن الفنون زمانية ومكانية، لا يمكن إغفال عامل الوقت فيها؛ ومن هنا، يتضح أن ما يتحقق من القيم الجمالية في الفن، سواء قديمًا أم حديثًا، يعتمد على قيمة الزمن، أو الوقت وحسن استثماره في التعليم والعمل.

وقد شغلت مفردة الزمن العرب في أكثر من موضع وسؤال؛ منها: أزمن وأزمان وأزمنة وزمان، كما يقول الباحث محمد العامري؛ ولكنه يلفت الانتباه إلى أن إضافة الألف لها



دلالة على امتداده المطلق، والمطلق خاصية من خصائص ربّ الكون وحده (جل علاه) يتفرد بها ولا يشاركه أحد بذلك.

في جانب آخر، نجد أن الزمن الدائري يتمثّل عديدًا من ألوان السلوك الإنساني: مثلًا الزخرفة، وهي ترددات لوحدات بصرية تتكرر بتشابهها مالا نهاية، كما أن للزمن تمظهراته في الشعر والسرد، إذ لكل رواية زمنها الخاص المرتبط غالبًا بالمكان.

وقد شكّل الزمن والوقت أهمية بالغة في الفكر والفلسفة؛ بل إنه شكّل أهم معضّلات الفلسفة عبر تاريخها الطويل، من طلائع فلسفة اليونان مرورًا بالفلاسفة المسلمين، وصولًا إلى الفلسفة الحديثة كما يقول د. توفيق زهير، إذ يتساءل عن الزمن ومعنى الوجود: أفلاطون، وأفلوطين، هيراقليدس، وزينون الإيلي، وأرسطو، وديكارت، وكانط، وبرجسون، وابن سينا، والغزالي، وابن رشد .

وإذا كان الزمن قد شغل الفلاسفة والشعراء، فإن فلسفة الزمن وعشبة الخلود قد تمثلت في ملحمة جلجامش السومرية؛ كما يقول د. احمد ماضي، حيث الوجود حسب مارتن هايدجر، هو حركة الزمن فينا، التي تقودنا قدمًا نحو العدم/المستقبل، وحيث الزمن أفق كل فهم للوجود وتفسيره.

ولم تقف جدلية الزمن والوقت عند الفلاسفة والمفكرين، بل تعدتهم لتكون ثيمةٌ عند الشعراء كما يقول د. راشد عيسى.. من طرفة بن العبد، وامرئ القيس، وقيس بن الملوّح، والمتنبي.. إلى الخيام وترجمات أحمد رامي، وأحمد شوقي، والهادي آدم، و محمود درويش.

ويرى معظم النقاد والروائيين والباحثين أن الرواية الجديدة ورواية ما بعد الحداثة قد دمرتا الأزمنة ومزقتها، كما تقول الدكتورة هناء البواب، حيث التلاعب بالزمن بعد أن كانت الرواية التقليدية تخضع للتسلسل الزمني المحافظ بإطار متين من الزمن.. ومن استعراضٍ لكيفية كتابة المبدع أسطورته السردية، حيث الكتابات المسمارية التي استخدمها السومريون والأشوريون، والكتابة الهيروغليفية في مصر الفرعونية، وكلها كتابات تصويرية، وانتقال الإنسان إلى الكتابة بالأحرف التعبيرية من أوجاريت إلى الكتابة بالأحرف العربية، يرى الباحث د. منتصر الخفاجي أن هذا يُظهر أن الزمن لا علاقة له أن يكون الأساس في الكتابة، بل على العكس الكتابة هي التي تحرك الزمن..

وإذا كان الزمن واحدٌ من الإشكاليات التي واجهت الفكر الديني والعلمي والفلسفي، فإن الممارسة العملية للمفكرين المسلمين تجلت في بحث مشكلة الزمن في وعي الإنسان، انطلاقًا من حثّ القرآن الكريم "أفلا تعقلون" كما يرى محمد سلام جميعان، ولم يقف الفلاسفة المسلمون عند المعنى المجرد للزمن، بل ربطوه بالعلة والمعلول ومذاهب قراءاتهم التي خرجوا بها.

"يقول الناس الزمن ينقضي، لكن وآسفاه، الزمن باقٍ، نحن من سنغادر". New Philosopher Arabia
هنري أوستن دوبسون.



محطة سكاكا للطاقة الشمسية لسبعة مشروعات جديدة[1]

الكهرباء من الطاقة الشمسية وتوقيع جديدة، يأتيان تنفيذًا لتوجيهات خادم تنمية اقتصاد المملكة وفق رؤية ٢٠٣٠

وكان صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز، ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع، رئيس اللجنة العليا لشؤون مزيج الطاقة لإنتاج الكهرباء وتمكين قطاع الطاقة المتجددة، قد صرّح أن افتتاح مشروع محطة سكاكا لإنتاج الكهرباء من الطاقة الشمسية وتوقيع اتفاقيات شراء الطاقة لسبعة مشروعات جديدة، يأتيان تنفيذًا لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود -حفظه الله- بالعمل على تنمية اقتصاد المملكة العربية السعودية، وفق رؤية ٢٠٣٠، وما يندرج تحتها من مبادرات في قطاع الطاقة المتجددة.

وقال سموه: «لقد تم خلال الأسابيع الماضية



ولي العهد الأمير محمد بن سلمان

الإعلان عن مبادرتين، هما: «مبادرة السعودية الخضراء» و«مبادرة الشرق الأوسط الأخضر»، ما يؤكد حرص المملكة بوصفها منتجًا عالميًا رئيسًا ورائدًا للبترول، تدرك تمامًا نصيبها من المسؤولية في دفع عجلة مكافحة تغيّر المناخ، واستمرارًا لدور المملكة الريادي في استقرار أسواق الطاقة، ستواصل هذا الدور لتحقيق

الريادة في مجال الطاقة المتجددة».

وأضاف سموه: «هذه المناسبة تعبّر عن عزمنا على أن نكون روادًا في جميع قطاعات الطاقة، وقد سعينا لتحقيق المزيج الأمثل منها، وتعزيز كفاءة إنتاجها واستهلاكها؛ إذ

تدشين محطة سكاكا للطاقة الشمسية الكهروضوئية منعطفٌ تاريخي في مسيرة الخطط المتواصلة لتطوير قطاع الطاقة الوطني وتنويع مصادره ورفع كفاءته

محطة سكاكا أول محطة للطاقة المتجددة في المملكة

نشهد اليوم إطلاق مشروع محطة سكاكا لإنتاج الكهرباء من الطاقة الشمسية وتشغيله، وهي تمثل أولى خطواتنا لاستغلال الطاقة المتجددة في المملكة، وفي القريب العاجل سيكتمل إنشاء مشروع محطة دومة الجندل لإنتاج الكهرباء من طاقة الرياح».

وتابع سموه قائلًا: «نشهد اليوم توقيع اتفاقيات لسبعة مشروعات جديدة لإنتاج الكهرباء من الطاقة الشمسية في مناطق مختلفة من المملكة، وستصل الطاقة الإنتاجية لهذه المشروعات، إضافة إلى مشروعي سكاكا ودومة الجندل، إلى أكثر من (٣٦٠٠) ميجاوات، كما أنها ستوفر الطاقة الكهربائية لأكثر من (٦٠٠) ألف وحدة سكنية، وستخفض أكثر من سبعة ملايين طن من الانبعاثات المسببة للاحتباس الحراري، وقد حقق بعض هذه المشروعات أرقامًا قياسيةً جديدة تمثلت في تسجيل أقل تكلفة لشراء الكهرباء المنتجة من الطاقة الشمسية في العالم. وستتبع هذه المشروعات بإذن الله مشروعات أخرى للطاقة المتجددة، في أنحاء العالم، سنعلن عنها في حينها».

وأكد سموه أن هذه المشروعات، وغيرها من مشروعات الطاقة المتجددة، التي يجري إنشاؤها في أنحاء المملكة، تمثل عناصر جوهرية في الخطط الرامية للوصول إلى مزيج الطاقة الأمثل لإنتاج الكهرباء، والتي تستهدف أن تصبح حصة كل من الغاز ومصادر الطاقة المتجددة في هذا المزيج نحو (٥٠٪) بحلول عام ٢٠٣٠م، وأن يحل الغاز والطاقة المتجددة محل نحو مليون برميل بترول مكافئ من الوقود

السائل يومياً، تستهلك وقوداً في إنتاج الكهرباء وتحلية المياه وفي القطاعات الأخرى، للوصول إلى المزيج الأمثل، والأعلى كفاءة، والأقل تكلفة، والأكثر إسهاماً في حماية البيئة والمحافظ عليها. وتجسد هذه المشروعات جهود المملكة الرامية إلى توطين قطاع الطاقة المتجددة، وتعزيز المحتوى المحلي فيه، وتمكين صناعة مكونات إنتاج الطاقة الشمسية وطاقة الرياح محلياً، لتصبح المملكة خلال الأعوام العشرة القادمة بإذن الله مركزاً عالمياً للطاقة التقليدية والمتجددة وتقنياتها.

واختتم سمو ولي العهد تصريحه، بالقول:

«إن مبادرتي «السعودية الخضراء» و«الشرق الأوسط الأخضر»، إضافة إلى المشروعات التي نشهد اليوم انطلاقتها، تمثل أجزاءً جوهرية من دورنا الريادي تجاه القضايا الدولية المشتركة، واستكمالاً للجهود التي بذلتها المملكة خلال فترة رئاستها مجموعة العشرين، والتي نتج عنها تبنّي المجموعة لمفهوم الاقتصاد الدائري للكربون، الذي يسهم في تسريع استعادة توازن انبعاث الغازات المسببة للاحتباس الحراري. وهكذا، فإن هذه المشروعات تعزز سجلنا في مجال الطاقة المتجددة، كما أنها تضاف إلى المكانة التي نتمتع بها في مجال الطاقة بشكل عام».

تصريح سمو وزير الطاقة

وفي تصريح لسمو وزير الطاقة بهذه المناسبة، نوّه صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سلمان بن عبدالعزيز بدعم خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله، وتوجيهاته السديدة في جميع المجالات التي تُحقق المنافع للوطن والمواطنين، كما ثمّن سموه دعم سمو ولي العهد قائلاً: «يجب عليّ التنويه بالدور القيادي الكبير الذي ينهض به صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز ولي العهد، حفظه الله، في تمكين قطاع الطاقة، من خلال قيادته اللجنة العليا لشؤون المواد الهيدروكربونية، واللجنة العليا لشؤون مزيج الطاقة لإنتاج الكهرباء، وتمكين قطاع الطاقة المتجددة، وتوجيهاته التي قادت



خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان



وزير الطاقة الأمير عبدالعزيز بن سلمان

يمثل افتتاح محطة سكاكا للطاقة الشمسية الكهروضوئية منعطفًا تاريخيًا في مسيرة تحول قطاع الطاقة بالمملكة لتصبح ركيزة لمشاريع الطاقة المتجددة المستقبلية



وزير الطاقة وأمير الجوف يشهدان توقيع اتفاقيات الطاقة للمشروعات الجديدة

إلى رفع مستوى طموحاتنا، إذ تُمثِّل هذه المشروعات تطبيقًا عمليًا، على أرض الواقع، لرؤية «المملكة ٢٠٣٠»، مما يُسهم في الوصول إلى مزيج الطاقة الأمثل، وتحوّل المملكة من استهلاك الوقود السائل إلى الغاز والطاقة المتجددة، الأمر الذي يجعلها علامات فارقة في مسيرة قطاع الطاقة».

وأوضح سموه أن المشروعات الجديدة تقع في المدينة المنورة، وسدير، والقريات، والشعيبة، وجدة، ورابغ، ورفحاء، ويبلغ إجمالي طاقة هذه المشروعات، إضافةً إلى مشروعي سكاكا ودومة الجندل، ٣٦٧٠ ميجاوات، كما أنها ستوفر الطاقة الكهربائية لأكثر من ٦٠٠ ألف وحدة سكنية، وستخفض أكثر من ٧ ملايين طن من الانبعاثات المسببة للاحتباس الحراري.

وأشار سمو الأمير عبدالعزيز بن سلمان إلى أن بعض هذه المشروعات حقق أرقامًا قياسية عالمية جديدة تمثلت في تسجيل أقل تكلفة لشراء الكهرباء المُنتجة من الطاقة الشمسية في العالم، إذ بلغت تكلفة شراء الكهرباء من مشروع الشعيبة ١,٠٤ سنتًا أمريكيًا لكل كيلو وات/ ساعة.

ونوّه سموه بدور القطاع الخاص في هذه المشاريع، الذي يُسهم بدورٍ جوهريٍ في مشروعات الطاقة المتجددة؛ إذ تم تطوير مشروع سكاكا، من قبل شركة أكواباور، وهي شركة وطنية رائدة في هذا المجال، يمتلك صندوق الاستثمارات العامة ٥٠٪ منها، وانتشرت مشروعاتها في العديد من دول العالم، وحققت إنجازات على مستوى توطين الوظائف، بوجود ٩٧٪ من فريق تشغيل محطة سكاكا من السعوديين، ٩٠٪ منهم من أبناء منطقة الجوف.

وأكد سمو وزير الطاقة أن أهمية مشروعات الطاقة المتجددة التي يُحتفل بها اليوم تكمن في أنها تُمثل خطوات عملية باتجاه تحقيق العديد من الأهداف الاستراتيجية لمستهدفات رؤية «المملكة ٢٠٣٠»، لمنظومة الطاقة ككل، وقطاع الكهرباء، بشكل خاص، مبينا أن استغلال مصادر الطاقة المتجددة يُمثِّل جزءًا مهمًا من السعي إلى خفض استهلاك الوقود السائل في إنتاج الكهرباء، والوصول إلى مزيج الطاقة الأمثل، الذي يهدف إلى أن تُصبح حصة الغاز ومصادر الطاقة المتجددة في هذا المزيج نحو ٥٠٪ لكلٍ منهما بحلول عام ٢٠٣٠م، وذلك بإزاحة نحو مليون برميل بترول مكافئ من الوقود السائل يوميًا، تُستهلك وقودًا في إنتاج





الكهرباء وتحلية المياه وفي قطاعات أخرى.

وأشار سموه إلى أن كل ذلك سيمكّن المملكة من رفع كفاءة استهلاك الطاقة في إنتاج الكهرباء، وتأكيد مستوى التزامها البيئي وتعزيزه، بخفض مستوى الانبعاثات المتسببة في الاحتباس الحراري.

وبيّن أن هذه المشروعات، والعديد غيرها التي يجري إنشاؤها في أنحاء المملكة؛ كمشروعات إنتاج الهيدروجين والأمونيا، وتبنّي المملكة نهج الاقتصاد الدائري للكربون، الذي أقرته قمة مجموعة العشرين، استنادًا إلى مبادرة المملكة، كنهج فاعل لتحقيق الأهداف المتعلقة بالتغير المناخي، وضمان إيجاد أنظمة طاقة أكثر استدامة وأقل تكلفة، هي عناصر داعمةٌ ومُكملةٌ للأهداف الطموحة التي ترمي

حققت محطة سكاكا أهدافَ توطين الوظائف بنحو ١٠٠٪، ويجسد المشروع دور الشراكات بين القطاعين العام والخاص في تمكين النمو الاجتماعي والاقتصادي المستدام بالمملكة

مشروع محطة سكاكا للطاقة الشمسية

أول مشروعات الطاقة المتجددة في المملكة

وزارة الطاقة
MINISTRY OF ENERGY

تكلفة الإنشاء
1.1
مليار ريال

يسهم في خفض الانبعاثات الكربونية بما يقارب
564
ألف طن سنويا



السعة الإنتاجية
300

يغطي احتياجات
41
ألف وحدة سكنية

MOENERGY_SAUDI

إليها مبادرة «السعودية الخضراء» و«الشرق الأوسط الأخضر» التي أعلن عنهما سمو ولي العهد قبل أيام، والتي تؤكد حرص المملكة على مواصلة الوفاء بالتزاماتها في إطار اتفاقيات حماية البيئة ومكافحة التغيُّر المُناخي.

وقال سمو الأمير عبدالعزيز بن سلمان «إن إكمال هذه المشروعات، وغيرها، وربطها بالشبكة الوطنية، سيسهم في تعزيز قدرات المملكة في إنتاج الكهرباء لتلبية الاحتياج الوطني، ويُعزز موثوقية الشبكة الكهربائية، ويدعم خطط المملكة الطموحة لأن تُصبح من الدول الرئيسة في مجال إنتاج الكهرباء وتصديرها باستخدام الطاقة المتجددة، كما يدعم التبادل التجاري للطاقة الكهربائية من خلال مشروعات الربط الكهربائي مع دول الجوار، التي بدأت بالربط الكهربائي مع دول الخليج العربية، فيما يجري العمل على الربط الكهربائي مع مصر والأردن والعراق، كما أنها تُعزز السعي لتوطين صناعة مكونات إنتاج الطاقة الشمسية وطاقة الرياح وتطوير تقنياتها، وتمكين الكفاءات العاملة في القطاع».

وكان سمو وزير الطاقة قد اطلع خلال زيارته لمنطقة الجوف، على مشروع محطة دومة الجندل لطاقة الرياح الذي سينتج نحو ٤٠٠ ميجاوات.

وتشمل مشروعات الطاقة الكهروضوئية التي أعلن عنها: مشروع سدير، الذي تبلغ سعته ١٥٠٠ ميجاوات، وهو أحد المشروعات المطورة من قبل صندوق الاستثمارات العامة وشريكه الاستراتيجي أكوا باور الذي يقود تحالف المشروع؛ ومشروعي القريات والشعيبة، اللذين ينفذهما تحالف شركات: أكوا باور، والخليج للاستثمار، والبابطين للمقاولات للطاقة الكهروضوئية، وتبلغ سعة مشروع القريات ٢٠٠ ميجاوات، وسعة مشروع الشعيبة ٦٠٠ ميجاوات؛ ومشروع جدة الذي ينفّذه تحالف شركات: مصدر، واي دي أف، ونسما وتبلغ سعته ٣٠٠ ميجاوات؛ ومشروع رابغ الذي يُنفّذه تحالف شركات: مروبيني؛ والجميح، والذي تبلغ سعته ٣٠٠ ميجاوات؛ ومشروعي رفحاء والمدينة

المنورة، اللذين يُنفذهما تحالف شركات: البلاغة، والفنار، وتكنولوجيا الصحراء. وتبلغ سعة مشروع رفحاء ٢٠ ميجاوات، وسعة مشروع المدينة المنورة ٥٠ ميجاوات.

وعليه، يبلغ إجمالي سعات هذه المشروعات، إضافةً إلى مشروعي منطقة الجوف: وهما مشروع سكاكا للطاقة الشمسية، الذي أطلق يوم الخميس ٢٦شعبان ١٤٤٢ هـ الموافق ٠٨ أبريل ٢٠٢١ م، ومشروع دومة الجندل لطاقة الرياح، ٣٦٧٠ ميجاوات.

وتتميز المشروعات الجديدة بأنها تنفذ عبر الإنتاج المستقل (IPP)، كما سيكون شراء الطاقة، التي سوف تنتجها هذه المشروعات، في إطار اتفاقيات لشراء الطاقة لمدة تُراوح بين ٢٠و٢٥ عاماً مع الشركة السعودية لشراء الطاقة.

جدير بالذكر، أن برامج الطاقة المتجددة، التي تعمل عليها وزارة الطاقة، تشمل دعم بناء هذا القطاع الواعد، من خلال حشد استثمارات القطاع الخاص، وتشجيع الشراكات بين القطاعين العام والخاص، لإيجاد سوق وطنية تنافسية للطاقة المتجددة، تُعزز فرص قيام صناعة جديدة لتقنيات هذه الطاقة؛ أما المواقع المخصصة لمشروعات الطاقة المتجددة، فيختارها بعناية فريق فني سعودي متخصص، وذلك لتحقيق أعلى جودة ممكنة لإنتاج الطاقة الكهربائية. وتُسهم مشروعات الطاقة المتجددة في صياغة ملامح الاقتصاد الدائري للكربون، الذي تبنته المملكة، ودعمته خلال رئاستها مجموعة العشرين في العام الماضي، بهدف تقليل انبعاثات الكربون من قطاع الطاقة في المملكة.

وزير الطاقة يقوم بزيارة مشروع دومة الجندل لطاقة الرياح

قام سمو وزير الطاقة الأمير عبدالعزيز بن سلمان وسمو أمير منطقة الجوف الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز بزيارة تفقدية لمشروع دومة الجندل لطاقة الرياح.

وقد اطلع خلال زيارته لمنطقة الجوف، على مشروع محطة دومة الجندل لطاقة الرياح الذي سينتج نحو ٤٠٠ ميجاوات.





صاحب السمو الملكي
الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز
أمير منطقة الجوف



سمو أمير الجوف يرفع الشكر لسمو ولي العهد بمناسبة تدشين محطة سكاكا للطاقة الشمسية

رفع صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز، أمير منطقة الجوف، باسمه ونيابة عن أهالي منطقة الجوف، الشكر والامتنان لصاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز، ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع، رئيس المجلس الاقتصادي، بمناسبة تدشين مشروع محطة سكاكا للطاقة الشمسية، الذي يُعد باكورة مشروعات الطاقة المتجددة في المملكة، وتبلغ سعته الإنتاجية ٣٠٠ ميجاوات.

وأوضح أن تدشين هذا المشروع، يأتي في إطار النهضة الشاملة التي تشهدها المملكة والمنطقة في هذا العهد الزاهر لخادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، وسمو ولي عهده الأمين - حفظهما الله -، لتصبح المملكة رائدة في تبنّي وتطبيق التقنيات الحديثة ومشروعات التنمية المستدامة والطاقة المتجددة.

وأكد سموه أن مشروع محطة سكاكا للطاقة الشمسية، ومشروع دومة الجندل لطاقة الرياح بمنطقة الجوف، وغيرها من المشروعات الطموحة بقطاع الطاقة المتجددة في مختلف مناطق الوطن، واحدة من ثمار رؤية المملكة ٢٠٣٠ التي أطلقها سمو ولي العهد، وتستهدف التوسع في الطاقة المتجددة والنظيفة الصديقة للبيئة، كما تنسجم هذه المشروعات مع مبادرة السعودية الخضراء التي كشف عنها سمو ولي العهد، وستعمل على تقليل الانبعاثات الكربونية بأكثر من ٤ بالمئة من المساهمات العالمية، وذلك من خلال مشاريع الطاقة المتجددة التي ستوفر ٥٠ بالمئة من إنتاج الكهرباء داخل المملكة بحلول عام ٢٠٣٠.

وقال: نعتز ونفتخر في المنطقة وكافة أرجاء الوطن بهذه المشروعات الطموحة، وسنبذل قصارى جهدنا لدعمها وإنجاحها، ليعمل جميع أبناء الوطن لتحقيق تطلعات قيادتنا الرشيدة والارتقاء بالوطن إلى القمة في كافة المجالات، وتعزيز الرخاء والازدهار

واستدامة التنمية والبيئة، سائلا الله عز وجل أن يحفظ خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين، ويديم على الوطن الغالي نعمة الأمن والاستقرار.



صاحب السمو الملكي الأمير
عبدالعزيز بن سلمان بن عبدالعزيز وزير الطاقة

محطة سكاكا المستقلة للطاقة الشمسية الكهروضوئية[2]

يعد مشروع محطة سكاكا المستقل للطاقة الشمسية الكهروضوئية، الذي تبلغ سعته ٣٠٠ ميجاواط، أول محطة للطاقة المتجددة على مستوى المرافق في المملكة العربية السعودية، وقد منح مكتب تطوير مشاريع الطاقة المتجددة شركة أكوا باور عقد المشروع بعد تقديمها سعر قياسي للتعرفة بلغ ٢,٣٤١٧ سنتًا أمريكيًا/كيلوواط (٨,٧٨١ هللة/كيلوواط ساعة)، وستمتد مساحة المحطة على ستة كيلومترات مربعة في منطقة الجوف، بقيمة استثمارية تبلغ ١٢٠٠ مليون ريال. ويعد هذا المشروع باكورة مشاريع تعتزم المملكة إنشاءها، ضمن برنامج وطني طموح للطاقة المتجددة، يستهدف إنتاج ٩,٥ جيجاواط من الطاقة المتجددة بحلول العام ٢٠٢٣م.



محطات في تاريخ المشروع

محطة سكاكا للطاقة الشمسية الكهروضوئية هي أول مشروع في المرحلة الأولى ضمن البرنامج الوطني للطاقة المتجددة في المملكة، وتصل تكلفته الاستثمارية إلى ١,٢ مليار ريال.

بدأ العمل فيها في نوفمبر ٢٠١٨م، وبدأ تشغيلها في أواخر العام ٢٠١٩م، حين أعلنت «أكوا باور» عن نجاح ربط «محطة سكاكا للطاقة

الشمسية الكهروضوئية» بشبكة الكهرباء الوطنية الرئيسة، وبدء المحطة في الإنتاج الفعلي وتزويد الشبكة بالطاقة الكهربائية ليدخل المشروع مرحلة التشغيل التجريبي وفق الجدول المُحدد له.

يضم المشروع ١,٢ مليون لوح شمسي، تولّد طاقة كهربائية بطاقة إنتاجية تقدر بـ ٣٠٠ ميغاوات بما يكفي لسد حاجة ٤٥ ألف وحدة سكنية، وبقدرة على خفض أكثر من ٥٠٠ ألف طن من الانبعاثات الكربونية سنوياً.

رئيس منتدى الطاقة

المملكة العربية السعودية
الجوف

محطة سكاكا المستقل للطاقة الشمسية الكهروضوئية

يعد مشروع محطة سكاكا المستقل للطاقة الشمسية الكهروضوئية الذي تبلغ سعته 300 ميغاواط أول محطة في البرنامج الوطني السعودي للطاقة المتجددة. وتمتد مساحة المحطة على مساحة 6 كيلومتر مربع وتقع في منطقة الجوف. وتعادل مساحتها نحو 1000 ملعب كرة قدم. وستعمل محطة سكاكا المستقل للطاقة الشمسية الكهروضوئية على استخدام الطاقة الشمسية من خلال التكنولوجيا الكهروضوئية (PV) لتوليد الكهرباء بتعرفة تنافسية عالمية تبلغ 2.3417 سنتات أمريكي لكل كيلوواط ساعة (8.781 هللة لكل كيلوواط ساعة)، بقيمة استثمارية تبلغ 302 مليون دولار أمريكي.

ومن خلال مشروع محطة سكاكا المستقل للطاقة الشمسية الكهروضوئية، تؤكد شركة أكوا باور التزامها بمشاريع الطاقة المتجددة في البلاد ومساهمتها في البرنامج الوطني السعودي للطاقة المتجددة الذي يستهدف إنتاج 9.5 جيجاواط من الطاقة المتجددة بحلول العام 2023.

المعلومات الفنية والتجارية
الجهة المستفيدة من المشروع:
الشركة السعودية لشراء الطاقة
نوع ومدة العقد:
اتفاقية شراء الطاقة (البناء والتملك والتشغيل) لمدة 25 عاما
القدرة الإنتاجية للكهرباء:
300 ميغاواط
تكلفة المشروع:
302 مليون دولار أمريكي
حصة شركة أكوا باور:
70%

أصحاب المصلحة
مستثمرون آخرون:
مجموعة أعمال العجلان 30%
الهندسة والتصميم والإنشاء:
تحالف من مقاولي لارسن وتوبرو
التشغيل والصيانة:
نوماك

300 MW

أبونيان: النجاح في تنفيذ مشروع سكاكا في وقت قياسي يشكل منطلقًا محوريًا لتنويع مزيج الطاقة ورفع كفاءته في المملكة

قال محمد أبونيان، رئيس مجلس إدارة شركة أكوا باور إنه مع تدشين أول محطة للطاقة المتجددة في المملكة، لا يسعني سوى التعبير عن بالغ سعادتي بهذا الإنجاز العظيم الذي يؤكد مكانة «أكوا باور» كشركة سعودية وطنية رائدة في طليعة مسيرة التحول بقطاع الطاقة، ليس في المملكة فحسب، بل في عدد من الأسواق الرئيسة العالمية، في مهمة نعتز بالإسهام فيها لتحقيق أهداف الرؤية ٢٠٣٠ ومتطلبات البرنامج الوطني للطاقة المتجددة الذي انطلق في المملكة تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود (رعاه الله)، ومسترشدين فيها بتوجيهات ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز (حفظه الله)، وبالدعم اللامحدود الذي يوليه صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سلمان بن عبدالعزيز، وزير الطاقة، لمساعينا وجهودنا.

وأشار أبونيان إلى أن النجاح في تنفيذ مشروع سكاكا في وقت قياسي يشكل منطلقًا محوريًا لتنويع مزيج الطاقة ورفع كفاءته في المملكة، ونقل المعرفة والخبرة والإمكانات التي يتمتع بها سجل «أكوا باور» في قطاع المتجددة

عالميًا إلى المملكة، إلى جانب إتاحة الفرصة أمام الشركات السعودية المحلية للمشاركة في تنفيذ مشروعات الطاقة المتجددة، وتنمية المواهب والكفاءات السعودية الشابة التي يحتاج إليها هذا القطاع الواعد الذي أصبح أحد ركائز التنمية الاجتماعية والاقتصادية المستدامة في المملكة.

منتدى الطاقة الدولي يشيد بإطلاق السعودية محطة سكاكا الشمسية(٣)

من جانبه، أشاد الأمين العامّ لمنتدى الطاقة الدولي، جوزيف ماكمونيغل، بإطلاق محطة سكاكا، وهو أول مشروع للطاقة المتجددة في المملكة.

والسعودية عضو في المنتدى الدولي للطاقة، أكبر منظمة للطاقة في العالم، إذ تتمثل مهمتها في تعزيز الحوار حول سياسة الطاقة ودعم أعضائها في الانتقال إلى مستقبل طاقة مستدامة ونظيفة.

خطوة نحو تحقيق أهداف تغير المناخ

وقال ماكمونيغل:

إن «افتتاح محطة سكاكا هو خطوة رئيسة تدفع السعودية إلى الأمام في جهودها لتحقيق أهداف تغيّر المناخ وإيجاد حلول أكثر استدامة».

وتبلغ الطاقة الإنتاجية لهذه المشروعات -إضافة إلى مشروع دومة الجندل لطاقة الرياح، الذي أوشك على الانتهاء- أكثر من ٣٦٠٠ ميغاواط.

معلومات أساسية

- الموقع: الجوف، المملكة العربية السعودية.
- الجهة المستفيدة من المشروع: الشركة السعودية لشراء الطاقة.
- القدرة الإنتاجية للكهرباء: ٣٠٠ ميجاواط.
- التقنية المستخدمة: الطاقة الشمسية الكهروضوئية.
- تكلفة المشروع: ١٢٠٠ مليون ريال.
- تاريخ البدء بالتشغيل التجاري: الربع الثاني ٢٠٢٠.
- حصة شركة أكوا باور: ٧٠٪.
- مدة العقد: اتفاقية شراء الطاقة والمياه (بناء، تملك، تشغيل) لمدة ٢٥ عامًا.
- المشغلون: شركة ضياء سكاكا للتشغيل والصيانة (شركة تابعة لنوماك).
- مستثمرون آخرون: مجموعة الجهاز القابضة: ٣٠٪.
- الهندسة والتصميم والإنشاء: تحالف من ماهندرا سوستين برايفت ليميتد وشركة تشينت سولار (زيجانغ) المحدودة.
- شركة المشروع: شركة سكاكا للطاقة الشمسية (سكاكا).

---

(١) واس.
(٢) شركة أكواباور.
(٣) موقع الطاقة/ محمد فرج /https://attaqa.net.



ديناميكية الفنون وارتباطها بعامل الوقت

■ خالد ربيع السيد*

ارتبط إنتاج الفنون بشتى أنواعها بالوقت، فالفنون بمعناها الشامل (شعر، مسرح، موسيقى، سينما، خط، تصميم جرافيكي، تشكيل، رواية، رقص، تمثيل، نحت، معمار... وغير ذلك) في مختلف حقب النماء الإنساني ومراحله؛ هي ترجمة وتعبير وتجسيد لثقافة في زمن معين، والوقت في ذلك يعني العامل الزمني في تمثّل مفردات تلك الثقافة؛ بل إنه يجسد الأفكار والرؤى التي تشيع في وقت معين، ويصقلها.

وربما، بل إن ما يشاع وينتشر من الفنون في وقت ما قد لا يصلح، أو قد لا يمارس، في زمن آخر. ولو كان الأمر عكس ذلك، لظل الشعراء ينشدون قصائدهم بطريقة معلقات الشعر الجاهلي وأغراضه ولغته، ولكان مؤلفو الموسيقى استمروا في تأليف معزوفاتهم الموسيقية على نهج السمفونيات الكلاسيكية الأوروبية نفسها. والأمر ينطبق على الفن التشكيلي أيضًا، الذي كان سيصبح نُسَخًا متكررة من الفنون التشكيلية الكلاسيكية أو حتى البدائية، وكل ذلك يخالف طبيعة البشر في إنتاج فنون متطورة تناطح الوقت، وتسمه بصفاته التكوينية.

الفن والزمن

إلا إن طرح موضوع علاقة الزمن بالفنون قد يشوبه الغموض، ما لم يتم تحديد مفهومَيّ الزمن والوقت، ولو بالحد الأدنى من الفهم البسيط. هناك اتجاهان في تحديد مفهوم الزمن، أحدهما، يقول: للزمن وجود مستقل عن المادة، وهو مطلق، وأنه حقيقة وليس فعل الذهن. والثاني، ينادي بأن الزمن مطلق، فلسفيًا، ونسبي فيزيائيًا. أي إنه يتوقف على حركة الأشياء في الكون. أما بالنسبة إلى الفنون فقد قسّمها الباحثون إلى تقسيمين اثنين: زمانية، ومكانية. تشمل الفنون الزمانية: المسرح، والشعر، والرواية؛ أما المكانية، فتشمل: الفنون التشكيلية، والرسم، والنحت، والتصميم، والعمارة، والخزف.

ففي الفنون الزمانية، يجلس الفرد يشاهد على خشبة المسرح حركة الأشخاص، ويتابع سير الحكاية، وهذا يستغرق (الزمن)، وهكذا مع الشعر، حيث وقت الاستماع للقصيدة.

على كل حال، لا يمكن إغفال عامل الوقت وتأثيراته السيسيوثقافية والتنموية والحضارية في إنتاج الفنون بجمالياتها وآلياتها ومساراتها وأدواتها التي تنتجها؛ لأن مرور الوقت يعني التطوير والتغيير والابتكار؛ ومن ثم التنفيس عن هواجس الفنانين وشواغلهم وأحلامهم على مر الأزمان. وفي السابق والحاضر، شاع مثلًا شرودٌ في الثقافة المصرية الشعبية؛ يقول:

«كل وقت وله آذان»، فلو تأملنا هذا المثل لوجدناه يصف حقيقة ما يحدث بفعل لا إرادي في الحراك البشري.

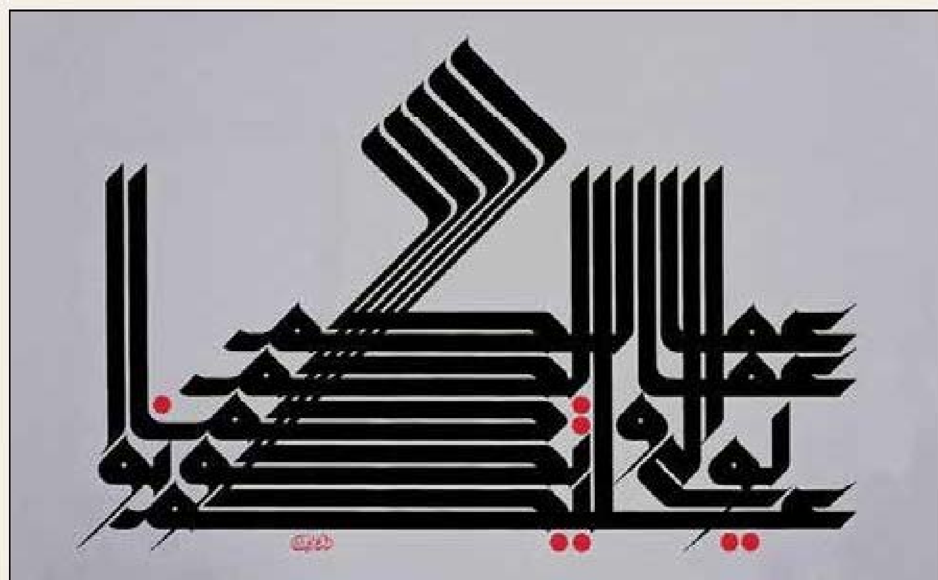
وبالفعل، فكل وقت له صوته ونداؤه وصورته وكيانه وجمالياته؛ ولولا تقدم الوقت واختلافه، لما كانت هناك فنون متطورة تلامس نبض أبناء الأجيال المتعاقبة. بل إن عامل الوقت من هذا المنظور له أثره القوي في شتى مناشط الحياة، فبفعله تطورت أساليب التجارة، وتطور العلم والمعمار والهندسة والتكنولوجيا والطب والزراعة... وكل ما يقوم به الإنسان من نشاط عملي أو فكري.

قيمةُ التأنّي لإنتاج الفن

من الواضح أن الجمال لا يتحقق إلا بعد تحقق الإتقان. ومن أهم مقومات الإتقان التأنّي والتجريب المدعوم بالعمل على التجويد، وإلا كان التأنِّي الخامل كسلًا ودعةً وتوقفًا عن الإنتاج حتى تأتي متغيرات التحقيق الناجح. وهذا مخالف لطبيعة الابتكار والإبداع المتقن؛ فالتأني الديناميكيّ المرتبط بالتجريب والتعليم والخطأ والصواب هو الذي يعطي الفنون قيمتها الرصينة والمؤثِّرة والخالدة.

ومن هنا، يتضح أن ما يتحقق من القيم الجمالية في الفن، سواء أكان قديمًا أم حديثًا، يعتمد على قيمة الزمن أو الوقت، وحُسن استثماره في التعليم والعمل، ومن ثم إدراك الفنان بأنه مسؤول عن هذا الاستثمار في الوقت، وجعله من أساسات الإتقان من خلال الممارسة الدائمة؛ وبهذه العلاقة المنطقية ندرك سرَّ الجمال في الأعمال الفنية القديمة منها والحديثة.

كل ما سبق، ينطبق على كل الفنون التي مارسها الفنانون في السابق، والتي يمارسونها اليوم. ولنا أن نتصور الوقت أو الزمن الذي أمضاه الفنان في إبداع فنِّه. ولو تأملنا فنون الزخرفة والخط ونقش الزخارف



والخط والجرافيكس، على سبيل المثال، نجد أن إتقانها مرتبط بالتأني الديناميكي؛ أي القائم على التجويد المرتبط بالتجريب والاختبار والتكرار؛ حتى يصل الفنان إلى نقطة الاكتمال في تنفيذ فنه.

ويتضح الإتقان مع الدقة في إنجاز الفنان وابتداعه لمثل هذه الأدوات المختلفة، والتي أبدع أجزاءها الدقيقة بمهارة تامة، وابتكر أشكالها التي جمعت بين الغرضين أو حققت الهدفين المنشودين من مثل هذا العمل، وهما المنفعة Utility أو القيم النفعية، إضافة إلى القيم الجمالية Aesthetic Values. ولعلنا نسوق فيما يلي مثالًا عن فن الخط العربي.

فنونُ الخط.. مثالًا

لا شك أن الجانب الأبرز في الفنون الشرقية يتمثل في فن الخط العربي الذي جمع بين هذين الهدفين السابقين، وهو أرفع الفنون الشرقية الإسلامية وأرقاها. لذا، فقد عمد الفنانون منذ القدم على دراسته وتجويده. وهو الفن الوحيد الذي تعلمته ومارسته كل قطاعات المجتمع، ويشمل ذلك الرجال والنساء. فممارسة الخلفاء والسلاطين والعلماء والشيوخ، والعالمات والتلميذات للخط أمرٌ حتمي، لأن الكتابة الواضحة والجميلة لا تستقيم إلا بتعلم الخط.

ولذلك، اشتهر فيه الكثير من العلماء الخطاطين منهم الإمام محمد بن إسماعيل البخاري - صاحب الصحيح، والإمام محمد بن عبدالله البوصيري، والشيخ الجوهري صاحب كتاب الصِّحَاح. ومن الخلفاء الخليفة المستنصر بالله، والخليفة المسترشد بالله، والسلطان سليمان خان. أما أشهر الخطاطات المسلمات، فمنهن: حفصة -أم المؤمنين، الشفاء بنت عبدالله - وهي معلمة حفصة، العالمة خديجة بن محمد - أبو الرجاء الجُرجاني، فاطمة بنت الحسن بن علي، وكانت من أنبغ تلاميذ الخطاط المشهور ابن البواب. وخلال عصور الضعف والتفكك للدولة الإسلامية اضمحل فن الخط وقلَّ الخطاطون الرجال، واختفت الخطاطات... وتجدر الإشارة هنا إلى أن فن الخط العربي قد ازدهر في عصرنا الحديث، وما يزال يمارس اليوم - رغم سطوة التقنية الإلكترونية.

إذًا، فنُّ الخط العربي تميز بقيم جمالية عالية منذ عدة قرون. وقد حافظ كثير من الفنانين المعاصرين على هذه القيم الجمالية، ليس في فنون الخط العربي فقط، بل في سائر مجالات الفن التشكيلي. وما ذلك إلا لإتقان الفنانين لأعمالهم، وتجويدهم لما يقدمون، والحرص على العمل المتواصل والتدريب، دون الاكتراث لطول الوقت الذي يقضونه في ذلك؛ لأن ذلك الوقت استثمار حقيقي، ومراعاة للتوجيهات الإسلامية؛ فالتأني الذي يمارسونه خلال تنفيذ تلك الأعمال، والسعي لتحقيق الإتقان كلها أمور يأمل الفنان أن يحققها.

الفنون التشكيلية

كما أن الحال ينطبق على الفنون التشكيلية، من نحت ورسم وتصميم وتلوين، فهي فنون تتطور بالتعليم والممارسة، وهي في ضمن محتواها رصدٌ تاريخي ووقتي لمسارات الحياة، سواء بالأساليب الواقعية التقليدية أو الأساليب المستحدثة، ولذلك،



تنوّعت المدارس التشكيلية التي تُعبّر عن رؤى الفنانين؛ فمنها: الواقعيون، والانطباعيون، والسرياليون، والوحشيون، والتجريديون، والتكعيبيون، وغير ذلك عدة مدارس أخرى، أخذت على عاتقها التعبير الفني، وهي في كل الأحوال نشأت بتراتبية زمنية متطورة لتعكس متغيرات الحياة والأفكار في مختلف الأوقات والأزمان.

الفن التشكيلي يستلزم توفير الوقت لتعلمه، بدءًا من أساساته وأساليبه؛ فكم من الوقت يستدعي تعلم تقنياته ومدارسه وأنواعه؟ وكم من الوقت سينقضي حتى يتأهل الموهوب أو المتعلم ليصبح فنانًا تشكيليًا مضيفًا وليس مقلدًا؟ وكم من الوقت والجهد يحتاجه الفنان حتى يوصل فنه لأكبر قاعدة ممكنة من المتلقين؟ هذه الأسئلة المرتبطة بالوقت تجعل الفن التشكيلي فنًا لا يتحقق إلا بمرور الوقت وتراكم التجارب.

الوقت في تعلم الفنون

نعلم جميعًا أن الفنون تنقسم، بطبيعتها، إلى ما هو فطري وما هو مستند على التعلّم، ولعلنا نؤمن بأن الفن الفطري الذي يمارسه الفنان غير المتلقي لتعليمٍ ممنهجٍ هو أيضًا يكون قد تلقى تعليمًا بشكلٍ أو بآخر، أبسطه التعليم بطريقة التلقين العفوي، التي يمارسها الخبراء الممارسون، ممن أتقنوا فنًا ما مع من يريدون ممارسة الفن لأي سبب كان، سواء للتكسب منه أو بسبب دوافع نفسية غريزية. والأمر في هذه الحالة يشابه تعلم إتقان المهن اليدوية (الحدادة، والنجارة، والنقاشة، والحياكة،.. وغيرها)، وبخاصة إذا كانت مهنًا لها جانب فني جمالي؛ فإن عملية التلقين العفوي هذه تستغرق وقتًا من المعلم الخبير للمتدرب المبتدئ، وكلما كان المتعلم نبيهًا، وذا فطنة، فإن الوقت الذي يستغرقه لإتقان فنيات المهنة يكون أقلّ، بعكس المتدرب الأقل ذكاء ومهارة واستعدادًا نفسيًا.

على هذا الأساس، قامت في العصور الحديثة الأكاديميات الفنية المتخصصة في مختلف أنواع الفنون، بدأت من أوروبا ثم انتقلت لأنحاء العالم، فهناك معاهد لتعليم الموسيقى وأخرى لتعليم التمثيل والتصميم والرسم والنحت وصناعة أفلام السينما، بل حتى لتعليم فنون الزخرفة والخياطة والتطريز والطهي، وغيرها. وكل تلك الأنواع من الفنون تحدد لها مناهج وأوقات معينة لتعلّمها، متمثلة في التعليم النظامي المحدد بمستويات وشهادات ينالها المتعلم الذي يستغرق عددًا معينًا من سنوات التعليم.

إذًا؛ هنا يدخل تعليم الفنون والزمن الذي يستغرقه في خطط التنمية التي تضعها الحكومات؛ لأن ذلك يستدعي مصروفات وتكاليف استثمارية تعود على الناتج القومي الإجمالي بدخل مقدر، وهذه التكاليف وعائدها تحسب في موازنات الدول التي ترفع عنها التقارير في نهاية كل عام. وهكذا فالأمر أصبح مرتبطًا بوقت ومدخلات ومخرجات، وبسبب ذلك تقوم الكثير من الدراسات الاستراتيجية الإدارية على حساب تكلفة الوقت الذي تستهلكه عملية التعليم، ومن ثم تتم المقارنات بين ما تحقق في سنة فائتة عما تحقق في سنة لاحقة؛ أي إن الأمر مرتبط دائمًا بالوقت.

الوقت والفن والتنمية البشرية

هذا يقودنا إلى عملية إدارة الوقت في





التنمية البشرية؛ فدراسة الوقت هنا تتمثل في الطرق والوسائل التي تعين المنظمات على الاستفادة القصوى من وقتها في تحقيق أهدافها، لتحقق توازنات في اقتصاداتها وفي تنمية حياة الأفراد والمجتمع. وعلى هذا الأساس، تقوم الخطط الاستراتيجية على تحديد الأهداف الموضوعة للتخطيط الاستراتيجي الذي يتضمن تنمية الفنون؛ كما جاء في برنامج جودة الحياة في المملكة العربية السعودية، فإذا كانت الأهداف قصيرة المدى، يختلف وقتها الزمني عن الأهداف طويلة المدى؛ والتي تتطلب وقتًا زمنيًا أكبر، ولكل منهما متوسطٌ زمني يحتسب على ضوئه الحدُّ الأدنى والحدُّ الأعلى من القيمة التنموية.

ولعل الدراسات في هذا الشأن حددت أربع مراحل قائمة على عنصر الوقت: فالمرحلة الأولى، تتمثل في الإعداد، ويتم فيها تحديد الرسالة والأهداف؛ والمرحلة الثانية، مرحلة تحليل المنظمة والسياسات والإجراءات، والظروف والتغيرات الداخلية والخارجية، والتصرف على أساسها باعتبار المنظمة جزءًا لا يمكن فصله عن هذه الظروف، ولا يمكنها العمل بمعزل عنها أبدًا، فهي تؤثر وتتأثر بشكل مباشر به؛ أما المرحلة الثالثة، فتتمثل في مرحلة الخيارات الاستراتيجية المتاحة، وذلك عن طريق إجراء مقارنة لفحص مدى التوافق بين الأهداف القصيرة والبعيدة المدى؛ وأخيرًا المرحلة الرابعة، وهي مرحلة الخطط البديلة، وتستخدم في حال تمَّ اكتشاف أنَّ ثمة مشكلة ما في الاستراتيجية الموضوعة خلال المراحل الأولى من تنفيذها. هذه المراحل هي صلب عملية التخطيط لاستثمار الفنون، وهي دائمًا وأبدًا مرتبطة بالوقت.

---

* صحفي وقاص وناقد سينمائي سعودي.

الـزمنُ الـدائريّ

■ محمد العامري*

لا يمكن لأحد أن يفهم الزمن أو يدركه إدراكًا كاملًا، بكونه البداية والنهاية في آن؛ فكيف لنا أن ندرك زمنًا لا نعرف بدايته أو حتى نهاياته المتعددة؛ فالموت زمن غامض وممتد، لا ينتهي زمن الميت في قبره؛ فهناك امتدادات أخرى تسري في النص الديني وصولًا على نصوص الأسطورة فيما يخص «ما بعد الغياب».

لقد شغلت مفردة الزمن العرب في أكثر من موضع وسؤال، فقد جمعوه على أكثر من شاكلة، منها أزمن وأزمان وأزمنة، وزمان.. كأن إضافة الألف دلالة على امتداده المطلق، والمطلق خاصية من خصائص رب الكون وحده، يتفرد بها ولا يشاركه أحد بذلك، لكننا نستطيع القبض على تمثلات الزمن في أكثر من سلوك إنساني، مثلا الزخرفة.. سواء كانت نباتية أم هندسية، فهي ترددات لوحدات بصرية تتكرر بتشابهاتها إلى ما لا نهاية، «infinite».

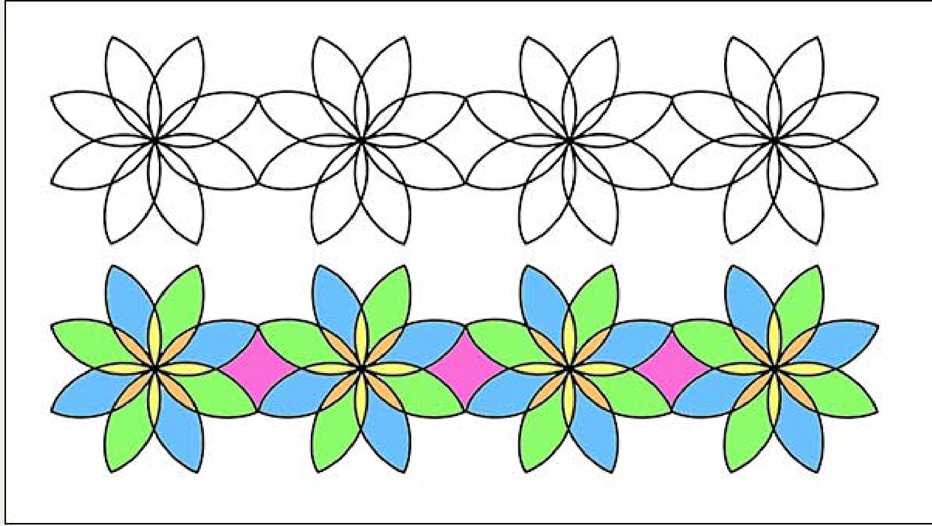
فالوحدة الزخرفية هي بمثابة وحدة زمنية، تنطلق من تكرار الوحدة إلى أمداء لا نهايات لها، وهي تعبير بصري ملفت في فهم المسلم لصفات الخالق في الرسم اللاتشبيهي، كفعل «المطلق»، وكانت تلك الزخارف تتحرك في فضاء المسجد والبيوتات العربية الإسلامية، كقيمة لها علاقة بالنور، كذلك عبر مقرنصات التعشيق والزخرفة الهندسية.

فكان للزمن تمظهراته في الشعر والسرد، على حد سواء؛ فلكل رواية زمنها الخاص المرتبط غالبا بالمكان، إذ يتحِدّ الزمان مع المكان في مواقع عديدة «الزمكانية»، وكذلك الشعر الذي يستثني التفكر بالزمن وأشكاله. وهنا، نستدل على ذلك بقول أبي العلاء المعري:

«علّلاني فإن بيض الأماني
فنيت والزمان ليس بفانِ»

يقول المعري في موضع آخر عن تحولات





زخرفة نباتية

الزمن من دهرية لا يمكن الإحاطة بها:

«ولو طار جبريل بقية عمره

على الدهر ما استطاع الخروج»

هنا، ندرك قيمة الدهر واستحالة الإحاطة به، بكونه صورة من صور ربّ الكون.

فالعربية، غنيّة بالمفردات الدالة على الوقت المحدود والوقت اللامحدود؛ فهناك الأزل، ويتعلق بالماضي المفتوح أو اللانهائي، وهناك الأبد: ويتعلق بالمستقبل المفتوح واللانهائي، وهناك الأمد: وهو الغاية، والمدى، وقيل الأمد الثاني هو الموت، عطفًا على الآية « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) سورة الحديد.

هناك تمظهرات كثيرة للزمن بصوره العديدة، وبمفاهيم حيوية تنمو عبر قوة التأويل وأمدائه غير المحدودة؛ كالمفهوم الفلسفي، والفيزيائي، والديني، والصوفي، ومفاهيم أخرى في الشعر والسرد كذلك.

وللزمن أهمية قصوى في مفكرات الحياة وأسئلتها المتشعبة؛ فما وجدناه في الفعل البصري الإسلامي من زخارف تمتد في وحداتها التكرارية إلى مالا نهاية، كصورة من طرائق تفكير المسلم بالزمن، فقد ورد في القرآن الكريم، وهو أحد أسرار الكون؛ إذ لم يستطع الإنسان الإجابة عن كثير من التساؤلات، وصولًا إلى النظرية الأنشتانية «نسبة إلى أنشتاين».

وسؤالي هنا، ما هي العلاقة بين الطقس الصوفي في مفاهيم الدائرة والغياب في مداراتها إلى حد محو الإشارة والطواف حول الكعبة المشرَّفة؛ لذلك، ندرك هنا أهمية قصوى للدائرة في تفكيك صورة الزمن وتراكيبه وتجلياته المعرفية والفلسفية والدينية والصوفية وصولًا إلى الفن.

أعتقد إن الفكرة القائمة على الزمن الدائري تتمثل في المحو أولًا.. وفناء الإنسان في حياته حين يصبح نقطة في مسارات الدوران حول الذات، بوصفه قيمة من قيم الكون؛ فحين يدور الصوفي بدوائر متسارعة يغيب عن وجوده الملموس، ويذهب إلى وجود آخر يعطيه من لذاذات الوجد ما لم يحصل عليها غيره؛ كذلك في الطواف حول الكعبة المشرَّفة حيث يطوف المسلم عكس عقارب الساعة ليولد من جديد، كما لو أنه يمحو ما علق به من درن في الحياة أو خطيئة كحالة طهرانية وتطهرية، وهنا نتذكر قول رسُولَ اللَّهِ ﷺ: «منْ حجَّ فَلَم يرْفُثْ، وَلَم يفْسُقْ، رجَع كَيَومِ ولَدتْهُ أُمُّهُ».

فهو يعود إلى صفر الزمن الذي يقاس هنا بطهرية الولادة، بكونها لم تشتبك بخطيئة الحياة اليومية.

لعل ابن عربي «المتوفى سنة ٦٣٨هـ» أكثر من أبدع من المتصوفة، فقد أشرق في كثير من كتاباته بما يخص الكشف والرؤيا، ونرى ذلك في فتوحاته المكيّة ذاكرًا مراتب الحروف وأسرارها، كصورة بصرية تتمحور حول وجود صوت وصورة للحرف معًا، فقد وصل إلى «فوق طور العقل»، مستعيرًا لذلك قول الشريف الرضي:

«يا رُبّ جوهر علم لو أبوح به
لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحلّ رجالٌ مسلمون دمي
يرون أقبح ما يأتونه حسنا»

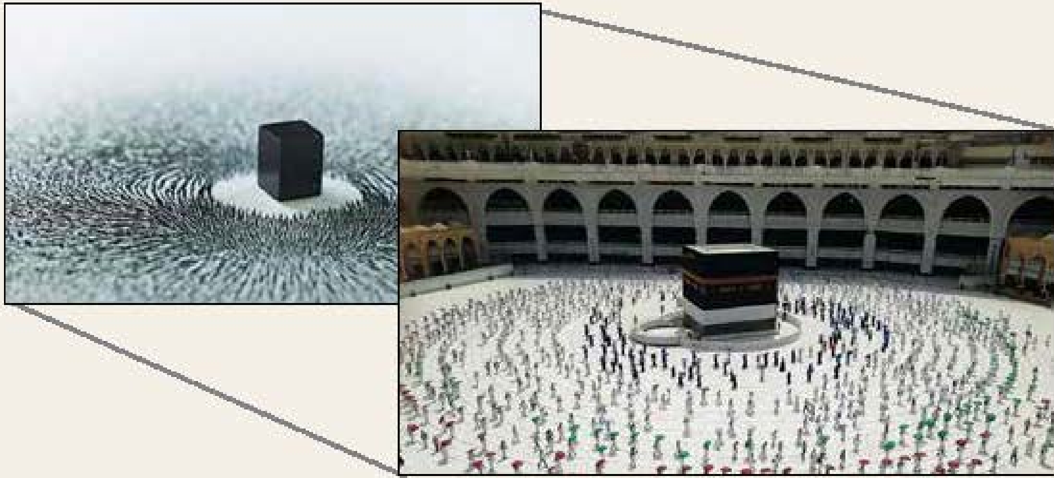
فهو الذي قسّم الزمن إلى زمانين: الزمان الآفاقي والزمان الأنفسي، وهو مشتق من الآية الكريمة «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم».

ولا ننكر أن الزمن في شعر إليوت من زمن الساعة إلى الزمن النفسي، إلى الزمن التاريخي، وينتهي بما يسميه «الزمن العظيم»، وهو المعادل للزمن الصوفي.

ويقول شهاب الدين السهروردي: «الزمان هو مقدار الحركة إذا جمع في العقل مقدار مقدمها ومتأخرها.. العقل يجمع بداية الحركة ونهايتها»

فالحركة الدؤوبة والمنتظمة في سياق الدائرة، هي نتيجة للتوحد في كتلة حركة الزمن عبر الإشارة البشرية المتحركة، والتي تسير في سياق الأكوان العلوية، «الأجرام السماوية والنجوم»، حيث ينتظم الزمن في الأضداد والثنائيات التي يقوم عليها تعاقب





الطواف حول الكعبة يكون بشكل دائري

الليل والنهار الخ.

فالزمن يدور في المسير.. وليس خطًا مستقيمًا كما يتوهم بعضهم.

فهناك صورة متّحدة في الطواف تتمثل في اللون والحركة، حيث تصبح الحركة وحدة متحدة ومتسقة، وقيم تجاذب مقدس باتجاه الحجر الأسود، كعلامة بصرية مفارقة لما يرتديه الحجّاج، هي حركة أقرب إلى زمن مغناطيسي «فيزيائي»، إذ تشكل جزءًا لا يتجزأ من حركة دائرية كلية، تذكرك بالكون السماوي، ووحدة الزمان والمكان؛ وهو ما يقتضيه منطق التوحيد والاتحاد في منطق (الحيِّز أو الفضاء).

فالجميع يمشي ويهرول في نسق متحد بالحركة واللون، «اللون الأبيض» مشكلًا بمشيه جزءًا من الحركة الدائرية الكلية المتشابهة؛ وهي كذلك صورة أخرى عن تتابع حبات السبحة في التسبيح، كصورة أخرى من دائرة الزمن المتجدد، والذي يمتلك الديمومة في وجوده، فلا نهاية للدائرة في صور حركتها.

فالتسبيح صورة أخرى من صور الزمن لامتلاكه ديمومة تتابع الخرز، تماما كدوران الصوفي والطواف معًا حول مركز ما.

ولا يتحقق الدوران إلا عبر مركز يحركه عبر الزمن، تماما كمدارات الأجرام السماوية والكواكب.

ويبقى الزمن لغزًا متجددًا في سؤاله الكوني، وسرًا لا ينتهي أبد الدهر!

* كاتب - الأردن.

الساعةُ السادسةُ ظهرًا

■ محمد علي حسن الجفري*

رأيت الكوميدي المصري الشهير، عادل إمام، وقد تغضَّنت أخاديد وجهه بالحزن وهو يقول: "النهارده الخميس، وأمس كان الأحد، إمال التنين والثلاث والأربعا راحوا فين؟"!

إنها الشكوى نفسها التي يشكو منها الناس في العجز عن ملاحقة الوقت. وهو كما ورد في القرآن الكريم (يُغشي الليلَ النهارَ يطلبه حثيثًا) الأعراف: ٥٤. فالساعات تجري، وتجري من واحدة تنطوي إلى نهار، إلى ليلة، إلى أسبوع، إلى شهر، إلى سنة؛ فلا يملكون لهذه الدقائق، ولا الساعات، ولا الأيام، ردًا لها، أو تجميدًا لركضها في مضمار الأعمار.

تحضرني في هذا السياق محاورة أحد الصالحين في الحفاظ على الوقت من الانسلاخ، فقد احتاج إلى عملية جراحية بسبب بثرة في شفته العليا؛ فجاؤوا له بطبيب كي يخفف من الورم، لكنَّ الرجل الصالح كان لا يكفُّ عن التسبيح والتهليل؛ فقال له الطبيب: أسكت يا سيدي حتى أقوم بعملي. فقال: مُحال. قال ولِمَ؟ قال قل للشمس أن تقف أولًا، فإنَّ حركتها فيها خسارة عظمى لي إن أنا سكتّ عن الذكر!

يقف المرء حائرا أمام الوقت.. التوقيت.. الميعاد.. الأجل.. عصر السرعة.. لمح البصر.. غمضة العين.. وما أكثر القصص في هذا السياق.

وحسب علمي، فإن المملكة العربية السعودية تنفرد بقصة التوقيت عن بقية العالم الإسلامي. بل يقينًا تنفرد، وتتحكم في توقيت العالم الإسلامي؛ ففي شهر رمضان، مثلًا، يعتمد المسلمون على رؤية الهلال سواء الرؤية البصرية أم الفلكية، وقد يُراوِحُ بدء الصيام بين الدول من يوم إلى يومين، وربما ثلاثة، لكن إذا جاء موسم الحج؛ فإن العالم كله لا يملك سوى التسليم لما تقرره المملكة للصعود إلى عَرَفة، يوم التاسع من ذي الحجة من كل عام. وكانت المملكة تسير على التوقيت الغروبي.

أذكر أني قبل أكثر من عشر سنوات كنت في زيارة إلى المدينة المنورة، فسألت سبعينيًا عن وقت صلاة العشاء؛ فقال لي الساعة واحدة ونصف!

وهذا التوقيت الغروبي -كما هو معلوم- يبدأ به النهار مع شروق الشمس، فالساعة السابعة حسب تعبيرنا حاليًا هي الساعة الواحدة صباحا حسب التوقيت الغروبي.

وفي كتاب (حبات من عنقود)، اشتكى رجل الأعمال، الأديب محمد علي مغربي رحمه الله، من تأخر طائرة الخطوط السعودية



وانتظارها قبل نحو نصف قرن. الشاهد في موضوعنا أنه قال: «وصلت الطائرة إلى مطار الرياض في وقت الظهيرة، ولم يسمح للركاب بمغادرة الطائرة، وبقينا ساعة ونصف الساعة من السادسة والنصف إلى الثامنة».

وأوردت قديمًا جريدة البلاد، خبرًا ذكرت فيه أن الظهر الساعة السادسة، (طالع الصورة المرفقة).

ثم بدأت قيادات المملكة تفكر في الانتقال إلى التوقيت الزوالي، فقد حكى الأستاذ عبدالله عمر خياط، رئيس تحرير صحيفة عكاظ الأسبق، إنه كان في حفل زفاف ابنة الأستاذ محمد عمر توفيق، وزير المواصلات الأسبق، وقد حضر الحفل أعيانٌ من المدينة المنورة، ومكة المكرمة، كما حضر الأمير مساعد بن عبدالرحمن، وزير المالية، والأمير سلطان بن عبدالعزيز، وزير الدفاع، رحمهم الله جميعًا. وما لبث الأمير مساعد أن غادر الحفل فشكره المضيف، ثم طلب من الأمير سلطان البقاء لمشاركة الحضور فرحتهم وسماع الطرب. قال الخياط وعلى حين



الملك فيصل

هذه المواد نشرت بتاريخ ٣٠/ ٢/ ١٣٨٥هـ الموافق ٢٩/ ٧/ ١٩٦٥م

غلام يتسبب في حادث حريق

الحريق يستمر أكثر من ٦ ساعات

وقام بالتحقيق السيد القائد رئيس المنطقة الخامسة عبدالحميد زمزمي.
وقد نجم عن هذا الحادث تلفيات في العمارتين المتلاصقتين وفي الدكان.
وعلى اثر انتهاء الحريق طلبت المنطقة الخامسة من امانة العاصمة هدم العمارتين وهما تابعتان لآل قطب.
هذا والجدير بالذكر ان النار ظلت تشتعل منذ الساعة الحادية عشرة والنصف حتى الساعة السادسة من ظهر يوم امس رغم الجهود التي بذلها رجال المطافئ وعلى رأسهم مدير مطافئ العاصمة القائد جابر عبدالحفيظ.. وكافة رؤساء الفرق.

قبل تغيير نظام الوقت في المملكة كانت الساعة (١) السادسة ظهرًا هي (٢) الثانية ظهرًا اليوم
جريدة البلاد ٢٠/٢/١٣٨٥ - ٢٩/٧/١٩٦٥م

الزواني، فقد صدر الأمر الملكي في عهد الملك فيصل، رحمه الله، باعتماد التوقيت الزواني، وتم تطبيق ذلك تدريجيًا دون إكراهٍ حتى استقر التوقيت الزواني تمامًا، وإن بقيت آثار التوقيت الغروبي لدى بعض الناس.

وقد ضرب الملك فيصل القدوة للناس في احترام الوقت، ويقال إن كبار الموظفين كانوا يضبطون ساعاتهم على وصوله إلى مكتبه صباحًا، وهناك أناس أعرفهم منهم السيد محسن باروم، مدير عام التعليم بوزارة المعارف رحمه الله، يلتزمون بالدقيقة بمواعيدهم، وقال لي الأستاذ عبدالرزاق حمزة، مستشار وزير الحج والأوقاف، سابقًا، أطال الله في عمره، إنه يكون جاهزًا لأي موعد قبل نصف ساعة من الاتفاق عليه، نوع من الرجال كأنما يطبقون القول المأثور «الوعد كالرعد».

وأذكر أني حضرت إلى مقر البنك الإسلامي للتنمية قبل ربع قرن لمحاضرة يلقيها رئيسه الدكتور أحمد محمد علي، وكنا في القاعة قبل الموعد بنصف ساعة، وجلس إلى جانبي الأستاذ رئيس تحرير البلاد الأستاذ علي حسون، فقال بلهجته المدينية: الليلة نشوف الأسطورة، ويقصد بذلك أن الدكتور أحمد محمد علي أسطورة في احترام المواعيد، وما أن قارب عقرب الساعة الثامنة حتى هلّت طلعة الدكتور الأسطورة ليجلس في مقعده.

إدارة المرور تضمن للملك فيصل أن يصل إلى مواعيده بدون ربكة أو زحمة، لكن التيار الكهربائي أو المصاعد تحترم الأسطورة راعيًا أو رعية، فتتعاون وهي البكماء معهم؛



عبدالله عمر خياط رحمه الله

غفلة جاءني الأخ حسن دردير وقال لي الأمير سلطان يريدك، فتوهمت أنه يمزح معي، فلم أتحرك، ولكن بعد هنيهة جاءني الفنان محمد عبده، وقال لي: قم يا عمنا، جاك الخير، فالأمير يريدك، فلما وصلت إلى سموه قال: يا عبدالله، العالم حول المملكة عنده توقيت يختلف عنا، فالتوقيت العالمي يبدأ من منتصف الليل، حتى منتصف الليلة التالية، فضحكت، فقال أنا أكلمك لكي تكتب في عكاظ لتحويل الوقت الغروبي إلى العالمي الزوالي؛ لأنه أفيد للناس، كما يساعد الموظفين والتجار ورجال الأعمال على التفاهم مع أندادهم في أي مكان من العالم.

قلت: وتريدني أن أنسب هذا الكلام إليك؟

فقال: عجيبة، يقولوا عليك كاتب كبير وما تبغا تتحمل المطالبة بتغيير التوقيت؟!

ولما كان العالم كله يعتمد التوقيت



الأمير الراحل سلطان بن عبدالعزيز رحمه الله و الدكتور أحمد محمد علي

إذ لم نسمع قط أن الدكتور أو السيد البارووم أو السيد حمزة، ناهيك عن الملك فيصل، حبسهم مصعد، أو تعطلت سيارتهم، أو انفجر إطارها، فتأخروا عن موعد من مواعيدهم؟

القدوة موجودة، لكن المماطلة والبيروقراطية تفعلان بالناس الأعاجيب. وقد لاحظ الأستاذ محمد عمر العامودي أن أحد الموظفين إذا جاءته معاملة في جدة يرسلها إلى الرياض، فينتظر صاحبها عدة أيام أو أسابيع لكي تعود معاملته. فقال العامودي لماذا ترسل المعاملة إلى الرياض وأنت بإمكانك أن تنجزها في جدة؟ فقال له لكي أعطي منصبي هيبة، فقال العامودي هذه خيبة لا هيبة.

نعم، ربما يكون هناك ما يقتضي التأخير، لكنه تأخير في الصالح العام. يذكرون إن المستشرق البريطاني انجرامس قابل العلامة السيد عبدالله محفوظ الحداد في مدينة الديس الشرقية، شرق مدينة المكلا، قبل ستين أو سبعين سنة، فسأله ما هي القضايا في الشريعة الإسلامية العاجلة والمتوسطة والطويلة. فقال له القضايا العاجلة هي في الأحوال الشخصية من زواج ورجعة وغير ذلك، فهذه نعجل بالبت فيها كي تلتئم الأسرة. أما المتوسطة، فهي قضايا الوقف: للتأكد من الشهود وإيصال الحقوق إلى مستحقيها. وأما الطويلة، فهي قضايا الدماء.. فلا بُدَّ من التحرّي الشديد قبل القصاص، فلعل أولياء الدم يقبلون بالدية أو العفو، أو ربما تظهر شبهة، تندرج القضايا تحت الحديث الشريف: ادرأوا الحدود بالشبهات.

قصارى القول، إن الوقت أغلى ما في رصيد بنوك الحياة. وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: استفدت كلمة من هؤلاء المتصوِّفة، قيل ما هي يا إمام؟ قال: قالوا الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

* نائب مدير مركز معلومات مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر سابقاً، ومترجم.

الزمانُ في الفِكر العربيِّ الإسلاميِّ

■ د. توفيق زهير*

شكّل الزمن أو الزمان بمفهومه -وماهيته -أهم معضلات الفلسفة عبر تاريخها الطويل، من طلائع فلاسفة اليونان وحتى الفلسفة الحديثة؛ فمن فلاسفة الطبيعة ما قبل سقراط، كان الخلاف والاختلاف بينهم حول الزمان والحركة؛ فمنهم من انطلق من التغير والزمن، ولا معنى للوجود خارج إطار الزمن (هيراقليدس)؛ ومنهم من أنكر الحركة والتغير، وأعلى من قيمة الثبات والسكون (زينون الإيلي)؛ ومثله الفكر الهندي الهندوسي المؤمن بالسكون والسكينة. وأصبحت مقولتا الزمان والمكان أهم مقولات الوجود(موضوع الفلسفة)، منذ أرسطو في العصور القديمة إلى الفلسفة الحديثة، مرورًا بفلسفة العصور الوسطى المسيحية والإسلامية، وحتى في التحوّل الجذري في مباحث الفلسفة، والانتقال من الوجود إلى المعرفة مع ديكارت، ومن المعرفة إلى التاريخ مع ماركس. والثقافة في الفلسفة المعاصرة، ظل الزمان مرافقا وأساسًا!. وأهم من انشغل به في الفلسفة المعاصرة هيدغر الذي عدّه قوة سلبية هدامة، تقود الإنسان للعدم، بعكس برجسون فيلسوف الحدس والديمومة الذي أبرز الجانب الإيجابي للزمان من خلال الديمومة، وربطها بالخلق والابداع. وفي الفن تم الإحساس بوطأة الزمن الذي يقودنا إلى الشيخوخة والموت والخريف، وتم التحايل عليه لتجاوزه بالأزلية؛ أي بتأبيد الحاضر والآنية (انظر جدارية درويش)، إضافة لتقنيات الاستباق والحنين (الوقوف على الأطلال والحدود) والحذف والاسترجاع في الابداع الشعري والسردي.

يشكّل الزمان والمكان إطارًا تكوينيًا للمعرفة والوجود، ولا يمكن تصورهما خارج العالم، أو تصوّر الأشياء في العالم خارج إطارهما، من حيث المبدأ.

فما هو الزمن؟ وهل هو حقيقة موضوعية واقعية، أم مجرد إطار نظري بحت؟

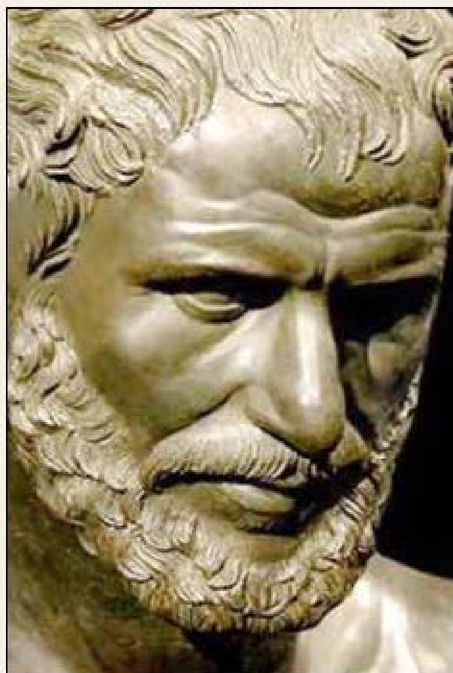
لقد كان المكان كمفهوم أكثر ملموسية وواقعية وبساطة من الزمان، من خلال مفرداته المحسوسه (ألّا صدق). وإن شئنا الدِقة، قلنا إن المكان فكرة، ومقولة في الفلسفة، أما الزمان فإشكالية. وأما علميًا فنقول مع الفيزياء إن للمكان والزمان وجودًا حقيقيًا، ما دام الوجود نفسه ماديًا وموضوعيًا متصلًا؛ فهو إذًا قابل للقياس والتكميم. ولقد كان الزمان والمكان المطلق في فيزياء نيوتن الكلام الفصل في العلوم



الطبيعية والفلسفة (فلسفة كانط، حتى ظهور النظرية النسبية والكوانتم في القرن العشرين، وما بينهما، عندما ظهرت نظرية التطور الداروينية التي بطلها الزمن في ق١٩، وقبلها نظرية التقدم في عصر التنوير في ق١٨، وأصبح مفهوم التطور في العلوم الطبيعية، والتقدم في العلوم الإنسانية، نتاجَ فكرة الزمن كفاعلية وإطار مفاهيمي.

وفي الكانطية، ارتبط الزمان بالحساسية، ويقوم على التعاقب بين الأحداث وفقا للسببية، وغير قابل للارتداد أو الدوران، كما تقول نظرية العود الأبدي الذي قال بها ابن تيمية سابقا، وكان نيتشه آخر من قال بها حديثًا، وفنّدها علم الفيزياء بقوانين الديناميكا الحرارية. وعليه، فالمكان يقوم على التتالي، وفقًا لعلم الهندسة والزمان، الإطار الصوري القبلي لكل الظواهر. وإذا كان المكان إطارًا لتجربتنا الخارجية، فالزمان إطار التجربة داخليًا وخارجيًا.

نعود للفلسفة اليونانية، إلى أفلاطون وأرسطو وأفلوطين الصوفي، وهم الأكثر تأثيرًا في الثقافة العربية الإسلامية في العصور الوسطى: في التصوف، وعلم الكلام، والفلسفة، بمقولات الميتافيزيقا، والكوزمولوجيا بشكل عام، والزمان بشكل خاص. وقد مثلت محاورة تيماوس لأفلاطون البداية الحقيقية لجدل الفلسفة بالزمان (CHRONOS)، كونه جزءًا من عالم المحسوسات ومحاكاة عالم المثل التي

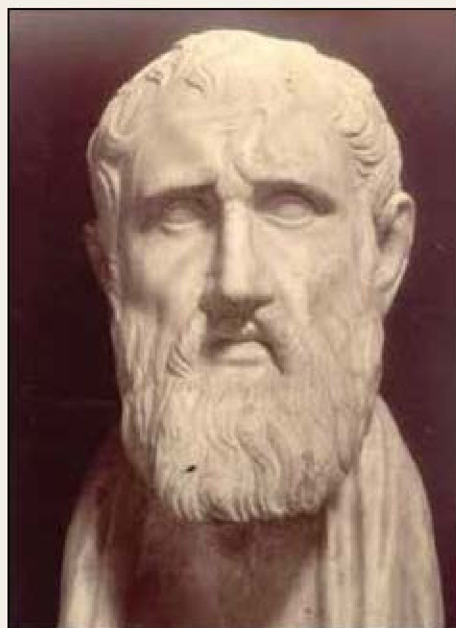


هيرقليطس



هيرقليطس: لا معنى للوجود خارج الزمن!

تقابله بالأبدية أو الأزلية (AION) في عالم الأصل السماوي، عادًّا للزمان بداية ونهاية، بعكس أرسطو الذي رفض البداية (كون العالم قديم)، وسار على نهجهم فلاسفة الإسلام: فابن سينا رغم تأثره بنظريات



زينون الأيلي

الفيض الأفلوطينية عدَّ الزمانَ لا متناهٍ، وليس له بداية، وأفرد الكثير من الشروح في طبيعيات الشفاء والنجاة -متبعًا آراء أرسطو- وفي رسائله المتعددة، ومنها رسالة خاصة في الرد على أن للزمان بداية، وفي التأثيرات الأفلوطينية، يقول: إن الزمان راجع للنفس الكلية، والنفس الكلية سبب الحركة، ولا زمان بدون حركة. أما الرازي فأشار إلى أن الزمان بيِّنٌ بذاته كمقدار، وهو متعلق بالحركة، وإذا لم يحس بحركة لم يحس بزمان.

مثل أفلاطون، ومن بعده أفلوطين مرجع النزعات الغنوصية الصوفية والعرفانية والفلسفة المشرقية كما أوضحنا، وهو المأخذ الكبير لابن رشد على الفارابي وابن سينا اللذين ابتعدا عن عقلانية أرسطو، وفتحوا المجال للغزالي لضرب الفلسفة ككل. ومن المتأثرين بأفلوطين جماعة إخوان الصفا في الفكر العربي الإسلامي، ومثلت تاسوعية أفلوطين الثالثة على سبيل المثال مرجعية أساس لفكر إخوان الصفا، رغم عدم وجود فصل مخصص للزمان في الرسائل، لكنه حسب أفلوطين، فهو والنفس الكلية (العالم) وجدا معًا عن الأقنوم السابق (العقل الفعال).

ومثّل أرسطو في المقابل مرجعية النزعة العقلانية في الفلسفة عند ابن رشد، ومفهوم الزمان كونه بلا بداية ولا نهاية، وبدون أحداث لا يوجد مكان ولا زمان، وهي فكرة شكلت معضلة في الفكر الإسلامي القائل بفكرة الخلق، وبالتالي انشغل الفلاسفة بالتوفيق بين العقل والنقل، أي بين القديم والحادث، والحادث هذا إما زماني: ويعني إحداث شيء ما بعدً لم يكن له وجود في زمان سابق، وهناك الإحداث غير الزماني: ويعني إفادة الشيء وجوداً، وليس له في ذاته ذلك الوجود لا بحسبِ دون زمان؛ بل في كل زمان. وهناك الحدوث الذاتي كون الشيء مفتقرًا في وجوده إلى غيره، والحدوث الزماني ويقصد به كون الشيء مسبوقا بالعدم زمانيًا. وهناك القديم المطلق الذي وجد في زمان ماضٍ غير متناه، وهناك القديم بحسب الذات، فهو الشيء الذي ليس لوجوده ذاته مبدأ به وجب، أما عند الصوفية كالجويني، فالقديم هو الذي

لا أوّل له ولا آخر، وهناك القدم الذاتي ويعني عدم حاجة الشيء إلى غيره؛ وهناك القدم الزماني، ومعناه أن الشيء غير مسبوق بالعدم.

وانعكست قضية العالم حادث أو قديم على مفهوم الزمن، واتخذ الزمن بتحولاته ومفرداته ومترادفاته الاهتمام الواسع أيضًا من المعاجم واللغويين وعلماء الكلام؛ فهناك المدة وتعني الزمان المطلق، الذي لا تحده حركة، ولكن لا يوجد مدة خالية من الحركة إلا بالوهم، وهناك الوقت الخاص بالصوفية الذي هو زمان الحال، ولا تعلقّ له لا بالماضي ولا بالمستقبل، وهو عند أبي البقاء المقدار من الدهر، والدهر عند الصوفية هو الآن الدائم الذي هو امتداد الحضرة الإلهية، وهو باطن الزمان، وبه يتحد الأزل والأبد، والأبد استمرار الوجود ما ليس له نهاية، والأزل هو زمان ليس له بداية، والسرمد دوام الزمان في المستقبل، وعند ابن سينا هو المعنى المعقول من إضافة الثبات إلى النفس في الزمان كله؛ فالزمن عند الحكماء (الفلاسفة) هو مقدار حركة الفلك، وعند المتكلمين متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم؛ و(الآن) عند ابن سينا هو الطرف الموهوم، ويشترك فيه الماضي والمستقبل من الزمان، وقد يقال (آن) لزمان صغير المقدار؛ وهناك الحين بمعنى الدهر أو المدة أو أي وقت مبهم.

أما ابن رشد الأرسطي الصارم، فعدّ الزمان قديمًا، كما جاء في شروحاته لما بعد الطبيعة لأرسطو، ورفض مقولات المتكلمين، وعدّ الزمان بيّنٌ بنفسه، والبحث يتم في ماهيته ولا زمان بدون حركة، وهو عارض هذه الحركة، ولا يوجد بنفسه كجوهر، وهو ما يقسم الحركة ب (الآنات) إلى متقدم ومتأخر فهو عدد الحركة، وهو بالماضي والمستقبل دليل قِدم العالم، وهو كعرض وضع، وليس له الوجود الفعلي، وما دام مرتبطًا بالحركة، فما هو ساكن لا يتحرك، ليس في زمان أصلًا.



ابن رشد

* كاتب - الأردن.

جدليَّةُ الوقت والحياة عند الشعراء

■أ.د.راشد عيسى*

أتوقع أنَّ مصطلح الوقت جزء من مفهوم الزمن الكلّي العام. وما يزال الزمن منذ فلاسفة الإغريق حتى عصرنا الحاضر مفهومًا إشكاليًا واضحًا وغامضًا معًا.

فهو يتفلَّت من الفكر الفلسفيّ ويعود إليه، ويتملّص من الفيزياء ويعود إليها أيضًا؛ فليس من اليسير الإمساك بجوهره وكيفياته وصيروراته؛ فهو شعوريّ، وعقليّ، وغائب، وحاضر، ومدرك، وغير مدرك!

والوقت هو الآلية التطبيقية لتفتيت الزمن العام إلى زمن خاص معيش، يديره الإنسان لقضاء حاجاته الشعورية النفسية العميقة من صعيد آخر. ومن هنا. سعى الإنسان إلى تفكيك الوقت نفسه إلى مواقيت: ثانية، دقيقة، ساعة، يوم، أسبوع، شهر، عام، قرن؛ ثم الفجر. والصباح. والضحى. والظهيرة. والعصر، والمغرب. والعشاء، والغسق. واستمر الإنسان في توليد دوال زمنية (توقيتية) لحاجته التعبيرية في تحديد المواقيت؛ فعرفنا اللحظة، والبرهة، والهنيهة، والمرحلة، والفترة، وسائر الظروف والتقسيمات التي تحدّد الوقت.

ربما كان الفيلسوف الإغريقي أبيقورس أوّل من انتبه إلى مثلث الماضي والحاضر والمستقبل. لكنه انحاز إلى «الحاضر» بصفته زمنًا خاصًا، ودعا في فلسفته إلى استثمار لذة هذا الحاضر؛ إذ الماضي ولّى ولن يعود، والمستقبل غير مأمون أبدًا.

واستمرت هذه الفكرة في التناقل عبر البيئات الثقافية في كل العالم. فرأيناها عفوية صادقة عند الجاهلي طرفة بن العبد، في صورة صرخة وجودية عنيفة:

ألا أيهذا اللائمي أشهد الوغى
وأن أحضر اللذات هل أنتَ مخلدي

فدعني أروّي هامتي في حياتها
ستعلم إن متْنا غدًا أينا الصّدي

فطرفة غير واثق بالمستقبل؛ لأن المستقبل هو الموت. أما الحاضر، فهو اللذة! وبلغت الفكرة ذروتها عند الفارسي عمر الخيام في رباعياته التي تتجوهر حول اللذائذ الثلاث: الحب والخمر والزمن الآنيّ المعيش في اللحظة، فقال بترجمة أحمد رامي:

ولا تشغل البال بماضي الزمان
ولا بآتي العيش قبل الأوانْ

واغنم من الحاضر لذاته
فليس من طبع الليالي الأمانْ

غدٌ يظهر الغيب واليوم لي
وكم يخيب الظنّ في المقبلِ

ولست بالغافل حتى أرى
جمال دنياي ولا أجتلي



فطرفة لا يريد أن يغفل عن متعة الزمن الحالي، فالموت بالمرصاد، فإذا ذهبت متعة الحاضر فلن تعود، ولا يظفر الإنسان إلا بالعطش عند الموت. والخيّام يرفض كذلك أن يغفل عن جمال الدنيا، ما دام المقبل من الأيام سيكون خائنًا؛ إذ ليس من طبع الليالي الأمان.

غير أن ثمة وقتًا شعوريًا خاصًا للشعراء، ولا سيّما العشاق منهم؛ ففي معلّقة امرئ القيس منظومة من الأوقات الخاصة التي يتباكى على مرورها:

كأني غداةَ البين يوم تحملوا
لدى سمرات الحيِّ ناقف حنظلِ

ألا رُبَّ يومٍ لك منهم صالحٍ
ولا سيّما يوم بدارة جلجلِ

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزةٍ
فقالت لك الويلات إنك مرجلي

ويوما على ظهر الكثيب تعذَّرت
عليَّ وآلت حلفة لم تحلَّلِ

ثم يستعيد زمن لقائه ببيضة الخدر في ما يزيد على عشرين بيتًا يصف بها محاسن تلك المحبوبة، لينهي استعادة هذا الموقف بتوكيده الحرص على زمن الصبا الذي تمثل في تعالقه مع بيضة الخدر تلك:

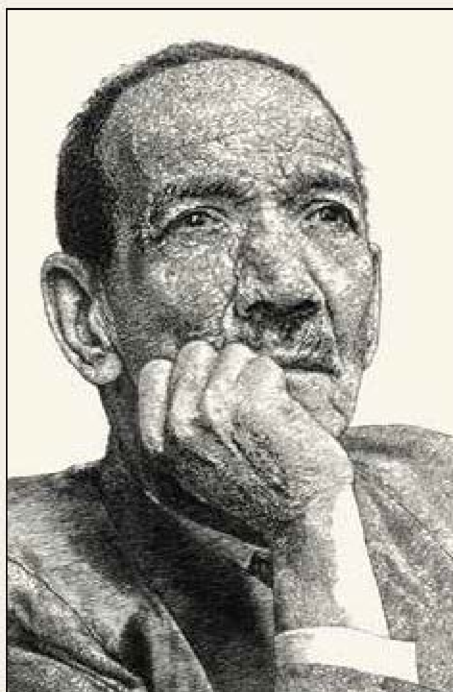
تسلّت عمايات الرجال عن الصِّبا
وليس فؤادي عن هواكِ بمنسلِ

فزمن الشباب خالد في فؤاده، إنه زمن شعوري خاص لا يحسّ به إلا الشاعر العاشق نفسه.

على أن المعلّقة تنطوي بعد ذلك على مزج نفسي صاخب بين الزمن الشعوري الخاص عند امرئ القيس، والزمن الخارجي (الليل)، فيصف طول الليل بثلاثة أبيات تبدو كأنها مشهد



الهادي آدم ١٩٢٧ - ٢٠٠٦



أحمد رامي

سينمائي تجريدي مدهش:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ
بصبح وما الإصباح منك بأمثلِ

فيا لك من ليل كأنَّ نجومه
بكل مغار الفتل شُدَّت بيذبل

كأنَّ الثريا علِّقت في مصامها
بأمراس كتان إلى صمِّ جندلِ

فلنتأمل هذا التجسيد الغريب لليل، فنجومه مشدودة بحبال إلى جبل يذبل، والثريا أيضًا مربوطة بأمراس الكتان إلى جبل صخري شديد الصلابة. فهو يومئ بهذه الصورة الشعرية الخارقة إلى ثبات الزمن وسكونيته أمام صخب مشاعره المتحركة الهائجة، في صراع نفسي شديد العمق بين رغبة الشاعر في تحريك الزمن الليلي إلى زمن إصباحي يشاهد فيه الحبيبة؛ ليتخلص من احتراقه الجوَّاني للقاء تلك الحبيبة.

أما قيس بن الملوَّح فقد جسَّد الزمن الطفولي الشعوري الخاص ببيتين تحسَّر فيهما على انقضاء ذلك الزمن عبر التمنِّي الموجع:



تعلَّقْتُ ليلى وهي ذات تمائمٍ
ولم يَبْدُ للأتراب من ثديها حجمُ

صغيرين نرعى البهْمَ يا ليت أننا
إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهْمُ

فالدوال الزمنية (ذات تمائم)، (لم يبدُ الأتراب من ثديها حجمُ) (صغيرين)، تؤكد تلك المرحلة الطفولية التي تساوي حياته كلها، فعندما تمنَّى أن لا يكبرا؛ إنما أراد أن يوقف الزمن عند تلك اللحظات، وهي لا شك لحظات خاصَّة تلغي أو تسخر من الزمن الموضوعي العام، وتلخِّصه بالزمن الطفولي الخاص. لكن الإبداع في البيتين يتمركز في تمنِّي الشاعر بأن تبقى الأغنام فتية حتى لا تشيخ فتموت، إذ بموتها يمتنع سبب الرعي، أي سبب لقائهما في المرعى.

ويذهب أحمد شوقي في بيت شعري واحد إلى تمجيد اللحظة الزمنية والمكانية، بحيث تصبحان جوهر الحياة الوجدانية وتنوبان عن مراحل العمل كله:

قد يهون العمر إلا ساعةً
وتهون الأرض إلا موضعا

تمامًا على نحو ما قال امرؤ القيس (ولا سيَّما يوم بدارة جلجل)، ففي حياة كل إنسان لحظة أو ساعة أو يوم أو نظرة خاطفة لا تغيب عن شعوره، ولا تخرج من خزانة ذاكرته الشعورية، وتعيش معه ما دام حيًّا، يسترجعها متى شاء كلما أوجعته حوادث الدنيا وتقلباتها، وكلما كثرت خسائر الروح في الحب تحديدًا.

ولهذا، تتكرَّر مفردة (أغدًا) في قصيدة الهادي آدم (أغدًا ألقاك) أكثر من عشر مرات عبر أنَّات عاطفية ساخنة (أغدًا ألقاك يا خوف فؤادي من غدي)، ففي تلك القصيدة مواجد واحتراقات انفعالية تترقب مجيء الغد، إذ





سيكون اللقاء الذي يضاهي العمر كله سعادة ونشوة. وإلى مثل الهادي آدم ذهب الشاعر اللبناني جورج جرداق في قصيدته (هذه ليلتي)، ليخصص الزمن العام بتلك الليلة التي تعادل ليالي العمر ماضيًا ومستقبلًا:

«هذه ليلتي وحلم حياتي
بين ماضٍ من الزمان وآتِ»

إنها الفكرة الأبيقورية نفسها تتكرر لدى الشعراء في جميع الثقافات، وهي فكرة لا تخص الشاعر وحده، إنما جميع الناس؛ غير أن الشعراء أقدر من غيرهم على إبرازها والتعامل مع أهميتها الوجدانية، كل حسب أسلوبه ومكابدته. ولذلك، تصرخ الشاعرة الروسية مارينا تسيفيتايفا في قصيدتها الشهيرة (لا وقت في الحياة) ليقول محمد درويش بعدها (لا وقت في الوقت) بحثًا عن الوقت الخاص المنشود من لدن الشعور القلباني الصاخب.

يلتقي الحبيبان ساعات فيحسبانها دقيقة واحدة، فالزمن في الحب يتلاشى عند اللقاء، لكنه يتمدد ويتعاظم عند الانتظار أو الفراق، فتصبح الدقيقة في حساب الشعور ساعة أو يومًا أو شهرًا أو سنة. الحب يفتت الزمن ويمدّده بحسب الحال الشعوري.

وإذا تدانينا من الزمن عند المتنبي، رأينا هذا الشاعر العظيم يتباهى بأنه أعظم من الزمن نفسه:

أريد من زمني ذا أن يبلّغني
ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

فما الذي يسعى إليه الزمن أكثر من ديمومته؟ لقد أدخلنا الشاعر في نوايا الزمن الذي نجهل إرادته وسيرورته. والمتنبي نفسه نراه في موضع آخر يقول: ولتخذ مني ساعة ثم تنقضي.

لقد كانت همته متجاوزة لمفهوم الزمن نفسه، إلى أن تبعه ابن سناء الملك في شطح شاهق من الكبرياء، ليقول:

وإنك عبدي يا زمان وإنني
على الرغم مني أن أرى لك سيّدا

فهو يأنف أن يكون سيّدًا مسيطرًا على الزمن، لأن الزمن في مفهومه أقل شأنًا منه.. شاعر يريد من الكائنات أن تعبده:

ولو علمت زهر النجوم مكانتي
لخرّت جميعا نحو نعلي سُجّدا

إنه مرض الذات المتضخمة، وهو في الوقت نفسه فضاء تخييلي كاذب، لكنه جميل فنيًا في مجال الكذب الشعري.

ولولا ضيق المجال، لتوسعت في طرح القضية عند الشعراء الأوروبيين، فهم كغيرهم من الشعراء ينظرون إلى لذة الزمن الحاضر بعيدًا عن انتظار المستقبل.

---

* كاتب - الأردن.

فلسفةُ الزمنِ وعُشبةُ الخلودِ

■ أ. د. أحمد بن ماضي الماضي*

في البحث عن فلسفة الزَّمن إبداعيًا؛ مفهومه، ودلالات الصِّراع المرير معه، والموقف منه.. نعثر عليه في سرديَّات تاريخيَّة مُتعدِّدة في الأدبيَّات القديمة، الأسطوريّ منها أو الميثولوجيّ، كما نجده - الزَّمن - في ملحمة جلجامش السُّومريَّة كمثالٍ بطوليّ؛ مُتخفّيًا يدفع جلجامش الملك السُّومريّ المستبدّ إلى أن يقف أمامه عاريًا إلَّا من إرادة الفوز بسرِّ عشبة الخلود؛ حينها يصبح الصِّراع الضَّاري مع الزَّمن صراعًا بين خصمين: البقاء والعدم. أرادها جلجامش بإرادته الفرديَّة الضَّارية أن تكون رحلة البحث عن العشبة، رحلة عذبة لا رحلة عذاب، وأراد أن يصدّ تدفُّق الزَّمن كنهرٍ جارف نحو العدم بعد أن صعقه موت صديقه أنكيدو، فاختلطت معاني الحياة والبقاء في ذهنه.

يقول الشَّاعر الرَّاحل حسن السَّبع: «أراد جلجامش أن يهزم الفناء، وأن ينتصر على الزَّمن؛ لقد هام على وجهه لتحقيق هذه الأمنية، وعاد من رحلته بنبتة عجائبيَّة صغيرة». وقد سمَّاها عشبة الخلود، دلَّه عليها حكيمٌ، إلَّا إنَّ العشبة اختطفتها منه أفعى حينما كان يستحمُّ في بركة ماءٍ بارد، فجلس يبكي وينشد بلوعة فقدان تلك العشبة، فيعود جلجامش كالآخرين يشيب ويكتهل ويُرَدُّ إلى أرذل العمر ويموت.. وقد نُصح بأنَّ يملأ أيَّامه باللَّذائذ والمتع، وأن يحدَّ من غلواء طموحاته، وقد أتته هذه النَّصيحة من ساقيةِ حانِ الآلهةِ الَّتي التقاها عند حافَّة الإقيانوس العظيم المحيط بالكون أثناء بحثه عن نبتة الخلود.. فتقول له:

إلى أين تمضي يا جلجامش؟
الحياةُ الَّتي تبحث عنها لن تجدَها
فالآلهةُ لمَّا خلقتِ البشر
جعلت الموت نصيبًا لهم

أمَّا أنت يا جلجامش فاملأ بطنك
أَفرِح ليلك ونهارك
اجعل من كلِّ يومٍ عيدًا
أُرقص لاهيًا في اللَّيل والنَّهار.

وهو ما يستدعي إلى الذَّاكرة الفلسفة الزَّمنيَّة الحياتيَّة الشِّعريَّة الرَّاقية لعمر الخيَّام، حين قال:

لا تشغلِ البال بماضي الزَّمان ... ولا بآتي العيشِ قبل الأوان
واغنم من الحاضر لذَّاته ... فليس في طبع اللَّيالي الأمانُ

فهل وصل جلجامش إلى سرِّ الخلود؟ وما هو الخلود في ذاته؟

هل هو الصِّراع الخاسر مع الزَّمن الَّذي هو نهرٌ يجري فينا؟

نظريًا الزمن هو الواحد المُتعدِّد المنقسم إلى أزمنة مُتفرِّعة من وَحدته الفيزيقيَّة، تبدو

لنا كأغصانٍ مُورقة تتدلّى من جذعٍ واحد. وخياليا تتشكّل شجرة الزّمن من أوراق الزّمن النّفسيّ والزّمن الذّهنيّ والزّمن البيواجتماعيّ، وقِسْ على ذلك أزمنةً أخرى مُتعدِّدة الأشكال، الحضور، والغياب، كما أشار إليها الفيلسوف الفرنسيُّ غاستون باشلار في كتابه (جدليّة الزّمن).

أي إنّ تعدُّديّة الزّمن ليس في واقع الحال إلّا نبعًا من انبثاق الأحاسيس البشريّة وطريقة التّفكير العقليّ. سيلانه كنهرٍ لا مرئيٍّ في واقعٍ فيزيقيٍّ مُحدَّد لا يمكن معرفته خارج الوعي، خارج الإيقاع النّفسيّ، وضمن حدود هذا الوعي.

الزّمن في جوهره ليس إلّا بعدًا رابعًا للكينونة/ المكان والوجود معًا، فالمكان بأبعاده الثّلاثة لا يتوجد إلّا بِبُعده الرّابع: الزّمن.

والكتابة في بُعدها الكونيّ حينها ليست إلّا انعكاسًا موضوعيًّا لهذا الوجود المتزامن.

الزّمن كما أنّه يبني صيرورة الوجود يُتلفه، إنّه دودة الانحلال الأولى تولد مع بزوغنا الأوّل، فيزرع بذرةَ الفناء في نسيجنا الفيزيقيِّ الهشّ، ليصبح قرينًا لمعنى الوجود والعدم في المفهوم الهيدجريّ، ومحايثًا لمآلاتنا، كما عبَّر عن ذلك الشّاعر الفرنسيُّ بيير ريفردي:

(هو الزّمان، نقطة نقطة، يحفر حجرك العاري
صدر خرَبه فولاذُ الدّقائق
واليد في الظّهر تدفع إلى المجهول)

تكشف الكتابة المُتعدِّدة الأصوات والمُتعدِّدة التصوُّرات والمُتعدِّدة الأشكال والمُتعدِّدة التّواريخ أنّ الزّمن ليس من بداية مُحدَّدةٍ له وليس من نهاية متحيِّنة!

الزّمن وجودٌ غير مرئيٍّ أثره، لا تخطئه العين ولا البصيرة، العين المُعماة هي أيضًا في إحساسٍ به كالأكسجين يحوط بنا بلا انفكاك.

في تعريف الأشاعرة للزمن في تراثنا الفقهيِّ بأنّه: «مُتجدِّد معلوم يُقدَّر به متجدِّدٌ آخر موهوم»، ونجد هذا التّصوُّر المفهوميَّ للزّمن لم



الشاعر الراحل حسن السبع



ملحمة جلجامش

يبتعد عن أبعاده الثَّلاثة: الحاضر الماثل بازغًا من الماضي، والمستقبل المجهول أو الموهوم بازغًا من الحاضر لا محالة، هذه الحركة الأفقيَّة المتواليَّة تنغلق في دائرتها لكي تنفتح امتدادًا أفقيًا آخر إلى ما لانهاية.

وما توصَّلت إليه التِّقنيات الحديثة، وما حازته من قدرات علميَّة وعقليَّة وتجريبيَّة انصبَّ في خَلْق حالة مغايرة وخلَّاقة في تحدِّي الزَّمن ومواجهته، ومكَّنت العقل البشريَّ من طُرق محاصرة أثره وحفريَّاته الجسديَّة والنَّفسيَّة المؤلمة، وطرق التَّخفيف من غلوائه وجَوْره على سيرورة الحياة الإنسانيَّة، وامتدت هذه القدرات الواعدة والثَّورات العلميَّة حتَّى اللَّحظة، نحو تخليق مستقبل موائم بين الإنسان والزَّمن، ونحو إمكانيَّة استطالة زمنيَّة للجسد البشريِّ، عقله وذاكرته وأحلامه.



الزمن عنصر مهم في تفكير الإنسان

ونظراً لأن الزَّمن الأفقيَّ هو الَّذي نُطلُّ منه على الوجود، وهو ليس وعيًا ذاتيًا بل كينونة منفصلة، مستقلٌّ بذاته، والوجود لا يكتمل إلَّا بنقيضه/ العدم.

الوجود حسب هيدجر هو: حركة الزَّمن فينا الَّتي تقودنا قُدمًا نحو العدم/ المستقبل.

والمكان عند هيدجر هو: نقطة وامتداد وحضور، وما الزَّمن غير لحظة وديمومة وحركة وصيرورة أفقيَّة.. هذه الرُّؤية الميتافيزيقيَّة للزَّمن لا نجدها عند كانط الَّذي ينظر إليه ليس كحالة قدريَّة، بل كحالة موضوعيَّة مُوعَى بها، نابعة من داخل الذَّات الواعية، فلا يفسِّر معنى الوجود بالزَّمان، إنَّما يُضفي على الزَّمن معنى موضوعيًا آخر داخل وجودنا ذاته لا خارجه.



هيدجر

* أستاذ الفلسفة في الجامعة الأردنية.

الزمنُ في الفكرويّات الإسلاميّة

■ محمد سلام جميعان*

الزمانُ واحدٌ من الإشكاليات التي واجهت الفكر الديني والعلمي والفلسفي، كونها ترتبط بالإنسان وجودًا وعدمًا ومصيرًا. وبالعالم حركةً وسكونًا. وانطلاقًا من فعل التعقّل الذي حثّ عليه القرآن الكريم (أفلا تعقلون). تجلّت الممارسات العملية للمفكرين الإسلاميين في بحث مشكلة الزمان في وعي الإنسان؛ إذ لا يمكن وعي الإنسان لذاته إلا بوعي الزمن؛ فالإنسان ذاتٌ متزمِّنة في بُعدها السيكولوجي والفيزيائي.

وقد تناول المفكرون المسلمون إشكالية الزمان من وجهتي الطبيعيات والإلهيات من خلال تُراثَيْن شكّلا التصورات الإسلامية عن الزمان، هما: التراث العربي الإسلامي متمثلًا في القرآن الكريم والحديث النبوي، وما انبنى عليهما من أقوالٍ للفقهاء والأصوليين؛ والتراث اليوناني، سواء ما فاض بالحديث عنه اليونانيون السابقون على أرسطو، أو ما جادت به قريحة أفلاطون والأفلاطونيون المحدثون.

وقد تدامج هذان التراثان في الوجدان العربي والإسلامي، فأضحت فكرة الزمان مرتبطة بمباحث ميتافيزيقية وطبيعية ونفسية قادت الفلاسفة إلى التفصيل في العلاقة بين الزمان والوجود، والحركة، والنفس، والوعي. وقد لعبت الثقافات التي تشرّبها الفلاسفة المسلمون في بيئاتهم الحضارية دورًها في تشكيل تصوراتهم عن الزمان حتى وهم ينطلقون في تأويلاتهم من النص الروحي (القرآن الكريم) لفكرة الزمان وتجلياتها اللغوية المعجمية التي شكّلها اللغويون عن مفهوم الزمان في بعديه: الحضاري والديني، فلم يغادر المفكرون المسلمون اللغة والدين. ولكن المجال اللغوي والنحوي، لم يحسم القول في تبيان دلالة الزمان.

وإذا ما أردنا تبئير طبيعة الزمان في حقول فكروية، أمكننا الإشارة إلى أن فكرة الزمان اتصلت في الفكر الإسلامي بالخلق والخلود والمصير.

ويمكن القول إنَّ آيات القرآن لم تُشِرْ لمفهوم الزمان، من حيث كونه جوهرًا أو عرضًا، أو ما إذا كان منفصلًا أو متصلًا، أو أنه موضوعي أو ذاتي، وِفق ما يراه أصحاب نظرية الوجود؛ لكن الصيغ والدلالات التي جاء النص القرآنيُّ عليها ترتبط بالزمان، وإذا ما شئنا حصر هذه الصيغ والدلالات وجدناها كما يأتي:

- أسماء الزمان الممتد للوقت أو محدود بأجل، أو أنه المدة والميعاد، أو بمعنى الزمان المقارب، أو المصاحب للفعل

والحدث؛ وِفق التقسيم الذي انتهى إليه المفسرون واللغويون: أبد، الدهر، أحقابًا، العصر.

- أسماء الزمان المحدود، مثل: أجل، أمد، أمَّـة، حين، ساعة، مـدَّة، وقـت، ميقات، موعد، ميعاد.
- الـزمـان المـقـارب والمصاحب للحدث: آنفًا، الآن[1].

ولـيس فـي الـنـصَ الـقـرآنـي مـا يفيد بـأنَ موضوع الزمان مستقل استقلالًا ذاتيًا، حتى في الآيات التي يرتبط فيها الزمان بالطبيعة، نجد الـزمـان يرتبط أيضًا بمعانٍ ميتافيزيقية تتعلق بعالمي الغيب والشهادة، ولكن ليس على نحو فلسفي أو علمي. فما بين الأزل والأبد يغدو كل شيء مرتهنًا للإرادة الإلهية في الخلق وتدبير أحوال الإنسان. فالقرآن يعرض زمانين:

- الـزمـن الإلـهـي، وهـو زمـن مطلق (أزلـي وأبدي وسرمدي) يمتدّ إلى ما لا نهاية، والذات الإلهية وصفاتها تكون قبل الزمان وبعده من دون السؤال عن الكيف.
- والزمن الطبيعي (الزمن الإنساني)؛ وهو مرتبط بحركية الفرد في أداء الشعائر الـديـنـيـة والابـتـهـالات، فـالـيـوم مرتبط بالصلاة، والشهر بالصيام، والسنة بالحج على سبيل التمثيل.

أما في الحديث النبوي، فيرد ذكرٌ للزّمان والـدّهـر عـدّة مـرات، كقول الـرسـول عليه الصلاة والسلام: «لا تسبُوا الدَّهر، فإن الله هو الدهر»؛ استنادًا إلى ما ورد في الحديث القدسي: «يؤذيني ابن آدم يسبَ الدهر، وأنا الدَّهر»؛ ووفقًا لشرح القرطبي: أي أن الله عز وجل، هو الفاعل لهذه الأمور التي تضيفونها إلى الدهر.

وفـي حديث آخـر "لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر؛ ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون الـيـوم كالساعة، وتـكـون الساعة كاحتراق



السَّقفة الخوصة".

أما الفلاسفة الإسلاميون، فلم يقفوا عند المعنى المجرد للزمان، بل ربطوه بالعلة والمعلول، ونتج عن استقراءاتهم للنص القرآني مذاهب شتى:

- مذهب الذين يقولون بالخَلق من لا شيء، وابتداء الزمن، بينما الله أزلي ولا بداية له. أما العالم فوجد من الماء الذي خلقه الله من العدم، وهو رأي المحدِّثين والمفسِّرين.
- العالم مخلوق من مادة موجودة قبل فعل الخلق؛ وأنَّ الزمان والعرش موجودان مع الله، وهو رأي الفارابي وابن رشد، وابن سينا.
- الله خلق الأشياء من عدم نسبي، أو مادة غير متعيِّنة هي (المعدوم)، وهو رأي المعتزلة. وتقوم فكرتهم الرئيسة على أن «المعدوم شيء يتصف بكونه قابلًا للتحيز، ويمكن إدراكه بالحواس، ولكنه لا يتصف بالفعل».
- الخلْق أزلي بالزمان، محدث بالذات على أساس الفيض (الأشياء تفيض من الله تعالى منذ الأزل. فالله هو علة العالم)، وهذا الرأي قال به إخوان الصفا، ومسكويه، والسجستاني؛ والحسن بن المرزبان، مستندين إلى آيات قرآنية وأحاديث نبوية.
- الخلق كنوع من التنظيم لحالة مادية أولى غير متعينة أو سديمية، ويسمى هذا الاتجاه بـ: (الخلق كصنع): أي بمعنى أن الله طبع الصورة على مادة غير مصورة (الهيولى)، وقد تبنَّى هذا الرأي: الرازي الطبيب، وطنطاوي، والكواكبي، ورشيد رضا وغيرهم.
- الخلق الدائم، بمعنى أنَّ قبل العالم زمان ومادة وعرش. وأن القرآن يشير إلى وجود عوالم قبل هذا العالم وبعده لا متناهية، كل منها حادث وزمني. وهذا رأي ابن تيمية.

ومع كلِّ هذه الرؤى، يظلُّ جريان الزمن في كينونة الإنسان يؤرِّق الحسَّ والشعور، لأنَّ المسافة بين الوجود والعدم مشحونة بأمل العثور على عشبة الخلود التي سعى إليها الأب الأول آدم..

---

* كاتب الأردن.

(1) انظر السور والآيات القرآنية المعبِّرة عن هذه الصيغ والدلالات: سورة النبأ: ٢٢. سورة العصر: ١. سورة النساء: ٧٧. سورة آل عمران: ٢٠. سورة المائدة: ١٠١. سورة الأعراف: ٢٤ ١٤٢. سورة ص: ٨١. سورة الكهف: ٤٨. سورة سبأ: ٢٠. سورة محمد: ١٦. سورة الجن:

فنُّ إدارة الوقت..كيف يمكننا تطوير ذواتنا!

■ د. هويدا صالح*

حينما ذهب الإمام محمد عبده إلى فرنسا عام ١٨٨١م، بعد فشل الثورة العرابية ودخول الإنجليز مصر، عاد يحمل معه دهشة مما رأى في الحضارة الأوربية المغايرة لحضارتنا وثقافتنا العربية، وقال مقولة خلدها الزمن» رأيت هناك إسلاما بلا مسلمين»، وتستكمل هذه المقولة بأن في بلادنا «مسلمون بلا إسلام»؛ فما الذي ميّز هذه المجتمعات ليصفها الإمام محمد عبده بأن فيها إسلامًا رغم أن أهلها يدينون في أغلبهم بالمسيحية؟ وما الذي نزع عن مجتمعاتنا روح الإسلام، رغم أن المجتمع العربي يدين بالإسلام دينًا رسميًا؟!

حقيقة الأمر الذي أوضحه الإمام في بقية حديثه أنه رأى هناك –ويقصد المجتمع الغربي– حرصًا على العمل وإتقانه، وعلى الوقت/ الزمن، وعدم إضاعته فيما لا يفيد؛ وهاتان القيمتان: قيمة العمل، وقيمة الحرص على الوقت وقضائه فيما ينفع الناس، قيمتان رئيستان في سُلَّمِ القيم التي دعا إليها الإسلام.

وحين تعلّم منا الغرب هذه القيم وهذه الروح وتمثلها أهله، صنعوا حضارة ومعرفة أفادت البشرية كلها؛ وحينما تخلينا عنها صرنا ضمن الأمم التي تستهلك المعرفة ولا تنتجها! ولم نتمثل قول النبي، صلى الله عليه وسلم، حينما قال: إن المسلم يوم القيامة سوف يسأل عن عدة أشياء ومن ضمنها «عمره فيما أفناه»، والعمر هنا يشير إلى مرور الزمن على الإنسان منذ لحظة الميلاد حتى لحظة الموت: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عُمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه».

إذًا، الزمن أو الوقت موضع سؤال في الإسلام منذ البداية، لكن المسلمين بمرور الزمن تخلوا عن هذه القيم الروحية، وتمثلها الغرب فوصل إلى ما وصل إليه من تقدم في كل المجالات نتيجة لاستغلاله قيمة الوقت.

إن استثمار الوقت وتثمين كل لحظة تمر بعمر الإنسان ينقل المجتمعات نقلة حضارية ومعرفية مختلفة على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ولكي نفهم أبعاد مفهوم الزمن/الوقت وتأثيره في بناء المجتمعات وتطويرها، علينا أن نتقصّى هذا المفهوم أولًا لدى الفلاسفة والعلماء.

الزمنُ مفهومٌ شَغَلَ الفلاسفة والمفكرين والأدباء كثيرا، وقد اختلفوا في تحديد مفهومه؛ فرأى بعضهم أن كل «وقت» له بداية ونهاية، تتغير فيه الأحداث، ويشير إلى





زمنٍ حدث ومضى، وآخر يحدث الآن، وثالث سيأتي في المستقبل.

وقد اختلف المفكرون والفلاسفة في الفرق بين «السرمدي» و«الدهر» و«الزمن».

ونعدم القدرة على تحديد مفهوم الزمن لدى الفلاسفة اختلفوا فيما بينهم، لكن اتفقوا جميعا على أن الزمن يمكن تعريفه بنظام تعاقب الأشياء في الحدوث.

وهو عدد الانتقالات بين حدثٍ وآخر تبعا لقبل وبعد، وكذلك هو صيرورة الحدوث.

يرى الدكتور علي شلق في كتابه «الزمن في الفكر العربي والعالمي» أن الزمان هو الدهر، وهو أزلي أبدي من جهة، وقبل، وبعد ذلك سرمد للدهر، والدهر غلاف للزمن».

وقد رأى الفيلسوف أوغسطين أنه عندما نحاول فهم فكرة «الزمن» فهو يهرب منا، ولا نستطيع تحديده بدقة.

إن سؤال ما هو الزمن هو سؤال فلسفي عميق طالما ناقشه الفلاسفة والمفكرون وطرحوا أسئلتهم حول كونه حقيقة؟ وهل هو جزء من جهازنا المفاهيمي المعرفي؟ وهل نعيش في سلسلة متصلة مع ماضٍ وحاضر محددين، أم أننا نعيش في سلسلة متتالية من «الآن» وما سيأتي من أزمنة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يؤثر ذلك على إدراكنا للذاكرة أو التذكر؟

الزمن في القرآن الكريم

يرتكز مفهوم الزمن في القرآن الكريم على أسس هي بمثابة المسلَّمات التي ينطلق وعي المسلم منها، وأول هذه المسلمات أن الله تعالى لا يتزمَّن بشيء ولا يحيطه شيء، ويحيط هو بالكائنات جميعا التي هي بالضرورة متزمِّنة أو يحيط بها الزمن الذي هو نسبي تختلف فيه العناصر الأساس للظاهرة الزمنية.

أعطى القرآن أهمية بالغة للزمن، وارتبطت معظم العبادات في التشريع الإسلامي بمواعيد زمنية محددة وثابتة؛ كالصلاة، والصيام، والحج؛ وحث المسلمين على استثمار الوقت فيما يفيدهم وينهض بمجتمعهم الإسلامي. وليس أدل على ذلك من قول الباحث حامد أبو طالب في مجلة الأزهر الشريف عن «صناعة الحضارة من قوله: «تبدأ صناعة الحضارة من حرص أفرادها على احترام الوقت كقيمة حضارية، وجاء الإسلام مدركًا لهذه الحقيقة، لذلك اهتم اهتمامًا كبيرًا بالوقت، وحثّ أتباعه على المحافظة عليه واستثماره؛ فيما ينفع دينهم ودنياهم».

والزمن في الإسلام ينقسم إلى زمنين: الأول، نسبيّ يمكن قياسه، ويتصل بالحديث عن زمن الصلوات والصوم والحج وما إلى ذلك من عبادات، وينقسم إلى سنوات وشهور وأيام، كما تنقسم الأيام إلى صباحات ومساءات؛ والثاني، الزمن المطلق، زمن خلق الكون ووجود الله الموجود قبل كل موجود، ويتسم بالأبدية والسرمدية..

فلسفة الزمن وعلاقتها بالعلوم

ينال مفهوم الزمن اهتمام العلماء وبخاصة علماء الفيزياء، ويعد مفهوما إشكاليا في فلسفة علم الفيزياء، وما يزال الفلاسفة حتى اليوم يستقصون هذا المفهوم بطرق شتى بحثًا عن أسرار الكون وعلاقة الإنسان بهذه الأسرار.

يعد الزمن معضلة فلسفية لم يستوعبها عقل الإنسان حتى اليوم. ويرى هنري برجسون أن: «الزمن هو المعضلة الأساس في الميتافيزياء، وعندما تستطيع الإنسانية أن تقدم إجابة واضحة عن سؤال الزمن؛ فإنّها تستطيع تجاوز كل الإشكاليات والمعضلات الوجودية التي تواجه حياة الإنسان».

إن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمتلك وعيًا بالزمن، وهذا الوعي هو الذي يجعله يقسم الزمن إلى أبعاد متنوعة ما بين الماضي والحاضر والمستقبل.

الوعي بالزمن وتطوره

إن إدراك الإنسان لقيمة الزمن وسرعته يدفعه إلى أن يحسّن استغلاله، فتاريخ البشرية مليء بقصص تطورٍ ونجاحٍ أدرك فيها الإنسان قيمة الزمن ومروره. ولعلنا يمكن أن نستشهد بمثال من التاريخ القريب، فقد خرجت اليابان من الحرب العالمية الثانية محطمةً تقريبا، فبعد أن خروج قوات الاحتلال الأمريكية منها عام ١٩٥٢م بعد أن احتلتها عام ١٩٤٥م، انكفأ الشعب الياباني على نفسه يعيد لملمة ذاته المبعثرة، المنهزمة أمام الغزو الأمريكي الذي لم يكن غزوًا عسكريا فقط، بل كان غزوًا ثقافيا، حتى أن الأمريكان أعادوا كتابة المناهج التعليمية وحذفوا منها كل ما يُقدّس الإمبراطور أو يدعو للفخر بالماضي الياباني، أو يحفّز القومية اليابانية، بل قاموا بفصل كل معلم يؤمن بهذه القيم. كما تفشّت في الشعب الياباني المحافظ، بل شديد المحافظة قيم وثقافة «الجينز» و«الفاست فود» و«الهوت دوج» وغيرها من الثقافة الأمريكية. من هنا، توقّف الياباني باحثا عن ذاته التي تشظت ما بين الجديد الكولونيالي والقديم التراثي، فوجدوا الحل في إدارة الوقت/الزمن واستغلاله، فضاعفوا ساعات العمل، بل صار الياباني يشتكي من الإجازات التي يفرضها عليه النظام الاقتصادي والاجتماعي، وصاروا يطالبون بزيادة ساعات العمل، بل طالبوا بعدم أخذ إجازاتهم الأسبوعية والسنوية؛ ما أخرج اليابان من أزماتها ومنحها الفرصة لبناء المجتمع، حتى أصبحت اليابان من أهم دول العالم الصناعية والتكنولوجية. وتمكن الياباني من الجمع بين القديم والحديث، والأصالة والمعاصرة؛ فتجده يستعمل أكثر



الآلات الحاسبة تطوراً وتكنولوجيا، ويستخدم في الوقت ذاته المحاسب الخشبي الياباني التقليدي الذي كان يطلق عليه المعداد أو السوروبان؛ وهكذا الحال في تفاصيل حياتهم، فالقديم يجاور الحديث في ربط الماضي بالحاضر بالمستقبل كوعيّ حادّ بتقسيمات الزمن وفلسفة هذه التقسيمات؛ فالحاضر والمستقبل في رأي الياباني هما ابنان للماضي وامتداد له.

ولا يغيب عن الأذهان تجربة ألمانيا التي تشبه إلى حد بعيد تجربة اليابان، فقد خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الثانية محطمة وممزقة إلى بلدين، ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية، وانهزمت الشخصية الألمانية بعدما انهزمت النازية بقيادة هتلر؛ لكن الشعب الألماني الذي عُرِف بجديته وتقديره للزمن وحسن إدارته للوقت لم يرض بالهزيمة المعنوية بعد الهزيمة العسكرية، فبدأ الشعب الألماني يعيد بناء بلده، بل ثار ضد جدار أنشيء للفصل بين ألمانيا الغربية التي كانت أقرب في الفكر السياسي والاقتصادي إلى الرأسمالية الغربية، وبين ألمانيا الشرقية التي كانت ما تزال تتبنى الفكر الفاشي، ولم تنته الثمانينيات من القرن الماضي حتى ثار الشعب الألماني على جدار برلين أو ما سُمّي بجدار العار، وتم هدمه وتوحيد ألمانيا، فالألماني أصر على إرجاع ألمانيا إلى قوتها التي جعلتها من أقوى بلدان العالم؛ لكن المطامع السياسية لهتلر أهدرت هذه القوة في الحروب، وبعد انتهاء هذا الفكر بهزيمة هتلر أمام دول الحلفاء لملم الألماني شتات نفسه، ووجد في الوقت وحسن إدارته العلاج الوحيد للعودة لقوة ألمانيا، فرفض الألماني الإهمال والتكاسل، وضاعف من ساعات العمل وقدّس الوقت، فصارت ألمانيا على ما هي عليه الآن من قوة اقتصادية وسياسية كبرى.

العرب والزمن والسياقات الثقافية

تُتهم الأمة العربية أنها أمة تكاسلت حتى صارت تستهلك المعرفة أكثر مما تنتجها، وأنها أمة تعيش «عالة» على الفكر الغربي الذي ينتج المعرفة وينتج معها كل ما هو حداثي، كما ينتج الأدوية والأمصال وغيرها مما يحفظ الحياة الإنسانية! وهذه الاتهامات في مجملها صحيحة.

صحيح، هناك من يقول إن العلماء المسلمين والعرب الذين يعيشون في الغرب يسهمون في هذه النهضة العلمية أمثال الدكتور المصري العربي مصطفى السيد- أو السير مجدي يعقوب، أو العالم الراحل أحمد زويل، وغيرهم من علماء عرب من كافة البلاد العربية، وهناك علماء مسلمون من الهند وباكستان وماليزيا وغيرها من البلدان الإسلامية، فما الذي أتاح النجاح لهؤلاء العلماء الذين ينتمون إلى ثقافتنا العربية والإسلامية ولا يتيح النجاح لعلمائنا الذين يعيشون في البلدان العربية؟!

في حقيقة الأمر، ما أتاح لزويل أن ينجح، ولم يتح لسين أو صاد من علماء ظلوا في أماكنهم في البلدان العربية، هو السياق الثقافي الذي يقدر قيمة الزمن/ الوقت،



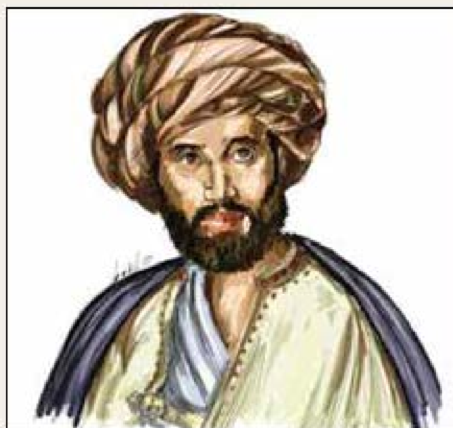
ويقدس العمل بما هو عبادة لا يقل عن عبادات الصلاة والصوم وغيرها من عبادات الشعائر.

نحن في أمس الحاجة إلى أن نغير في السياقات الثقافية العربية، أن نغرس في أطفالنا منذ الصغر أهمية إدارة الوقت، وأهمية الحفاظ على الزمن وعدم إهداره.

نحن بحاجة لأن نعيد التفكير في القيم الروحية التي أورثها لنا الإسلام، فلم يعد لنا من الإسلام سوى سجود وركوع وقيام دون تمثُّل قيمه الروحية النبيلة، التي تقدس العمل، والوقت، والإنتاج، فمَن بات كالًّا من عمل يده بات مغفورا له، كما يقول نبينا الكريم، الذي قبّل يد واحدٍ ممن يعملون بأيديهم حتى كلَّت وتشققت، وقال له متمِّنا لجهده وتعبه: «هذه يد يحبها الله ورسوله».

لن نغير من حالنا إلا إذا تغيَّر وعينا بالزمن وقيمته، وكما قال تعالى في سورة الرعد: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

إذا أرادت أمتنا أن تخرج من حالة التخلف والانحطاط والتبعية للغرب في كل شيء، إن أرادت أن تصير عالما أول مثلما كانت في عصور قادت فيها العالم، وأن تلحق بركب النهضة والتقدم، فعليها أن تعي وتدرك قيمة الوقت وإدارته، وأن تؤمن بأن الزمن أمانة مثلما العمر أمانة، وألا تقضيه إلا فيما يفيد المجتمع، بل فيما يفيد البشرية. علينا أن نعود كما كنا، إن لم نقد العالم



رفاعة الطهطاوي

كما فعلنا، ذات تقدم وحضارة، على الأقل أن نشارك الإنسانية في مسيرة الابتكارات والاختراعات والتقدم العلمي.

وقد قال رفاعة الطهطاوي واصفًا أهل باريس في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز): «إنهم لا يكلون من الأشغال، سواء الغني والفقير».

ولم تكن هذه هي الإشارة الوحيدة التي ذكرها الطهطاوي وهو يرصد الفروق الثقافية بيننا كعرب وبين المجتمع الباريسي الذي يرمز بالطبع إلى المجتمع المتقدم، بل الكتاب ممتلئ بالإشارات الثقافية المقارنة بين المجتمع الأول والمجتمع الثالث؛ تكشف عن مدى إدراكهم للزمن وأهميته والعمل وقيمته.

فن إدارة الوقت

واقع عالم اليوم يمثل تحدياً للإنسان لما فيه من صراعات حول النجاح والتحقق والحصول

على حياة نستحقها؛ ما يتطلب منا أن نسعى لتحقيق نتائج عظيمة في وقت أقل. فما هي الطريقة المثلى لتحقيق ذلك؟

تقدم لنا ديلي كورنج في كتابها (فن إدارة الوقت) نصائح للتخطيط لوقتنا وإدارته بطريقة ناجعة تمكننا من الإفادة من كل لحظة في حياتنا؛ فهي ترى أن مفتاح النجاح الحقيقي هو تحسين وقتك، على الصعيدين المهني والشخصي، بطريقة تحقق أفضل النتائج.

إن أبسط طريقة لإدارة وقتك هي التخطيط للمستقبل. يمكن القيام بذلك عن طريق إنشاء جدول زمني، والتخطيط لأيامك وأسابيعك مسبقًا. يمكن أن تساعدك التقويمات المكتبية على التخطيط لوقتك بالساعة، فإنشاء قائمة مهام يمكن أن تكون لها فعالية حينما تكتب في الدقائق القليلة الأخيرة من اليوم قائمة قصيرة بالأهداف التي ترغب في تحقيقها في اليوم التالي.

عندما يحين وقت تحديد أولويات مهامك اليومية، حاول تخصيص بضع ساعات من اليوم للقيام بمسؤوليات معينة. ثم تأكد من إعطاء المهام الأكثر إلحاحًا أولوية قصوى، مع حفظ المشاريع ذات الأولوية المنخفضة حتى نهاية اليوم. إذا كان لديك فريق، فحاول تكليفهم ببعض المهام الموجودة في قائمتك؛ فالقليل من الجهد الجماعي سيقطع شوطًا طويلًا.

في صباح اليوم التالي، اِلق نظرة على قائمتك، وابدأ عملية تحديد أولويات مهامك لهذا اليوم. يجب ألا تكون مثل مَن يأكل أكثر مما تتحمل معدته، أو يقضم أكثر مما يستطيع مضغه، فإذا وجدت أن المهام والمشاريع التي تقع تحت مسؤوليتك أكبر مما يمكن تحقيقها، سيؤدي هذا إلى الإخفاق وعدم الإنتاجية؛ ما يؤدي إلى مزيد من الإحباط؛ لذا، إذا كنت مترددًا حيال مشروع ما.. لا تقبله حفاظا على روح النجاح والتحقيق لديك ولدى فريقك.

تجنّب كل ما يُضيّع وقتك حتى يمكنك إنجاز مهامك بنجاح، فإذا كان هاتفك المحمول متصلا بالإنترنت ومحملا بمواقع التواصل الاجتماعي، يفضل أن تقوم بفصل خدمة الإنترنت عنه حتى لا تصلك إشعارات تلهيك عن عملك، أو لتجعل الإشعارات صامتة حتى لا تلفت نظرك وتشدك بعيدًا عن المهام التي خططت لإنجازها.

أفضل رهان عندما يتعلق الأمر بإدارة الوقت هو عدم تأجيل ما يمكن إكماله اليوم انطلاقا من الحكمة التي تقول: «لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد»، فمن السهل أن تضيع الوقت أو تؤجل مشروعًا لمجرد أنك لم تكن متحمسًا. ولكن إذا قمت بإنشاء استراتيجية وخططت مسبقًا لعمل ما.. حتمًا ستحقق النجاح على المدى الطويل.

---

* كاتبة - مصر.



الزمنُ وسيطٌ للكتابة..
أم الكتابةُ وسيطةٌ للزمن؟

■ د. هناء بنت علي البواب*

سؤال ربما لا يفكّر فيه كاتب الرواية، حين تقفز شخصيات روايته في رأسه، وحين يقبض على لحظة البداية في كتابته، ففي الوقت الذي يقول بعضهم إن زمن الرواية هو زمن الحدث، يذهب آخرون إلى أنه زمن الكتابة، وهناك من يراه زمن القراءة، وقول لآخر إن زمن الرواية، أزمنة ثلاثة: هي زمن الحدث، وزمن الكتابة، وزمن القراءة.

لكن «آدم مندلاو» في بحثه «نظرية الزمن في الرواية» وأنماطها المختلفة وعلاقته باللغة، يرى أن مشاهير الروائيين كانوا دائمًا منشغلين بالزمن في قِيَمه وأنواعه، وربما يراها فيما حاول حصره:

الزمن الاصطلاحي: ويمثل العلاقة الزمنية بين الأشياء، ولا يتأثر بالإدراك الحسيّ للمرء.

الزمن الكرونولوجي للقراءة: هو الزمن الذي يستغرقه القارئ في قراءة الرواية محددة بالساعة، وهذا ذو صلة بطول الرواية الذي تتحكم فيه عوامل أو اعتبارات فنية عدة خاصة ككثافة الحبكة مثلًا.

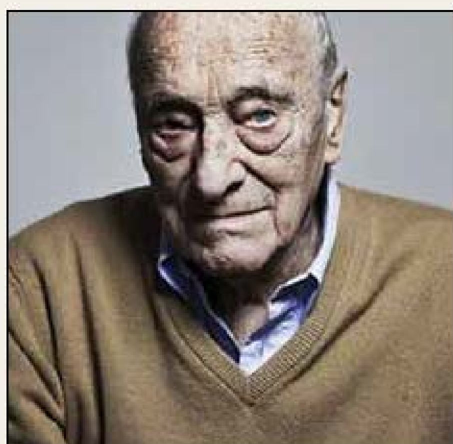
الزمن الكرونولوجي للكتابة: هو ذو علاقة بالناحية التجارية، فمعظم الروائيين المحترفين يعيشون على الدخل الذي يجنونه من كتاباتهم.

ولذلك، الزمن وسيط الرواية مثلما هو وسيط الحياة، كما يقول مُنظِّر الزمن



جورج لوكاش

في الأدب هانز ميرهوف: فالرواية من الفنون الزمنيَّة كالموسيقى، تُبنى على حركة الشخصيَّات وأفعالها، بخلاف الفنون المكانيَّة: كالتصوير، والنحت، اللذين يعتمدان على إبراز أبعاد المكان.



جيرار جينيت

هل زمن الرواية، بهذا المعنى، هو الذي جعل الفيلسوف (لوكاش) يصف الرواية بأنها ملحمة الطبقة الوسطى «البرجوازية» في بحثها عن المعنى والقيمة، في عالم تضطرب فيه علاقات المعنى والقيمة؟

الجواب، إن الأمر كذلك بالتأكيد: فالرواية فنّ المدينة القادر على اقتناص تحوّلات الطبقة الوسطى في المدينة التي تزداد تعقدًا وازدحامًا.

فقد اهتم الروائيون بالزمن اهتمامًا كبيرًا حتى إنهم استخدموه موضوعًا، أو شخصيّة رئيسة من شخصيّات رواياتهم، وقد اهتم النقاد الغربيون بالزمن في الرواية، إذ بدأ عند الشكلانيين الروس، ثم برز الناقد الفرنسي جيرار جينيت من بين الذين درسوا هذا الزمن، وبخاصة في كتابه المشهور «خطاب الحكاية» الذي استند إليه النقاد العرب في فهم الزمن الروائي. فهناك زمن القصة، زمن ترتيب الأحداث، وهو زمن تتابعي يخضع للتنظيم المنطقي، بينما زمن الخطاب الذي لا يخضع لأي تنظيم، فهو زمن يتعلق بأسلوب الروائي، وتقنياته في عرض الأحداث.

ولذلك، يُلفت انتباهنا أنّ النقاد العرب لم يهتموا بهذا الزمن، وتجاهلوا أهميته في الإحاطة بالأفكار السائدة، وبمعرفة أحوال المجتمع في الزمن الذي كتب فيه الروائي روايته، ففاتهم الوقوف على تطور الروائي الفكري والفني، وبيان قيمة الرواية من بين الروايات التي كتبها الآخرون، وفهمها وتفسيرها ضمن الزمن الذي عاش فيه الروائي؛ ولذلك تحدث الشكلانيون الروس عن طريقتين لعرض الأحداث أو سردها: فإما أن يخضع السرد لمبدأ السببية، فتأتي الوقائع مسلسلة وفق منطقٍ خاصٍ أو أن يتخلى عن الاعتبارات الزمنية بحيث تتابع الأحداث دون منطق داخلي.

هذا، وقد أكد «بارت» على أن المنطق السرديّ هو الذي يضع الزمن السرديّ، وأن الزمنية ليست سوى قسم بنيوي في الخطاب، مثلما هو الشأن في اللغة" إذ لا يوجد الزمن إلا في شكل نسق أو نظام، والزمن السرديّ في رأيه ليس سوى زمن دلاليّ، أما الزمن الحقيقي فهو وهمٌ مرجعيٌ واقعيٌ حسب تعبيره.

ويرى التفكيكيون أنه لا يمكن لدارس النص أن يتغافل عن زمنية النص وظرفه التاريخي،



ومن هنا، تكون مشروعية التأويل وضرورته.

فالقارئ، يأتي إلى النص وفي ذاكرته وعيٌ بالتاريخ الأدبي، وبمخزون من نصوص سابقة، إذ يتمازج الماضي بالحاضر؛ ما يعني أن إحساس المتلقي بالزمن في الرواية تحدده ثقافة المتلقي وتعليمه، وقراءاته السابقة، أو تربيته الأدبية والفنية.

ولذلك، يظهر ما يمكن أن نسميه بالزمن الدائري، تبعًا للبنية الحكائية التي تتخذ منحىً دائريًا؛ إذ تبدأ من النهاية.. وترتد إلى البداية. وقد يظهر ما يسمى بالتلاعب بالزمن: فتارة يُدخل الروائي المستقبل في الماضي، وطورًا يُدخل الماضي في المستقبل، وثالثة يُدخل الأزمنة بعضها ببعض؛ ولكن فيما يظنه القارئ أن الروائي يتعمَّد ذلك، مع أنَّ الأمر لا أعتقده مقصودًا؛ وذلك لأن الروائي تهجم عليه الفكرة والشخصيات، فيبدأ بترتيب الحدث، وهو الأهم بالنسبة له، والزمن يأتي محركًا لتلك الأحداث.

لذلك، نرى أن الحقيقة التي يقول بها معظم النقاد والروائيين والباحثين، هي إن الرواية الجديدة ورواية الحداثة وما بعد الحداثة قد دمرت الأزمنة ومزقتها، بعد أن كانت الرواية التقليدية تخضع للتسلسل الزمني المحافظ بإطارٍ متينٍ من الزمان، وقد أبقت روايات الحداثة وما بعدها، التسلسل الزمني كإطار خارجي لها؛ وبهذا أخفت الترتيب الزمني للأحداث باستبدال علاقات التتابع بعلاقات التداخل، وتفكيك الحديث وتهشيم الأزمنة بانتقال الراوي في سرده بين الماضي والحاضر، وفق ما تقتضيه الحاجة.

هناك أسئلة كثيرة -كانت وما تزال- مثار جدل عميق، وهي تحتاج فعلًا إلى مزيدٍ من البحث والتأمُّل، لا سيما في عالمنا العربي؛ إذ، بقيت معظم دولنا خارج ملعب هذه المتغيرات، وهي إن تأثرت فبوصفها «متأثِّرة»، غير «مؤثِّرة»!

---

* أكاديمية وكاتبة - الأردن.

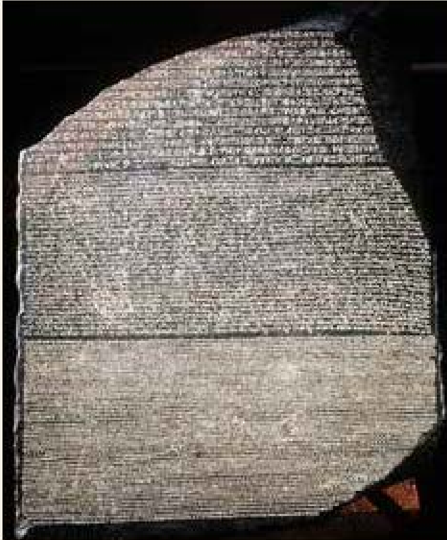
كيف ننتصر للزمن؟؟
الزمنُ بين الكتابةِ والوهم..

■ أ. د. منتصر الخفاجي*

كيف يكتب المبدع أسطورته السردية، ويتخلَّص من الزمن الذي يحيط به؟ وكيف يكون قادرًا على معاكسة زمنية الكتابة، طالت أم قصرت به؟ وهل زمن الكتابة نفسيٌّ أم اجتماعيٌّ أم بين هذا وذاك؟

ليس هناك جواب أخير على مثل هذه الأسئلة، وليس ثمة نظرية محددة ترى بأن الزمن يمكن ضغطه في مخفظة الكاتب حينما يواجه معضلة اسمها الزمن، زمن الكتابة، وكيفية التحايل عليه أو استباقه أو الالتفاف على أيامه وشهوره وسنواته؛ إذ علينا أن نتقصى الكثير من الحقائق المزاجية والنفسية والاجتماعية والسياسية والظروف البيئية المحيطة بالكُتَّاب من شتى جوانبها. فليست الكتابة الإبداعية عملية آلية من دون شعور وتهيؤ كلي، ولا هي ضرب الأزرار لتوليد الحروف والسطور، بقدر ما هي نضال ضد الوقت ومعركة حقيقية معه تحت ضغط المزاج والظروف المتعددة، وهي تحرير مرحلي للفائض من المخزون المعرفي والخيالي لصناعة أثر إبداعي، وبالتالي هي تحرير عقليٌّ ونفسيٌّ وجسمانيٌّ أيضا للوقوف عند الخط الأخير من هذا الماراثون المتعب.

بدأت الكتابة قبل بضعة آلاف من الأعوام أشكالا تصويرية مختلفة ترسم على ألواح الطين والشمع والمعادن والأشجار، وتنقش على الحجارة، لتعبِّر عما يريد أصحابها قوله بلغاتهم المختلفة في أماكن شتى من العالم، ولعل بين أقدم الكتابات التي بقيت آثارها حتى الآن الكتابة المسمارية التي ظهرت في بلاد الرافدين واستخدمها السومريون، ثم استخدمها الآشوريون والبابليون أيضا. وتقول المراجع، إن بين هذه الآثار ١٢٠ لوحًا طينيًا معروضة حاليًا



حجر رشيد



في المتحف البريطاني.

وفي موازاة الكتابة المسمارية، ظهرت الكتابة الهيروغليفية في مصر الفرعونية، وكانت كذلك كتابة تصويرية بقيت مجهولة المعنى لأجيال طويلة حتى عام ١٨٢٢م حينما فكَّ رموزها عالم بصريات فرنسي بعد دراسته حجر رشيد، الذي جاء به إلى فرنسا عام ١٧٩٩م جندي فرنسي شارك في الحملة الفرنسية على مصر، في ذلك الحين.

انتقل الإنسان من الكتابة التصويرية إلى الكتابة عبر أحرف تعبيرية مبتكرة تدعى أبجدية، صممت ليعبِّر كل حرف عن صوت محدد. على أساس ذلك تكتب كل كلمة بأحرفها المتغيرة لتطلق عندما تقرأ بصوت مسموع الصوت الذي تصدره، أي الصوت الذي يعبِّر عنها، فإن لم يكن صوت القراءة مسموعًا للآخرين، فإنَّ صداه يتجسد في ذهن القارئ الصامت.

وتقول المراجع، إن أول أبجدية ظهرت في العالم كانت أبجدية أوجاريت المكونة من ٣٠ حرفًا وظهرت عام ١١٠٠ قبل الميلاد. وأوجاريت مدينة قديمة تعرضت إلى بركان مدمر، وبقيت آثارها شاهدة



عليها. وتقع هذه المدينة على الساحل شمال شرقي البحر الأبيض المتوسط قرب مدينة اللاذقية. وقد استخدمت هذه الأبجدية في وضع الأبجدية الإغريقية عام ٤٣٠ قبل الميلاد.

على مستوى اللغة العربية ظهرت أبجديتها الأولى نحو عام ١٠٠٠ قبل الميلاد في اليمن، في فترة مملكة سبأ. لكن مملكة الأنباط في البتراء شمالي الجزيرة العربية وضعت أبجدية أخرى للغة العربية نحو عام ٦٠٠ قبل الميلاد. وقد تبنت قريش هذه الأبجدية، كما كُتب القرآن الكريم أول مرة باستخدامها، وكان ذلك قبل تنقيط حروف اللغة. وفي عهد الدولة الأموية تم تنقيط حروف اللغة العربية لتسهيل تمييز الحروف، ثم وضعت علامات لتشكيل حروف العربية حرصًا على نطقها بالشكل السليم، وبالتالي تقديم المعنى المطلوب.

إن كل ما سبق يظهر جليًا أن الزمن لا علاقة له أن يكون الأساس في الكتابة، بل على العكس الكتابة هي التي تحرك الزمن وتجعله مقياسًا عابرًا للنص المتمرد، وكلما زادت قوة ذلك الزمن على الإبهار كانت لغة الكاتب هي التي تجبره على ذلك.

هذا الزمن هو زمن الكتابة المتعب والمؤرق للكاتب، سواء أكان طويلًا أم قصيرًا؛ فليست الأيام والأشهر والسنوات هي المقياس الأخير للمنتَج الإبداعي، إنما نتاج هذا الانتظار الشاقّ الذي يصرفه الكاتب تحت ظروف وأوضاع نفسية ومزاجية، داخلية وخارجية؛ لذلك، فإن الكتابة التي تخترق زمنها -قصيرًا كان أم طويلًا- هي المعجزة الشخصية للكاتب التي علينا أن ننتبه إليها ونمنحها الكثير من الاهتمام والقراءة والتقويم.

* كاتب سوريا.



اتجاهاتُ الزمنِ ومشكلاتُه
آلان بيكي بيسَوا - فرنسا

■ ترجمة: اسكندر بيكوا*

مشكلة الزمن أنه خارج مجال الحواس، ومع ذلك لا أحد يجهله، وبالتزامن لا يعرفه أحد بشكل علميّ وتجريبيّ، أو حتى بشكل منطقي وواضح - إلى يومنا؟!

لحسن الحظ _ بفضل اينشتاين وستيفن هوكينغ خاصة - حدث تطور مهم خلال القرن الماضي في معرفتنا للزمن؛ إذ تم الانتقال خطوة حقيقية بالفعل، من عدّه مفهومًا فلسفيًا إلى وضعه الحالي كمصطلح علميّ-فيزيائيّ، يمكن دراسته بشكل فكري ومنطقي، تمهيدًا لتحوله إلى مصطلح محدد بشكلٍ تجريبي ودقيق، مع قابليته إلى الاختبار والتعميم.

التصورات أو النظريات المختلفة حول الزمن يمكن تلخيصها وتكثيفها في أربعة مواقف:

١- الموقف الكلاسيكي، وهو السائد في العلم والعالم المعاصرين، ينظر للزمن بكونه يتقدم من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المستقبل. وبكلمات أخرى، إن سهم الزمن يتجه من الماضي إلى المستقبل، مرورا بالحاضر. وهو الموقف المشترك بين أفلاطون ونيوتن، ومعهم أغلب الفلاسفة والفيزيائيين في العالم.

٢- موقف الإنكار، وعدم الاعتراف بالماضي أو بالمستقبل سوى كتركيب وفكري عقلي، مع اعتبار أن الحاضر يمثل الوجود الموضوعي والمطلق (إنكار الموت أيضًا).

٣- الموقف الحديث، ومن أبرز ممثليه اينشتاين وستيفن هوكينغ، وهو يعد اتجاه الزمن غير محدد في جهة معينة، وغير ثابت أيضا، ويمكن أن يحدث في مختلف الاتجاهات.

٤- الموقف الجديد، وهو محور هذا الكتاب، وينظر لاتجاه حركة الزمن عكس اتجاه نمو الحياة وتطورها: من المستقبل إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى الماضي. وهو اتجاه ثابت ووحيد، ويقبل التجربة والاختبار والتعميم بدون استثناء.

فلذلك يعد موقف الفرد الحالي من الزمن، هو أحد المواقف الأربعة، أو بين اثنين منهما ومحصلتهما السلبية أو الإيجابية.

كمثال مباشر، يعد الكثيرون اليوم أن الزمن تركيبٌ عقليٌ وثقافي، ولا وجود حقيقيًا له. بعبارة ثانية، يعد كثيرون الزمن مجرد



نظام رمزي يشبه اللغات الحديثة كالبرمجة والرياضيات، وليس له حركة محددة أو اتجاه وحيد أو سرعة ثابتة. وهذا الموقف يتطابق مع موقف الإنكار الذي يمثله التنوير الروحي عبر الاعتقاد بالحاضر المستمر.

الموقف الجديد يتضمن المواقف السابقة، بينما العكس غير صحيح. وهذا ما سأحاول شرحه. منطقي، الأمس والماضي خلفنا، بينما الغد والمستقبل أمامنا، وبينهما الحاضر (الجديد - المتجدد)؟!

المستقبل يقترب والماضي يبتعد (أليست بديهية منطقية ويقبلها الحسّ المشترك)؟

ويمكن الاستنتاج مباشرة أن ما يقترب هو البداية، أو قادمًا من البداية.

وبالطريقة نفسها: ما يبتعد هو النهاية، أو يتجه إلى النهاية.

الفكرة تستحق التأمل والاهتمام الجديين: فبعد فهم الجدلية العكسية بين الحياة والزمن، يتغير الموقف العقلي والواقع معًا.

اتجاه حركة الحياة وتطورها يعاكس اتجاه الزمن، وهذه الظاهرة تقبل الاختبار والتعميم.

حركة الزمن؟!

بصورة عامة الحركة أحد نوعين:

١- **الحركة الذاتية**: العشوائية، وهي خاصة بالأحياء. تتحدد من داخلها بالدرجة الأولى، ومن خارجها بالدرجة الثانية كاستجابة لمتغيرات البيئة المحيطة.

٢- **الحركة الموضوعية**: وهي تختلف



حركة الانسان والزمن!

بحسب نوع المادة، ومن أمثلتها:

حركة السوائل، وتتحدد بالضغط الجوي أو علاقة الأواني المستطرقة.

حركة الغازات، وهي تتحدد بدرجة الحرارة ونوع الغاز.

حركة الكهرباء، وهي تتحدد بدرجة مقاومة (أو عدم قابلية نقل الكهرباء) المواد، وهي في اتجاه ثابت من التوتر المرتفع في اتجاه التوتر المنخفض.

حركة الزمن، ويمكن استنتاجها فقط، وربما يتمكّن العلماء في المستقبل من ابتكار أدوات وطرق تمكّن من اختبارها بشكل تجريبي ومباشر؟!

اتجاه حركة الزمن وارتباطها بالكتابة؟!

كلمة الاتجاه، كفكرة وخبرة، تعد حتى



ستيفين كينج: تطور معرفة الزمن



اليوم مرادفة للمعنى.

المشكلة بذلك، أن التوجه أو الاتجاه، ليس أقل غموضًا من مصطلح المعنى ذاته!

على سبيل المثال، بعد سنة ٢٠١٢م فهمت المعنى (الجديد) والمتداول حاليا، واختلافه النوعي والجذري عن المعنى التقليدي، وهو موضوع ناقشته سابقًا بشكل مستقل وموسّع، واكتفي هنا بتكثيفه الشديد: المعنى بالمفهوم التقليدي موجود مسبقًا في مستويين، أولا في قلب الكاتب أو المرسل (في الوعي والنوايا، وثانيًا في النص (أو الرسالة أو التعبير)، والقراءة مع السياق، تعدان تكملة أو تحصيل حاصل. بينما المعنى بالمفهوم الحديث يتشكل عبر عدة بؤر أو مراحل متسلسلة في درجة أهميتها أيضا، وبالدرجة الأولى القارئ وعملية القراءة نفسها تنتج المعنى أولًا، والسياق الثقافي ثانيًا، والرسالة أو النص ثالثًا، وفي المستوى الرابع والأخير من الأهمية والدور -في المعنى- للمرسل أو الكاتب (ونواياه لا تعني غيره، وغالبًا تنفصل عن المعنى لحظة التدوين أو التعبير.. وتهمل وتضيع بالفعل).

بالعودة إلى فكرة الاتجاه وخبرته، لا يكفي معرفة البداية والنهاية لتحديد الاتجاه.. مع أن عبارة البداية والنهاية أو العكس، تتضمن الاتجاه بالفعل.

من خلال الملاحظة المتأنية، يمكن اختبار ظاهرة مزدوجة ومدهشة بالفعل، وتتكرر بشكلٍ مستمرٍ مع جميع الأحياء (الإنسان، والحيوان، والنبات، وهي بارزة في حالة البشر): إذ، ينقسم الحاضر في كل لحظة إلى اتجاهين متعاكسين:

١- اتجاه نمو الحياة وتطورها: من الماضي إلى المستقبل، مرورًا بالحاضر.

٢- اتجاه الأحداث بالعكس: بالعكس من اتجاه الحياة.. من المستقبل إلى الماضي ومرورًا بالحاضر. وهذا الاتجاه يتضمن حوادث الولادة والموت أيضا.



حركة الكهرباء

اينشتاين:
اتجاه الزمن غير محدد

بحسب النظرية الكلاسيكية، يكون اتجاه حركة الزمن من الماضي إلى المستقبل!

ولكن، بسهولة يمكن اختبار عدم صحة ذلك، إذ العكس هو الصحيح.

وبالنسبة لهذه الفكرة «اتجاه حركة الزمن»، سوف استعرض مجموعة براهين وطرق تبين اتجاهها الحقيقي من المستقبل إلى الحاضر، ثم الماضي، في ملحق خاص نظرًا لأهميتها البالغة.

بالنسبة لحركة الزمن، فهي مركبة ومزدوجة بالتزامن، والغريب إلى درجة يصعب فهمها، أن النقاد العرب القدامى استنتجوا هذا الأمر منذ عشرات القرون، وأنا مدين بالفضل والشكر للصديق جميل حلبي على هذه الفكرة والخبرة.

١- الحركة التعاقبية أو التراتبية: من المستقبل إلى الحاضر (أو من الحاضر إلى الماضي)، وهي التي تقيسها الساعة. هذا رأي وفرضية، حتى نحصل على أفضل منها.

٢- الحركة التزامنية أو الأفقية: من حاضر ١ إلى حاضر ٢ إلى حاضر ٣.. بلا نهاية.

وهي أحد احتمالين، الأول أنها تساوي سرعة الضوء، والثاني أنها تفوق سرعة الضوء وتجسد السرعة المطلقة في الكون (وهذا ما أرجّح احتماله).

ومن كل ما سبق، تعرف أن الكتابة هي تزامنية حقيقة بوجود الزمن داخل النص.

* مترجم- لبنان.

أوقاتُنا بين الاستثمار والتفريط

■ سميرة الزهراني*

خلق الله تعالى الإنسان، وجعل فيه الكثير من الطاقات الكامنة؛ ما يستدعي تفريغ هذه الطاقة بطريقة صحيحة، واستثمار أوقات الفراغ بما يعود على تلك النفس بالخير والنفع؛ فالنفس إن لم نشغلها بالخير شغلتنا بما لا يفيد.

والوقت، هو المادة المكوِّنة للحياة. وبحكم ما نعرفه عنه، فهو غير قابل للاحتفاظ به أو ادِّخاره أو استعادته؛ ولذلك، فهو مورد نادر وفريد، وأغلى مورد لكل فرد، لأنه حياته؛ لذلك ينبغي أن يلقى العناية نفسها التي تلقاها بقية الموارد والعناصر المهمة فيها، بل وأكثر من أي مورد آخر.

تزداد أهمية استثمار الوقت كلما ارتفعنا في الهرم التنظيمي لأي مؤسسة، ويؤكد (بيتر دروكر)[1] على أن أفضل طريقة لزيادة فاعلية المدير أو الإنسان عمومًا هو تحسين استخدامه لوقته، كما يؤكد أن إحدى خمس عادات شائعة لكل الفاعلين هي معرفة



أين يذهب وقتهم وأين يجب أن يذهب، والاستخدام الفعال والملائم للوقت يفسر الفرق بين الإنجاز والفشل.

يعد وقت الفراغ فرصة كبيرة للحصول على منفعة دون هدر الوقت فيما لا طائل منه، كالتجول في الأسواق من غير حاجة؛ لما فيه من ضياع للمادة، وهدر لأنفس ما نملك.. وهو الوقت، الذي هو الحياة؛ لذا، أوجب الله تعالى على الإنسان استغلال الوقت بشكل كامل، وإدارته إدارة صحيحة؛ لأن ذلك يترتب عليه إدارتنا لأنفسنا بفعالية وبطريقة اقتصادية؛ بمعنى إدارة مواردنا الجسمية والنفسية بشكل يمكّننا من الأداء الفعال، بدون بذل طاقة غير ضرورية بلا طائل، والبقاء قادرين على هذا الأداء.

كما نعرف أن الوقت في حركة دائمة لا يمكن ارجاعه، فهو من جانب القيمة أغلى من الجواهر؛ لأن الوقت هو الحياة، والله سبحانه وتعالى جعل الدنيا مزرعة للآخرة، وهذا سبب

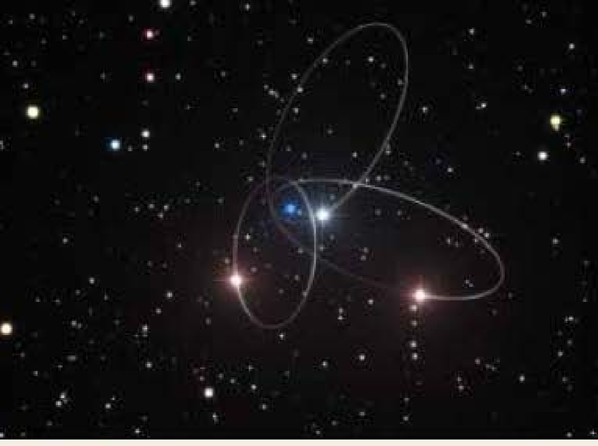
آخر للعناية به وعدم هدره. إذ يُعد الوقت من الأمور التي يُسأل عنها العبد يوم القيامة، والتي جعلها الله من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده، وأعتنى بها.. بل وأقسم.. قال تعالى: (والليل إذا يغشى. والنهار إذا تجلى)، كما أقسم بالفجر، والضحى، والعصر؛ ما يدل على أهمية الوقت؛ ويستوجب ذلك تطبيق مفهوم استغلال الوقت في الحياة بالعمل النافع سواء للدنيا أو للآخرة.

يعد الاهتمام بالوقت كنزًا من الكنوز، ومعرفة كيفية اغتنامه والبُعد عن المجالس التي تتخللها الغيبة والنميمة؛ ففيها إلى جانب ضياع الوقت خسرانٌ وبُعدٌ عن الحق. والوقت الذي يمضي لا يعود، وسفر الآخرة محتاج إلى زاد، فلزم إعداد الزاد قبل الرحيل.

كذلك، من واجبنا الحرص على الوقت وإنجاز الأمور المهمة.. ثم الأقل أهمية، والتخطيط للأهداف مع مراعاة ما يعترض الإنسان من الظروف والمعوقات، والحرص على نظافة المكان ووضع كل شيء في مكانه، فالترتيب يحفظ الوقت ويعين على استثماره، وعدم تأجيل الأعمال مهم كذلك؛ حتى لا تتراكم المهام؛ ما يسهم في ضياع الوقت.

ومن الأمور التي يجب غرسها في الأطفال منذ الصغر: تنظيم الوقت واستغلاله، وتحكم الأنسان في وقته وسيطرته عليه، بحيث يكون سيدًا لوقته لا ضحية له؛ لينشأ وهو حريص على وقته مستفيدًا من كل ثانية تمر في حياته.

إن أي برنامج مصمم لمساعدتنا على إدارة





وقتنا بفعالية، يجب أن يبدأ بتطوير الحسُ والوعيُ والإدراك لأهمية الاستخدام الصحيح للوقت؛ وبالتالي، تحفيزنا على استخدام هذا المورد النادر بعناية أكبر من تلك التي تنفق بها العملات الذهبية.

إن دقائق حياتنا لا تعود إذا ما مرت؛ ومن ثمّ فعلينا إنفاق سنوات عمرنا بشكل أكثر إنتاجية. ومهما كانت فعاليتنا في التخطيط، ومهما صدقت النوايا،فإنه ما لم نبدأ بالتحفيز واستثمار كل ثانية من أوقاتنا للبدء، فلن نستفيد، وسيذهب العُمر سدىً.

أخيرا، إن إدارة الوقت بفاعلية هي الطريق الأمثل لتحقيق النجاحات المتتالية والفوز بمكاسب الدنيا والآخرة.

---

* باحثة دكتوراه - جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(١) كاتب اقتصادي أمريكي من أصل نمساوي، يعد الأب الروحي للإدارة.



عنايةُ الحضارة الإسلامية بالعلوم والآلات المرتبطة بحساب الوقت

■ د. سعيد بن دبيس العتيبي*

يُعرف الوقت بأنه مقدار من الزمن، وبأنه تعريف للتاريخ، مثل أرّخ الكتاب ليوم كذا أي وقّته[1].

ومنذ القِدم، عرّفت الأمم التاريخ، واهتمت بضبطه لأهميته في تنظيم شؤون حياتها وتعاملاتها التجارية، ومعرفة المناسبات الدينية وفصول السنة؛ فأرّخت الأمم القديمة بمبعث الأنبياء، وأرّخ الفرس والروم بسنّي حكم ملوكهم، وكانت قريش قبل الإسلام تؤرخ بعام الفيل، وسائر العرب يؤرخون بأيامهم المشهورة؛ كحرب البسوس، وداحس والغبراء، ويوم ذي قار، والفجّارين، ويوم جبلة، ويوم الكلاب الأول والكلاب الثاني.. وفي العصر الإسلامي أرّخ المسلمون بعام الهجرة، حين وضع هذا التاريخ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في السنة السابعة عشرة من الهجرة[2].

عرفت الأمم تنظيم الزمن على نحو يمكنها من الاستفادة من وقتها، فجزأت الزمن إلى سنوات، والسنوات إلى فصول، والفصول إلى شهور، والشهور إلى أسابيع، والأسابيع إلى أيام ثم ساعات.. وعندما جاء الإسلام جعل للوقت أهمية عظيمة في حياة المسلم، وأقسم الله جلت قدرته بأجزاء من الوقت، فأقسم بالفجر والضحى والعصر والليل النهار[3]، وفي قسمه سبحانه وتعالى بمخلوقاته أو آياته الدالة على قدرته دلالة على عظمتها. وأكدت الشريعة الإسلامية على أداء العبادات وأوامر الإسلام في أوقاتها، ووردت الآيات الدالة على ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات﴾[5]، وقال عز وجل: (يسئلونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحج)[6]، فالمسلمون وفق تعاليم دينهم ملزمون بمعرفة أوقات دخول الصلوات المفروضة عليهم خمس مرات في اليوم والليلة، وبدايات الشهور ونهايتها لضبط وقت دخول مواسم رمضان والحج، والأعياد الإسلامية، ومعرفة أوقات شروق الشمس وغروبها لتحديد وقت الصيام والإفطار.

وقد اهتمت الحضارة العربية الإسلامية بالعلوم كالطب والرياضيات والكيماء والفلك.. مستفيدة مما وصلت اليه حضارات الأمم السابقة في هذه المجالات، إلاَّ إن المسلمين برعوا في تلك العلوم بحثاً وتأليفا وابتكارًا وصناعةً وتطبيقًا، وبدأ الاهتمام بترجمة العلوم منذ عهد الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ)، وكان خالد ابن يزيد بن معاوية أول من عني بنقل علوم الطب والكيمياء من اللغة اليونانية إلى العربية، وعربت الدواوين منذ عهد الخليفة الأموي عبدالملك ابن مروان (٦٥-٨٦هـ) بعد أن كانت بالفارسية واليونانية، وتُرجم أول كتاب فلكي عن اليونانية في أواخر العصر الأموي، وهو كتاب (مفتاح النجوم) المنسوب لهرمس الحكيم، وحين قامت الدولة العباسية عُني أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) بترجمة كتب العلوم والآداب من اليونانية والهندية والفارسية إلى العربية، وتوسعت حركة الترجمة في عهدي هارون الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ) وابنه المأمون (١٩٨-٢١٨هـ)[7].

علم الفلك من العلوم المرتبطة بحساب





الوقت، وفي القرآن الكريم آيات تدل في سياقها على ارتباط الظواهر الفلكية بالوقت، قال تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب، وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾( )، وقال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك إلا بالحق، يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾( )، وقوله تعالى: ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾، أي حساب أوقات السنين وعدد أيامها وحساب ساعات أيامها"( ).

وقد لقي علم الفلك عناية من العلماء المسلمون لحاجة المسلمين إليه في حساب الوقت المرتبط بأداء الوجبات الدينية، إضافة إلى أهميته في تحديد اتجاه مكة، حيث الكعبة، قبلة المسلمين، وشؤون الحياة الأخرى: كأوقات فصول السنة، ومواسم الفلاحة، ومواسم الأمطار... كما أن لعلم الفلك عند علماء المسلمين معنىً يتصل بالعقيدة الإسلامية، ففي معرفة مواقع النجوم ومداراتها وجريان الشمس والقمر وتعاقب الليل والنهار وفصول السنة، آيات تبرهن على عظمة الخالق سبحانه وتعالى الذي أمرهم بتوحيده بالعبادة، والتفكر في مخلوقاته وقدرته على تسيير الكون، قال تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾( ). واتخذ علماء الفلك من القرآن الكريم والتدبر في عالم الكون وفضائه الفسيح، ومخلوقات الله جلت قدرته مصدراً لعلمهم، ، يذكر أنه بينما كان عالمان فلكيان عربيان في باحة المسجد الجامع مرت بهما جماعة من علماء الدين، فتوقفت مستفهمة عن المصدر الذي منه يستمدون علمهم، فأجاب أحدهما إننا نقرأ شرح قول الله تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت﴾( ).

وكان العصر الذهبي لتقدم الحضارة الإسلامية هو عصر الدولة العباسية، وكان علم الفلك في مقدمة العلوم التي اعتني بها في بغداد، حين شجع الخلفاء علماء دراسة الفلك، وترجمة الكتب الهندية والفارسية واليونانية في هذا المجال، وأخذوا يستدعون العلماء إلى بلاطهم، وفي زمن هارون الرشيد وابنه المأمون أصبحت بغداد مركزاً مهمًا لمباحث علم الفلك، ثم انتشرت



مراصد الفلك في دمشق وسمرقند ونيسابور، والقاهرة وفاس وطليطلة وقرطبة، وبرزت أسماء عديد من فلكيي مدرسة بغداد الفلكية الذين عاشوا في القرن التاسع الميلادي، منهم: البتاني، ومحمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر، وأبو الوفاء وغيرهم. ودام عمل العرب في حقل الحضارة حتى بعد سقوط بغداد بزمن طويل، وظلت مدرسة بغداد الفلكية إلى أواسط القرن الخامس عشر من الميلاد، ونقل المغول معارف العرب في مجال الفلك إلى البلاد التي حكموها، فأقام هولاكو في عام ١٢٥٩م مرصداً كبيراً للفلك في مراغه، واستدعى علماء العرب إلى بلاطه، كما نقل المغول إلى بلاد الصين حين دخلت في حكمهم كتب علماء بغداد والقاهرة في علم الفلك، واستنبطوا معارفهم الفلكية الأساسية من تلك الكتب[3]. وتصف المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه اهتمام العرب بعلم الفلك، بأنه كان أقرب حقل علمي إلى نفوسهم[4]. وتقول عن تقدم العلماء العرب في هذا المجال وتفوقهم فيه على الأمم السابقة «إنه لا الرومان ولا الهنود هم الذين أسهموا في تطوير هذا العلم، وإنما كان من دواعي فخر العرب أن يفعلوا ذلك وحدهم، وكان لعلم الفلك أن خلص إلى ربيع ساحر»[5]. وقال غوستاف لوبون: «إن العرب هم الذين نشروا علم الفلك في العالم كله بالحقيقة»[6].

وشملت أعمال الرصد الفلكي عند المسلمون الشمس والقمر والنجوم، وتمكن الفلكيون المسلمون من رصد الاعتدال الشمسي، الذي مكّن من تحديد السنة بالضبط، ووضع تقاويم لأمكنة الكواكب السيارة، ودوّنوا نتائج أبحاثهم في عدد من الكتب تعرف باسم الزيج[7]، وساعدت نتائج مباحث علماء العرب في علم الفلك إلى التقدم في صناعة الآلات التي تحدد الوقت كالإسطرلاب، والساعات. والإسطرلاب هو آلة فلكية استخدمها الفلكيون اليونانيون في معرفة رصد الكواكب وارتفاعاتها، ثم طور العرب هذه الآلة وأنتجوا منها نوعاً مسطحاً صغيراً، بعد أن كان المعروف منه نوع كبير ومستدير ويستخدم في المراصد الجوية فقط، أما اختراع العرب فكان بمثابة ساعة جيب صغيرة، تؤدي في برهة قصيرة خدمات متعددة، واستخدمها المسلمون في تحديد أوقات الصلاة وتعيين موقع مكة حيث القبلة، إضافة إلى العديد من الخدمات في الحسابات الفلكية والزمنية[8].

وعرف العرب أنواعاً من الساعات الشمسية والمائية والرملية، منها ذات التقنيات البسيطة مثل المزولة.. وهي ساعة شمسية يعين بها الوقت نهاراً من خلال سقوط ظل شاخص على أرقام دائرة مدرجة[9]. والساعات الرملية أو المائية، وهذه الساعة هي حوض صغير يُملأ بالماء أو الرمل، وفي قاعه ثقب يسيل منه الماء أو الرمل

بقدر متقن في أنبوب ذي درجات محصاة تدل الملأنة منه والفارغة على عدد الساعات[١]. وقد عُرفت المزاول والساعات المائية منذ الحضارات القديمة اليونانية والمصرية والبابلية، وفي الجزيرة العربية وجد ضمن آثار الحجر آثار مزولة شمسية تعود لعصر الأنباط (القرن الأول ق.م-١٠٦م)[٢]. غير أنه في العصر الإسلامي ومع تطور دراسات علم الفلك تفتقت أفكار العرب نحو آفاق جديدة في مجال صناعة الساعات، فصنعوا الساعات التي تسير على الزئبق والشمع المشتعل، والساعات الشمسية الرنانة التي تصدر صوتاً رناناً عند الوقت المحدد، والساعات المائية التي كانت تقذف كل ساعة كرة في إناء معدني وتدور حول محور تظهر فيه النجوم، ورسومات لحيوانات مختلفة، أو ساعات تحمل فتحات متتابعة في شكل نصف دائرة وما تلبث ان تصدر ضوءاً كالبرق كلما جاوزت الساعة الثانية عشرة ليلاً في حين يمر فوقها هلال مضيء[٣].

وفي عام ٨٠٧م قدم الخليفة العباسي هارون الرشيد ساعة من ابتكارات العرب للقيصر شارلمان ملك الفرنجة، فنالت إعجاب الفرنجة وادهشتهم، اذ لم يروا مثيلاً لها من قبل، «وعلق مؤرخ القيصر على هذا الحدث في مذكراته واصفاً تلك الساعة قائلاً: كانت ساعة من النحاس الأصفر مصنوعة بمهارة فنية مدهشة، وكانت تقيس مدة اثنتي عشرة ساعة، وفي حين إتمامها لذلك كانت تسقط إلى الأسفل اثنتي عشرة كرة صغيرة، محدثة لدى اصطدامها برقاص معدنيّ مثبت دوياً إيقاعياً جميلاً، إضافة إلى عدد مماثل من الأفراس الصغيرة التي كلما دارت الساعة دورتها الكاملة قفزت من فتحات اثنتي عشرة بوابة واغلقتها بقفزاتها هذه، وهناك أشياء أخرى كثيرة تسترعي الانتباه في هذه الساعة تدعو إلى العجب والدهشة، وليس ثمة مجال لعدها...»[٤].

ولتفوق المسلمين في صناعة الساعات وتقنياتها، وحاجتهم إليها في معرفة أوقات العبادة، أصبحت منتشرة في أرجاء الدولة الإسلامية، وقد ذكرت المصادر العديد من الأماكن التي وجدت بها الساعات، فعلى سبيل المثال: وصف ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ) الساعة المائية لجامع الكتبيين بمراكش، وذكر إنها على باب الجامع وتسمى الكتبية، ويبلغ ارتفاعها في الهواء خمسين ذراعاً، ينزل عند كل ساعة صنجة وزنها مئة درهم، يتحرك بنزولها أجراس يسمع وقعها من بعيد[٥]. كما ذكر إن في المدرسة المعظمية قرب مسجد قبة الصخرة ببيت المقدس رخامة منقوشة مزولة لإخراج ساعات النهار، طولها من الشرق إلى الغرب ذراعان وثلثان وعرضها ذراع وارتفاعها ذراع ونصف[٦].

وذكر ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) إن المدرسة البوعنانية بمدينة فاس المغربية فيها ساعة





مائية نصبت قبالة باب المدرسة الرئيس، كانت لروعتها حديث الكتّاب والشعراء ردحًا من الزمان[٢]. وبقي بفاس ساعة مائية في القبة العليا من منار الجامع الأعظم الذي يقع شرق المدينة، بنيت في عهد إمارة المرينيون بفاس بأمر السلطان أبو سالم إبراهيم بن علي المريني المتوفى عام (٧٦٢هـ)[٣].

وذكر الفاسي (ت٨٣٢هـ) ضمن حديثه عن مرافق المسجد الحرام: مزولة بالمسجد الحرام، يقال لها ميزان الشمس، وهي من عمل الوزير الجواد، واسمه مكتوب في أعلاها على اللوح النحاسي المعمول لمعرفة الوقت[٤]. ومن العصور المتأخرة يشير البتنوني إلى مزولة المسجد الحرام بقوله: إن «شيخ المؤذنين أو الميقاتي يؤذن على قبة زمزم، وفيها مزولة مثبتة في حائطها الجنوبي من عمل رجل من مراكش أهداها إلى الحرم، وهي في غاية الضبط والإحكام، وعليها ميقاتهم في النهار»[٥]. كما يذكر إبراهيم رفعت باشا: «وفي سادس ذي الحجة سنة ١٠٩٧هـ وضع الشيخ محمد سليمان المغربي مزولة تجاه باب السلام، بني لها بترة طول قامة الرجل، ويرى الإنسان رسومها حيال الركن الشرقي على ممشى باب السلام، وكان موضعها فيما سلف مزولة عملها الوزير الأصفهاني»[٦].

ومن المدينة المنورة ذُكر مزولة في المسجد النبوي من عمل حسن بن حسين الأسكوبي (١٢٣٧-١٣٠٣هـ) وهو عالم فلكي من أصل أوربي كان يقيم بالمدينة المنورة[٧]. وفي القاهرة ذُكر مزولة أقامها العالم الفلكي محمود أحمد باشا، ويقال له محمود الفلكي (١٢٣٠-١٣٠٢هـ) أنشأها على سطح منزله تبين ساعات النهار وأنصاف الساعات وأرباعها ووقتي الظهر والعصر[٨].

ختامًا، يخلص هذا الموضوع إلى أن الأمم منذ القدم قد أدركت أهمية الوقت في تنظيم شؤون حياتها، فوضعت التواريخ التي تضبط الوقت، وعندما جاء الإسلام أكد على أهمية الوقت في حياة المسلمين عامة، وارتباطه بشعائر العبادة خاصة، وقد خلق الله الإنسان لعبادته، لهذا اهتمت الحضارة الإسلامية بالوقت، ووضع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله التقويم الإسلامي بالتاريخ الهجري ، واستفاد علماء الفلك من مباحثهم في علم الفلك في مجال تحديد الوقت وقادتهم أبحاثهم إلى وضع تقاويم الوقت، وتطوير الأسطرلاب والساعات الشمسية والمائية التي تحدد الوقت.

والوقت هو نظام الحياة الرئيس، وكل إنسان يحتاج الوقت، وكل ما في الحياة مرتبط بالوقت ولكل شيء عمرًا موقوتًا، وما ضاع سدى من الوقت لن يدرك أو يعوض بأي ثمن. قال يحيى بن محمد هبيرة:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه
وأراه أسهل ما عليك يضيع

ذلك الجدارُ..
تلك الشجرةُ

■ هشام بن الشاوي*

عمر الصباحات قصير، لهذا أحرص على أن أنصب لها فخاخا كثيرة؛ أستيقظ مبكرًا، كما يليق برجلٍ في منتصف العمر، يجتر بداوته الموؤدة.. لعلها الوسيلة الوحيدة لكي أعوّض العمر الذي تبخر فجأة، دون أن أدري؛ بهذه الفخاخ، أحاول أن أعيش نهارات أطول.

تداعب شمس الخريف الأرصفة والمباني في حنوّ، في صباح هذا الأحد الرائق، ويسري بعض الدفء في أجساد، تنفض عنها ما تبقى من تعب نهاية الأسبوع. في طريقنا إلى سوق العصافير، قبالة مبنى المحكمة القديم، سألت صديقي هشام إن كان يعرف هذه الأمكنة..

- هل كنت تسكن هنا؟

- لا، كان يسكن هنا بعض زملائي، وكانت سيارة العمل تقلهم من هنا.

ذهبنا -أنا وهشام- لابتياع بعض مستلزمات طيور الزينة، بينما راح جارنا الحاج العربي لمقابلة قريب بجوار السوق القديم. وفي طريق عودتنا، كان جارنا المتقاعد ينتظرنا على الرصيف، بقامته الربعة وملامحه التي تشي بأنه متصالح مع ذاته ومع العالم. تناهت إلى مسامعنا أصوات الباعة ومحركات الدراجات النارية صاخبة، متداخلة، أليفة وضاجة بالحياة.

دون مقدمات، بدأ الحاج العربي يحكي ما عاين في المكان، قائلا في حماسة:

- لو تأخرتما قليلا، كنتما ستجدان الشارع مقلوبا..

وأطلق العنان لضحكه الطفولي



المعهود، كما يليق برجل ستيني، لا تكدر صفو مزاجه مشاغل الحياة وإكراهاتها.

رمى البائع الجائل ثيابه في عربدة، وشهر سيفاً، كان يخفيه في صندوق، يقبع أسفل العربة اليدوية، في وجه أحد أفراد قوات الأمن، متفوهاً ببذاءاته، غير عابئ بتوسلات زملائه، عندما حاول صاحب البذلة العسكرية قلب عربته، التي تعرقل حركة المرور.

كنت أرنو إلى البيوت مأخوذاً، كأنما زرت هذا المكان بالأمس فقط.

عشرون عاماً، مضت كومضة برق!

في انتظار أن يعبر الحاج العربي الشارع، من مقعدي الخلفي في السيارة، كنت أرنو إلى المنحدر، وفي قاعه يستكين جدار واطئ. قلت لهما بنبرة شجن طازج: «في ذلك البيت، القابع على يسار الجدار، هناك، قضيت طفولتي، وفي هذه الأزقة تسكعت كثيراً».

على تويتر، كنت أرمق صورة من ريف نجران بحنين فائض، كمن يلقي نظرة أخيرة على مكان اعتدت عليه واعتاد علي.. كمية هائلة من الأحاسيس المبعثرة، المتعثرة، وفوجئت بأناملي تداعب شاشة الهاتف الصقيلة : «تكلت بحنيني البدوي الباذخ تلك العربة المهملة، والتي لا يمكن الاستغناء عنها بأي شكل من الأشكال، إنها تواصل مهامها، هناك.. في «جنوب الروح» بامتنان، ولا تتقاعس عن أداء مآربها الأخرى: تسند فروع كرمة تين، تصلح مثوى لكلب يحرس البيت من الجهة الخلفية، يقيل تحتها الدجاج في الهجير....».

استرسل الحاج العربي في هجاء الأحياء الشعبية، وامتدح العيش في الأحياء الجديدة، التي تخلو من الغوغاء، الذين ينامون نهاراً، ويعربدون ليلاً.. البدو، أسّ كل مشاكل المدينة!

قلت له في لهجة اعتراض:

- هنا أيضاً، مراهقون يتسامرون على عتبات بيوت الجيران، ويقهقهون طوال الليل.

كنت أُلمّح إلى ابنه المراهق صلاح، الذي تشاجرت معه أكثر من مرة.. يدع والده ينام في سلام، ويزعج الجيران.. ونكاية في بداوتي، قال الحاج العربي لهشام ضاحكاً: «إنهم يفعلونها في الشارع!».

أحسست بوخزة، لُذتُ بالصمت.

تداعى جدار الذكريات..

بقعة النصراني، كانوا يسمونها، يقال إن صاحبها معمّر فرنسي، مات في بلده، ولا أحد يعرف ورثته، ورفعاً للضرر المضاعف، اضطر أبي أن يطلب من البلدية أن تسمح له ببناء سور - من دون ملاط - فاصل بيننا وبين بيت الجيران، حتى لا تتراكم القاذورات أمام بيتنا، وجدار آخر، خلفي، مزود بباب، يحمينا من أذى كائنات الليل.


صورة من ريف نجران

من خلف الجدار الأمامي، كانت تلوح أغصان شجرة تين هرمة، كانت هذه البقعة المهجورة، بمثابة حديقة سرية، يزرع فيها أبي بعض الخضراوات، وأحيانا، نضع فيها بعض سقط المتاع، الذي يتكدس في ركن ما فوق أغلب أسطح هذه البيوت، ومثل عاصفة، كنت أهرع لجلب البيض، عند سماع تلك القأقأة المميزة. تتهلل أساريري بشرًا، وأنا أتحسس دفء البيضة الجديدة.

الجدار واطئ، تقادم طلاؤه، بعد أن أهمل السكان الجدد أن يجددوا طلاءه الجيري، تعلوه قطع زجاج مدببة، بألوان مختلفة، تحرس خرابًا بشعًا، يستكين خلف الجدار، بينما اختفت عن مرمى البصر شجرة التين.

....

....

شيء ما يتهاوى في أعماقي

ملامحي تفضحني...

سألني هشام:

- ما بك؟ لست على ما يرام!

غمغمت في أسى، وأنا أزفر فتات كبدي: «لا شيء، أنا بخير، يا صديقي».

«ممتلئا بخساراتي؛
لن أدع الدموع ترتق لي حتفي،
لن تتعثر جثتي وهي تقع من بين يدي لامبالاتي،
أنا سبب انكساري،
وأنا هزيمتي،
أنا كل ما فعله الحلم المغشوش بي،
لا أذكر شيئا مني ولا أذكر أن لي صباحا ينفتح شرفة
تضيئها قهقهة أمل مشاغب»[1].

صاح هشام في ابتهاج، وهو يوجه كلامه إلى جارنا باسمًا:

- الحاج العربي، إذا كنت تريد الهدوء، ابحث لك عن مكان، لا تسمع فيه سوى شقشقات العصافير، وحفيف أوراق الشجر.

قبل انطلاق السيارة، أشار الحاج بيده، ناحية نبّاش مستنكرا: «انظر إليه، ماذا يفعل؟!»، كان الرجل الكهل، ذو الملابس الرثة، التي تفوح منها رائحة تزكم الأنوف، يعبث بأكياس القمامة، بحثًا عما يسدّ به رمق أنعامه، ركل الأكياس في حنق، تناثرت الأزبال فوق الرصيف، وعلى قارعة الطريق، قفز الكهل إلى عربته، بحركة رشيقة، وخز البغل الأعجف، وهو يلعن أسلاف دابته. ندت عني آهة، مكتومة، وسمعت الحاج العربي، يصرخ: «هؤلاء البدو.. همج. لماذا يتركونهم يتجولون في شوارع المدينة ؟!».

التقت النظرات.. لم تكن ملامح الرجل غريبة عني، بعد أن غزت التجاعيد وجهًا لفحته الشمس. لم أره منذ سنوات، بعد أن هجرت مهنتي الأولى، التي يحترفها - عادة- رجال يأتون من خلف حقول جرداء عطشى، كان يعمل مع أبي، وهو من علمني أبجديات النجارة المسلحة. دون أن أدري، ألفيتني أشيح بوجهي عنه، فرفع يده ضاحكا، وهو يغمز بعينه، غرقت في بحيرة حرج مفاجئ، تصبب جسدي عرقًا، بينما استسلم الحاج العربي لضحكه الطفولي المعهود، وبدأ وجهه يتورد، وعيناه تدمعان.

---

* كاتب - المغرب.

(١) مقطع من قصيدة : «شبهات»، عبدالوهاب الملوح، https://alqabas.com/article/5843953 .

إنسانٌ جديدٌ

رجاء عبدالحكيم الفولى*

تكوّر مثل قنفذٍ.. بدا شخصًا بائسًا في عالم أشدُّ بؤسًا، تسلّقت التعاسة جدار قلبه على الضوء الواهن، تراقصت ظلال الدكة الخشبية بحصيرها المهترئ على صفحة الجدار الطيني، وجاء الزير يحمل خبوه وطحالبه ليشاركها الرقص. لم يفارقه ما حدث عصر ذلك اليوم في ملعب المدرسة، حيث أحرز هدفًا في شبكة الخصم.. طار فى الملعب مزهوًا بنفسه، كأي منتصرٍ، إلا إن أحد أولاد الفريق المهزوم ألقى على سمعه بتلك الكليمات التي هوت به حدفًا في جُبِّ الهزيمة: "أنت ها.. تطلع زي مين، روح شوف أبوك"! يتدحرج أبوه بقدميه الحافيتين وثوبه المهلهل إلى دكان (النيني)، يناوله زجاجة كل يوم يتجرّعها مرة واحده، ومن ثم يتخفف من ثوبه، ويسيل لعابه، فتصبح عورته مباحة للصغار، الذين يطاردونه فى الشوارع، ويضربوه بكل ما يصل إلى أيديهم، وهم يهتفون: "المجنون أهو".

فى الصباح نفض عن قلبه أحزان ليلته الماضية. حمل حقيبته المدرسية، سلك الطريق الذى يدخل البهجة إلى قلبه، تأخذه المزروعات فى حضنها، تنفّس نفسًا طويلًا ومريحًا. هناك عند الربوة لمح شبحَ دكان النيني.من هنا، يقطع أبوه الطريق إلى دكان النيني، تاجر الخمور، الذى يقيم فى الجهة الأخرى من البلدة. عليه أن ينزل إلى الخور، لا يدرى لماذا يتعيّن على كل مَن يقصده أن يتدحرج إليه! يشيّعه الغبار الكثيف، بينما تستلقي على يمينه أكوام الزجاجات الفارغة المكسورة رقابها، شيّع نظراته إلى الدكان ثم ألقى عليه بصقةً حملت كل مخزون الكراهية والاحتقار، وهو يحثُّ الخطى إلى مدرسته، خاطب نفسه وعيناه تشعّان بالأمل: عليّ أن أصنع تاريخًا لصغاري لا يعايرهم به الناس.

---

* قاصة - مصر.

هياكل

■ عقل بن مناور الضميري*

وصلت «تشارمِن»، العاملة الجديدة، خريجة الإدارة الفندقية، لمنزل سعيد وزوجته حصّة، بعد طول انتظار ومعاناة للعائلة جميعًا. فالمنزل كبير، وضيوف سعيد وزواره كثر.

فرحةُ الأبناء والبنات كبيرة بقدومها لمساعدة والدتهم، لكن سعادة حصّة أكبر من الجميع، وحاجتها إليها أكثر، فبدأت منذ اليوم الأول لوصول العاملة بالانسحاب والتخلّي عن جميع الأدوار والواجبات المنزلية، وتحويلها للعاملة وحدها..

تقول: يكفي.. تعبت، أريد الراحة.. لست مستعدة للمزيد من هذا الألم.. ولست أقل من صديقاتي، ولا من أخواته، رغم أنها كانت تلحّ على زوجها باستقدام العاملة لمساعدتها في مهام ومتطلبات المنزل والأسرة.

حاول سعيد تذكيرها بطريقة غير مباشرة بأن هذا لا يجوز، ولا بد من مشاركة «تشارمِن» في بعض المهام، وعلى الأقل لحين ظهور نتائج الفحص الطبي وسلامتها الصحية وتدريبها على مختلف الأعمال المنزلية والمطبخ، إلا إن حصة لم تستجب، ولم تناقش في هذه المسألة إلا بالصراخ في وجه زوجها! وبالقول: ألا يكفيك كل ما عملت؟ أنا لست خادمة عندك، وأضافت.. لعلمك لا يعجبني اسم «تشارمِن»، ولن أقبل به.

- لماذا؟ وماذا سيكون؟

- تدّعي أنك لا تعرف السبب!! خلاص منذ اليوم.. اسمها سارة.

- يعني على كيفك تغيرين اسم الآدمية؟ وهل أخذتِ موافقتها؟

- موافقتها!! طالما هي عندنا..



فاسمها سارة، وهذا أسهل لندائها، اسم خفيف ولائق عليها، حروف المدّ أنسب لمن نناديهم كل لحظة.

- ولماذا كل لحظة؟ وأيضًا أراكِ أصبحت خبيرة أصوات ولغات ومعانٍ!!

- نعم خبيرة بهذا وأكثر.. لا تكثر الكلام، هي خادمتي، وأنا حرّة بها، وأنا بحثت عن معنى اسمها، فوجدت أنه غير مناسب لنا.

- لا لست حرّة بها، وهي ليست ملكًا لأحد، جاءت بعقد عمل ولها حقوق.

- وعليها واجبات.

- نعم عليها واجبات ضمن أوقات ونطاق واضح بالعقد.

- اسمع يا محامي الشغالات، لا تتدخل بيننا، اترك سارة لي، ولا عليك، فقط عليك آخر الشهر أن تدفع راتبها بانتظام.

- سارة إذاً!

- نعم راتب الخادمة سارة، وتُتمْتِم حصّة على نفسها قائلة.. يحسبني هبلة.. أحسن، خلّك مقهور.. وهذا الذي أريد.. كل شغالة تجيني بعد اليوم ما لها اسم عندي غير سارة.. على اسم أخته.

قبلت «تشارمِن» اسمها الجديد فورًا وبفرح، ولَم تدرك تلك الحوارات الساخنة حولها، ولا المراد من هذه التسمية، واندمجت بعملها المتنوّع والشامل والدائم، حتى قبل ظهور نتائج الفحص الذي جاء بنتيجة سليمة وصالحة للعمل.

بدأت تفتر العلاقات الزوجية وتمتد القطيعة الصامتة بين سعيد وحصة لأسابيع، وتزداد حاجتهما معًا لسارة، بل وحتى الأولاد اعتمدوا عليها في مختلف شؤونهم.

حاولت حصة الاستئثار بوقت سارة وخدماتها كاملة، وأخذها معها في زياراتها التي زادت عن قبل، وفِي مشاويرها للسوق، إلا إن سعيدًا كان صارمًا في هذا الأمر بشكل جعل زوجته تتنازل عن هذه الرغبة مُكرَهة.

ومع الوقت، أصبحت سارة نفسها لا تريد الخروج إلى تلك الزيارات التي ليست سوى أعباء إضافية في التنظيف وكيّ الملابس، وصبغ شعر أخوات حصة وبناتهن دون مقابل!

كعادته، يتناول سعيد إفطاره بالمنزل دائمًا، لا كما يفعل معظم الموظفين الذين يطلبون إفطارهم من مطاعم قريبة من مكاتبهم، وقد اعتاد تناوله بالمطبخ حتى قبل أن تكون لديهم عاملة، ولذا فوجوده مع سارة صباح كل يوم، لا يثير آية ظنون لدى زوجته، كما أنه اعتاد غسل الطبق بعد الانتهاء من الأكل بشكل روتيني وتربوي لأولاده منذ صغرهم، وهذا العمل أصبح مستفزًا لحصة، لدرجة أنها تطلق على مسامعه عبارات مهينة، كالمساعد والمعاون اللطيف.

احترامه لسارة وتعامله المهذب معها وعدم تأخير راتبها الشهري جعلها تهتم به كثيرًا، وتفهم احتياجاته، وتقدمها دون طلب؛



الأمر الذي يغيظ حصّة كثيرًا، وما كان لها سوى المبالغة في تكليفها بأعمال طارئة بمجرد ملاحظة انشغالها لخدمة سعيد.

لم يواجه سعيد هذه التصرفات سوى بالتجاهل، وهذا ما زاد في حنق الزوجة، وكثرة صراخها حتى على أبسط المسائل، بل وحاولت تغيير سلوك أطفالها بعدم الاهتمام بإعادة ترتيب غرفهم وغسيل الأطباق بعد الأكل كما تعودوا، وأفهمتهم أن هذا دور الخدم لا أهل المنزل!

هذه الأعباء المتزايدة والطلبات الكثيرة لا يحلو لحصة إثارتها ومتابعتها الا بوجود سعيد وعلى مسمعه، فحاول الحدّ من هذه التجاوزات بالضغط على أولاده بالالتزام بما اعتادوا عليه من خدمة أنفسهم.. لا الاعتماد على غيرهم، فما كان من حصة إلا ابتكار حيلة جديدة، تأخير إيقاظهم للمدرسة صباحًا، فلا يستطيعون القيام بأي من تلك المهام سواء بغرف النوم أو المطبخ بعد الإفطار.

اضطر سعيد للحدّ من استقبال الضيوف في المنزل، واستبدال هذا الأمر بدعوتهم ولقائهم في إحدى المقاهي أو الفنادق رأفة بالعاملة وإشفاقًا عليها من ساعات العمل اليومي الطويلة، وطلبًا للستر عمّا بدت ملامحه واضحة لإحراجه أمام ضيوفه بتعمد سوء الخدمة وتأخيرها بشكل لا يمكن إخفاؤه.

لكن الراحة لم تحصل، والهدف لم يتحقق، بل ازداد الوضع سوءًا، إذ أصبحت حصة تستقبل صديقاتها بالمنزل تقريبًا كل مساء، وحتى ساعة متأخرة من الليل.

مضى على تلك الحال نحو السنتين، واستحقت سارة إجازتها المحدّدة بعقد العمل، وهي خمسة وأربعون يوما، فأخبر أولاده بقرب سفر سارة في إجازة عادية، وهذا ما لم تتوقعه حصة، فحاولت ثنيها عن ذلك بالتأجيل والاغراءات بالتعويض النقدي وإعطائها إجازة أسبوعية، إلا إنها أصرت على السفر بتشجيع من سعيد، وأنها لا تستطيع تأخير زيارة والديها، واشتياقها الكبير لطفليها الصغيرين.

كانت العاملة تستحق شهرًا ونصف عن خدمتها السابقة، لكن سعيد قرّر لها إجازة ثلاثة أشهر مدفوعة الراتب مقدمًا مع بعض الهدايا، وتبرع بأجرة الوزن الزائد للعفش الذي ستأخذه معها إلى بلادها كتعويض عن التعسّف والعنت الكبير الذي تلقاه من زوجته.

لكل تلك الرعاية والعطف تعلقت به كثيرًا وأخلصت له، وعرضت أن تعود قبل الثلاثة أشهر؛ لأنها لا تريد أن يذهب لعمله بلا إفطار، أو لا يجد ملابسه جاهزة ومرتبه كل صباح، لكنه رفض تقصير المدة وتغيير موعد حجز عودتها، وطمأنها بأنه سيقضي معظم هذه المدة بإجازة خارجية.

لم تخفِ فرحتها، بل دعته وتمنت عليه كثيرًا لأن يقضي إجازته في بلدها، ووعدته برحلات وزيارات ممتعة وبتكاليف محدودة جدًا.

شكرها على الدعوة، ولَم يلتزم لها بوعد، ولكنه أكد لها إن أمكن ذلك فستكون هي أول مَن يعلم بذلك.

غادرت سارة إلى بلادها وتركت وراءها بيتًا يموج بالجفاف والتباعد، وحتى التحديات الخارجة عن المألوف بين ساكنيه.

لم يمض أسبوع على المغادرة حتى بدأت الرسائل والاتصالات مع سارة في أوقات لا تراعي فوارق التوقيت، ولا توازي في منفعتها حتى قيمة المكالمة الدولية، لمجرد السؤال عن صابون غسالة الأطباق، أو مقشّر البطاطس، وحتى مشط الشعر لإحدى البنات، ومع كل اتصال أو رسالة.. تذكير أو رجاء بسرعة العودة.

بعد ثلاثة أسابيع غادر سعيد ليقضي إجازته السنوية وحده على غير العادة، ودون أن يحدد لزوجته مدتها ولا الجهات المستهدفة؛ ما خلق حالة من الحزن والضياع، وحتى الخوف لدى حصة وأولادها.

تلك الحالة ألزمت الجميع، وإن كان بشكل انفرادي، لمراجعة مسيرة الحياة والعلاقات الأسرية في هذا المنزل، وبالذات مع الأب والعاملة، وطريقة الإنفاق والأنانية التي ظهرت بشكل واضح لدى كل أفراد الأسرة، وتصدع الكثير من القيم والأهداف الكبيرة التي كانوا يحلمون بها لسنين طويلة، غير أنها لم تكن سوى مراجعة عابرة بلا تغيرات ملموسة.

عادت سارة من إجازتها، وقبلها بأسبوعين عاد سعيد كذلك بنفسية أفضل واستعداد للمصالحة مع زوجته، إلا إنها أصرّت على تقديم اعتذار لها- منه ومن سارة - عن كل ما حصل.

لم يصدق سعيد أذنيه، ومَن الذي يتوجب عليه الاعتذار، فانسحب دون ردّ أو حتى اهتمام.

ارتكبت سارة -بحسن نية- خطيئة كبيرة لم تحسب لها حسابًا ولا تصورًا بما ستكون عليه الحال نتيجة لسؤال رأته عاديًا، لكنه كلّفها فقدان عملها واضطرابات هائلة في هذا المنزل، بسبب إصرار حصة على طردها فورًا، وكان ذلك في مساء أحد الأيام، وهي تقدم القهوة لسعيد بحضور زوجته، إذ التقت نظرات سارة بسيدتها حصة، وفجأة قالت سارة بابتسامة وبراءة، مدام.. ما معنى اسمك حصّة؟

ردت عليها.. لماذا؟

- فقط، خطر الآن على بالي أعرف معنى اسمك مدام.
- حصة تعني حصة، هذا اسم جيد، والكثير من البنات هنا يحملن هذا الاسم.
- يعني بدون معنى؟
- طيب لماذا تسألين؟
- أريد أن أعرف وأقوله لأمي، إذ سألتني قبل ايّام.
- كما قلت لك هو اسم حلو ومعروف عندهم، هكذا قولي لأمك. هنا تدخّل سعيد يوضح لسارة، وقال حصة تعني جزء أو نصيب، ثم أضاف بالإنجليزية



Part or quota، فضحكت سارة وهي تردد كلمة part.

- جُنّ جنون حصّة لهذا التفسير الذي رأت فيه انتقاصًا منها وخدشًا لكرامتها أمام العاملة، ورسالة ذات مغزى بأنها ليست كاملة، ولَم تترك كلمة في قاموس معرفتها بالسبّ والشتيمة إلا وأطلقتها عليهما، مع إلقاء القهوة على ظهر سارة وحضن سعيد، ولعنتها وسعيد، واليوم الذي جاء بها، "أنا جزء يا لئيم، أنا part لمن؟ ومن هو الجزء الثاني؟ لا تكون هذي الخدامة هي اللي تكمل لك النقص اللي فيك، أنا أكمل منك ومنها ومن أهلك يا ناقص، يا متعوس، يا خايب، متى عرفت الكمال؟ مع أمك وأخواتك أو مع الشغالات؟؟ اليوم تتقلع هذي، والله لن تبات بهذا البيت، يا أنا يا هي".

وانقلب البيت إلى ساحة معركة وإتلاف لكل ما كان أمام حصة، وصراخ لم يتوقف بشكل لم يسبق له مثيل.

أخذ سعيد العاملة لمنزل والدته لحين تدبّر الأمر، وبأمل هدوء زوجته وتفسير قصده من تلك الكلمة العابرة، والتي لم يقصد منها أيًا مما دار في ذهن زوجته؛ لكن كل محاولاته باءت بالفشل، وبقيا منفصلين، والقطيعة كاملة بينهما لمدة طويلة.

سيبلغ الحد الأدنى من الخدمة لطلب التقاعد المبكّر بعد سنة، وعليه.. قرر سعيد الهروب من هذا الجحيم، وقد درس تكاليف هذا القرار والبدائل المتاحة، لكنه أراد لسارة أن لا تأخذ انطباعًا سلبيًا جدا عن هذه البلاد وكأنهم شواذ عن هذا العالم.

سعى بسرّية لأن يقنعها بالبحث عن فرصة عمل لدى أسرة أخرى لاستغناء والدته بعاملة سابقة لديها، مع الوعد بإمكانية العودة لمنزل والدته متى شاءت إذا لم تتفق مع الأسرة الجديدة، وحتى إنه يمكن تكرار التجربة مرة أو مرتين حتى تجد المكان المناسب، لم يستعجل في استقدام عاملة جديدة رغم تضخم معاناته وغياب كل الخدمات المنزلية، إذ إنه يريد ترويض زوجته أو تربيتها كما يقول، وكي لا تفسد أولاده، بل إنه عدّها فرصة أو تهيئة لهم للاعتماد على أنفسهم حال تقررَ فعلًا خيار إقامتهم معه بدولة أخرى بعد التقاعد.

وافقت سارة على العرض، وانتقلت إلى أسرة كبيرة تختلف عن بيئة بيت سعيد بشكل كامل، إذ كانوا مُتطرفين جدًا في التزمُّت والنظر لكل جديد على أنه إما محرّم أو عيب كبير، حتى أن الزوج والأبناء لا يسمح لهم بالدخول إلى منزلهم قبل اختفاء سارة عن الأنظار، أو بقائها في المطبخ ساعات طويلة دون عمل، لمجرد بقاء الأسرة مجتمعة في صالة الجلوس، مع إدمانٍ لافتٍ على طلب القهوة، إذ عليها عمل قهوة جديدة كل ساعة تقريبًا.

لم تستطع تحمل هذا النمط من العلاقة وظروف العمل المزري، فطلبت العودة لبيت والدة سعيد.

خلال أسبوعين، وجدت نفسها في بيت ثالث، تخدم سيدة كبيرة تعيش وحدها،

يزورها أبناؤها وبناتها كل مساء ومعهم أطفالهم، لكنهم لا يكادون يتحدثون مع بعضهم بعضًا ولا مع والدتهم؛ لانشغالهم المفرط بأجهزة الهواتف وتصويرهم لكل شيء، من الأكل والشاي والفاكهة، حتى سارة تمّ تصويرها مئات المرات وهي تقدم الأكل أو ترفعه أو تخدم والدتهم، وكل هذا دون أدنى استئذان أو خجل!

أرادت البقاء مع تلك السيدة؛ لأن تلك الزيارات الصامتة -إلا من زواجر الآباء لأطفالهم بين لحظة وأخرى- تنتهي بعد ساعة واحدة فقط، ولأن الراتب تجاوز ضعف دخلها السابق لدى سعيد، خاصة مع الهدايا والإكراميات المستمرة من أبناء السيدة وبناتها، بما فيها بعض المشغولات الذهبية، وشحن الجوال برصيد نقدي يفوق حاجتها، ومختلف الحلويات والملابس؛ إلا إن السيدة كانت كثيرة الشك، ولا تريد لها أن تغيب لحظة واحدة عن ناظرها، وطول الوقت، بما في ذلك إلزامها بالنوم معها في الغرفة نفسها! بدعوى الحرص عليها وحمايتها من الأغراب.

خجلت سارة من كثرة الانتقالات، ولكنها اضطرت لشرح أوضاعها لسعيد دون أن تطلب منه البحث عن بيت آخر أو العودة إليه، لكن سعيدًا أراد لها هذا التنوّع في التجربة قصدًا ولغرض في نفسه، فما لبثت أن تلقت اتصالا منه يفيدها بوجود أسرة تمتهن تربية الدواجن والعيش في مزرعة كبيرة، وأنهم يقدمون لها راتبًا مع نسبة جيدة من قيمة مبيعات المزرعة والإنتاج الذي تشارك فيه.

رحبت بهذا العرض، فاعتذرت من السيدة المسنّة بالمغادرة، ورغم محاولات السيدة إبقاءها ومعرفة الأسباب، إلا إنها حصلت على موافقتها بعد أن ألحّت عليها، وطلبت منها الحرص والحذر كثيرًا من الرجال، قائلة: لجمالك وأناقتك اللافتة والمغرية مخاطر لا تدركينها يا سارة.

ذُهلت سارة من نصائح هذه السيدة وإشارتها لجمالها وفتنتها للرجال، فهذه أول مرة تسمع أحدًا يحدثها عن جمالها الذي لم تدركه سارة نفسها.

فكرت برفض العرض والبقاء لدى سيدتها الحريصة عليها، خاصة أنها تحصل على دخل كبير، لكن التزام سعيد مع مالك المزرعة وعدم رغبتها إحراجه جعلها تؤكد للسيدة أنها ستعود إليها إذا وجدت أي مخاطر أو خوف مما أوصتها وحذرتها منه، وقد أكدت لها السيدة ترحيبها متى عادت ورغبت.

عالم المزرعة قلب حياتها رأسًا على عقب؛ إنتاج متنوّع، وعمل متجدد، ودخل لا محدود، وانشغال عن كل شيء آخر غير العمل، وقد بلغت مدخراتها خلال ستة أشهر ما يعادل السنتين والنصف التي قضتها بالعمل في هذه الغربة أو أكثر.

بعد نحو العام على هذا الوضع بكل تعبه وعوائده وأحلامه بالثروة السريعة، حدثت وفاة صاحب المزرعة بحادث مفاجئ، تراخت بعده همّة الورثة، وقلّت منافذ

التسويق والطلب؛ وبالتالي الإنتاج، فأدركت أنه لا مجال للبقاء في تلك المزرعة لمدة أطول، رغم شغفها وارتباطها العميق بهذه التجربة الثرية.

لم يشأ سعيد تركها تبحث مرة أخرى عن فرصة عمل بالخدمة المنزلية، إذ أصبحت هي أثرى من ذلك وأنضج، في تجربة يمكن لها استثمارها هناك في بلادها، فاقترح عليها العودة لبلادها، والتفرغ مدةً لكتابة مذكراتها وتجاربها المتنوعة في اغترابها وطباعتها في كتاب، قائلا: أردت لك هذه المهمة تحديدًا بعد مغادرتك منزلي، ستكون تجربة ثرية، إذ لا أعلم مغتربًا من بلادكم رغم كثرتهم هنا قام بتسجيلها في كتاب، واقترح له عنوانًا «كنت في غربة»، ستجنين منه الكثير يا سارة.

لكنها قالت: بل كنت خادمة.

لا لا ليس هكذا.. أريدها ملهمة هنا وهناك، وكل رجائي أن تكون روايتك أمينةً بلا قسوة ولا تشويه، فقالت بل سأكون مرآة عاكسة لا أكثر، وسأذكركم بخير وأردفت ضاحكة.. إن بحثتم عن شيء في المنزل ولَم تجدوه، فلن أتردد بإخباركم عنه.

رتب سعيد تأشيرة السفر وحجز لها مقعدًا على إحدى رحلات شركات الطيران المغادرة لبلادها.

اصطحبها للمطار ليودعها ويشكرها على تحملها لكل الصعوبات في بيته ومع أسرته، ويؤكد لها اعتزازه بها كصديقة دائمة، وأنه سيقف معها في كل الظروف متى احتاجت له، ومذكرًا لها بأهمية فكرة الكتاب، والبدء السريع في العمل عليه، وقبل نسيان المواقف والصعوبات والإنجازات، وأسماء الأماكن، وكل ما يلزم إدراجه في الكتاب.

قدمت «تشارمِن» شكرها وتقديرها ومحبتها الصادقة لسعيد وأسرته، ووعدته بشأن الكتاب إن تيسر إعداده وطباعته، فسيكون نصف عائدات بيعه من نصيبه، لأنه لم يكن لديها كل تلك التجربة لولا رعايته وحرصه الكبير عليها..

- أبدًا هذا جهدك وتعبك، أتمنى لك التوفيق وحياة سعيدة.

وأمام صالة المغادرة صافحته وشدّت على يده مودعة، مع القول:

أشكركم جميعًا، وبلّغ السيدة حصة تحياتي وتوصيتي بإلحاح فقط أن تتواضع، وأعدك بصدق بأن ستكون أول من يقرأ مسوّدة الكتاب لتوافق عليه، وتتصدره صفحة الإهداء باسمك وحدك.

هنا، همّ بتقبيلها وتردّد، لكنها هي بادرت.. فعانقته بحرارة.. وكان ذلك للمرة الأولى..

.. ومَن سيعلم غدًا؟

فهل ستكون الأخيرة..؟!

---

* كاتب -الجوف.

لست امراة عادية

▪ ليال الصوص*

لست امراة عادية،
فحبل الكلمات لا يُقطع بمقص الوقت
بل يحيك مع كل حدثٍ لونًا مختلفًا من الأحاسيس والصور..
أنثى ترقص مع الحروف رقصة زوربا،
في جنون المُفردات؛ ما يحيلها لشهرزاد
وخلف كل حركات الكسرِ ألف وجع
أنثى في انتظار رجلها الاستثنائي، القادم من خلف غمام الفرح..
و عنقود الرغبة!
فلا بأس إن اعترفت من وقت لآخر بالخسارات الكبيرة،
فأنا حالمةٌ في طبيعة الحال، مزاجي يعدله كوب قهوة ومشهد أمواج تتكسر..
لكن من الطرف الآخر، قد تجد في داخلي جنون العواصف
خاضعة للتقييم المجتمعي، فإن نشرت قصائد حبٍّ يقال عني عاشقة!
وإن أبديت رأيًا في السياسة، أتحول إلى منافقة
مدمنة هذه الفترة لتفقد الوجوه الملثّمة بالكمامات الطبية،
تثيرني هذه الحالة الجديدة؛ حين تضحي وجوه البشر عيونًا مشرعةً على الخوف والترقب..
ولأننا نسينا أو تناسينا لغة العيون، باتت النظرة تائهة، حتى الأصوات كتمت بكلمة معلوكة..
أحاول مزج وجوهٍ.. أعرفهم مع مارةٍ غرباء،
أن أتخيل ابتسامتهم المشعّة من خلف قطعة القماش
فربما أشعر بالانتماء
فقد تاهت بنا السبل في وطن يلفظنا نحو منعطف الرحيل.
وقلبٍ يضجُّ بالحنين..!

---

* شاعرة فلسطينية- لبنان.



الكِنايَةُ.. مَسافاتٌ مُشاغِبَة!

■ فهد أبو حميد*

وَددتُ لـو أنَّ لـلـصُّبحِ الـنَّـدِيِّ شَـفَـه
لـمَـيـاءَ تُـفْـشي شُـجـونَ الـعُـمْـرِ دونَ سَـفَـه

لَـرُبَّـمـا سَـمِـعَـتْ (لـمَـيـاءُ) هَـيـنَـمَـةً
غَـيـبِـيَّـةً مِـنْ أقـاصـي الـرُّوحِ مُـخْـتَـطَـفَـه

هَـلْ قُـلـتُ لـمَـيـاءَ؟! خَـوفـي مِـنْ عَـواذِلِـهـا
يَـخـتـارُ مِـنْ سَـلَّـةِ الأسـمـاءِ مَـحْـضَ صِـفَـه

هَـلْ يَـكـذِبُ الـعِـشـقُ؟! لِـلـعُـشَّـاقِ فَـلـسَـفَـةٌ
تُـمـازِجُ الـرَّاحَ إخـبـاتًـا ولَـيـسَ تَـفَـه

ألَـمْ تُـراوِدْكَ فـي الـعُـنـقُـودِ مَـثْـلَـبَـةٌ؟!
بَـلَـى.. لأنَّ سِـمـاتِ الـحَـقِّ مُـخْـتَـلِـفَـه

وَ أنـتِ كـالـلَّـحـنِ! يَـجـتَـازُ الـلُّـغـاتِ إلـى
أهـزوجَـةٍ مِـنْ حُـقُـولِ الـرَّيـبِ مُـقْـتَـطَـفَـه

بَـيـنَ الـنَّـقـيـضَـيـن أوراقُ الـهَـوى ويَـدي
تَـمْـتَـدُّ نَـحْـوَ يَـراعـي الآنَ مُـرْتَـجِـفَـه

إذْ كَـيـفَ أحْـشُـرُ وَجـهـي فـي مَـلامِـحِـهِ
و الـذَّاتُ فـي حَـوزَةِ الأضـدادِ مُـعْـتَـكِـفَـه

وَ الْبَحْرُ رَحْبٌ بِما يَكْفِي لِراهِبَةٍ
مَكْلُومَةٍ وعَفِيفٍ مُسْبِغٍ أسَفَه

وَ اللَّيلُ ما لَسْتُ أرجو فِيه سانِحَةً
تَجُودُ أو طائِفًا مُسْتَشْرِفًا شَغَفَه

وَ الشِّعْرُ؟! حَتَّى دَبِيبُ الشِّعْرِ في أرَقِي
يُفْضِي إلَيَّ ولَكِنْ طافِحًا أنَفَه

كأنَّ قافِلَةَ الأقْلامِ ما اجْتَرَحَتْ
عُرْفًا ولا أرهَقَ التَّرْحالُ مَنْ عَرَفَه

أسعى وغَرْغَرَةُ الأحبارِ تَحْمِلُني
إليكِ ذاكرةً مَجروحَةً خَرِفَه

أسعى وأسْتَخْرِجُ الأسماءَ مِنْ غَبَشٍ
أو دَهشَةٍ بِسَديمِ الظَّنِّ مُلتَحِفَه

لِكُلِّ أنثى نِصابٌ سالَ تَورِيَةً
أو نَغْمَةً مِنْ هَديلٍ غَيرِ مُعْتَسَفَه

(كُلِّ أنثى) ! فَهَلْ أدرَكْتِ مُعْتَزِلًا
خَلْفَ الحَياةِ يُقاسي طارِئًا نَسَفَه

لا تَسألي عَنْ حَفِيٍّ بِالجِراحِ أتَى
مَوارِدَ الحَتْفِ يَومًا مُضْمِرًا هَدَفَه

سَيَعْجَبُ النَّاسُ حَتْمًا مِنْ مُساجَلَةٍ
وقُبْلَةٍ تَبْلُغُ المَعنَى بِغَيرِ شَفَه

---

* شاعر سعودي.



كغبطة أسرى تداهمهم بغتة الباب

▪ عبد الوهاب الملوح*

ما الذي سوفَ يُغريكَ.. أوْ يُوقدُ النَّار فيكَ
ولا شيءَ بين يَديكَ؛
تُمزِّق أوصالَ مستقبلِ الوهمِ؛
ها أنت تُنقذُ عُريَك من مرثِيات البكَاء المَجانِي،
وتُنقذُ عمركَ، قهقهةً تركلُ الالتِياع، وكلَّ دواعي الندمْ.
وتُحرِّفُ سيرته بسموِّ التداعي وتصديقِ تغريبة الهذيان.
ما الذي سوف يُغريك في كل هذا:
الزحامِ، الرمادِ، الغبارِ، اللهاثِ، اللهيطِ، القطيعِ، العويلِ..
هكذا أنت هاويةٌ في رؤاك،
تُعدُّ الطريق مقاسًا لخَطوِك، ترعى الخلاء،
فتحرسُ أثداء أنثى تنام فريسةَ حرٍّ قليلَ الحياء،
وتحرسُ مستودعًا لمخيِّلة الريح،
تُصغي لسرِّ الحصى وتخبِّئُه؛
تتبادل والقمر الطائش شتم موعظة الشمس،
من جهةٍ في التلاشي، وأمزجةِ الاحتفال بما يتشظَّى
تجيء كإيقاع أغنية غير مكتملةٍ، كمشقَّاتِ مُفردةٍ نالها صدأ الشعراء؛
على موعد مع ما يتدفَّق من كائنات مباهجِك اللامباليه.
أنت معبدُ هذا الضلال وما يتمجَّد خارجه؛
ولك الآن مِنْحةُ عمرك من محنتِك الموجعة
يا نبيَ الضلالِ اللقيط..
لك الآن أن تكتفي بك
ها أنت ترتجلُ الوقت مختصرًا كل ما سوف يأتي؛
لك الآن أن تحتفي بالفراغ كحفلةِ طيرٍ تباغت حزن السماء.
كغبطة أسرى تداهمهم بغتة الباب،
تأخذهم من أسى الانتظار وغيَّابة الفقد، تأخذهم حيث تُسعفهم غابةٌ بصباحاتها
ومساءاتها، وتعود حبيباتهم بحواسِّ غدٍ،
لا يعلِّق وهمًا على الشمس

تنهض فجرًا يضيء عتمة ليل بلا قمر.

عبثًا؛

تعتق السجناء من الوهم، من فكرة الجدران؛

عبثًا؛

تعتق الشعر من كذبة الشعراء

عبثًا؛

تندم الآن؛

تمضي بهذا المساء إلى فرح تستعير كمنجاته توهُجه؛

من حنين بلا رغبة، من يد الخذلان، من الندم القاسي، من عصا الأعمى، من معاجم مرتجلي الهذيان.

عبثا؛

ترتق الأرق المتدفِّق بالعرق المُتقطِّع،

بالنافذة،

بشجاعة طفل حزين لقيط، يركِّب لعبته الحجرية، يمنح عائلة الريح أسماءه، ويديه التي لا يراها.

أين تمضي بأيام عمرك؛

تتركها للمجاز، تُبعثرها قهقهات معلَّبة، أو حدائق موجزة في خطى عاشقين يفران من أمل لا يعانق جرحهما.

سوف تبتكر النهر أغنية للطريق.

عبثًا؛

سوف تمضي بأيام عمرك،

أي طريق هذي؟ أي مصائر؟ أي حتوف، وأي صلاة تؤديها ندمًا! وتؤكدها جبهة الرأس أختام توبة رأس تكسَّر،

لو كنت فوضى

أسلمت عمرك دون مزادات علنيةَ

والمطر انفلت من كتاب السماء حمامًا.

ما الذي سوف يُغريك؟

لا شيء يُغريك غير ضلالة روحك.

---

* شاعر - تونس.



الرَّبيع

▪ سامي أبو بدر*

هَلِ الرَّبيعُ مُعانِقًا أَزهارَهْ
ومُغَرِّدًا بينَ الوَرَى أَشعارَهْ

يَحدُوهُ شَوقٌ للجَداوِلِ والرُّبَى
ومُداعِبًا في فَرحَةٍ أَطيارَهْ

والأَرضُ تَزهُو بالجَمالِ كَلَوْحَةٍ
راحَتْ تُفَسِّرُ في المَدَى أَسرارَهْ

والأُفْقُ مُزدانٌ يُغازِلُ ناظِري
تُغوِي فُؤادِي مِنْ شَذاهُ بِشارَةْ..

أنَّ النَّسائمَ أَقبَلَتْ في عِطرِها
خَجْلَى، ونَفسِي بالصِّبا أَمَّارَةْ

هَبَّتْ تُلامِسُ خافِقَينِ لِهائمٍ
مَنْ بَعدُ يُطفِئُ في فُؤادِيَ نارَهْ؟

إلا ابتِهاجُ المَرْجِ في خُيَلائِهِ
وكأنَّما حُسْنُ المَلائِكِ زارَهْ

وإذا بِنا نَبدُو سُكارَى سِحرِهِ
حتَّى اسْتَبدَّ بنا الهَوَى فأَثارَهْ

والرُّوضُ تَأْسِرُنا فنَطرَبُ لِلنَّدَى
طَرَبَ المُغَنِّي عازِفًا أَوتارَهْ

وتَرَى العَنادِلَ تَسْتَبِينُ سَبِيلَها
تَمضِي لِتُرسِلَ في القُرَى أَخبارَهْ..

في العالَمينَ، فمَنْ يُرَدِّدُ خَلْفَها
شَدْوًا يُراقِصُ في الضُّحَى قِيثارَةْ؟

---

* شاعر - مصر.



غياب

▪ د. أحمد اللهيب*

كالريحِ في ارتقابها ينامُ حين يبسمُ السحرْ
وتشرقُ الغيومُ من غياهبِ العذابْ.
كان هنا وغابْ
مُحمّلًا بنغمةِ المطرْ
يشتاقُه الترابْ
تغتالُه ملامحُ السفرْ
وعادَ من جراحِه، يحنّ للإيابْ، ومثقلًا بلوعةِ السرابِ ينتظرْ.
أنا هنا ونجمتان تسبحان في المطرْ
ورهبةُ الحنينِ في محاجري، وحسرتان تسكنانِ في مدامع القمرْ.
وما يزال بيننا..
طريقنا مكسوّةٌ بوحشةِ الأنينْ
وفي مسامعي عواءْ.
وأينما رحلتُ في متاهةٍ
يصيرُ ما حوتْ أناملي هباءْ
جمعت ما لديّ من مشاعرٍ
رتبتُها حزينهْ.. زينتُها كسيرهْ.. غلّفتُها أليمهْ.
في التيهِ - يا حبيبتي- وهبتُها الفناءْ.
تحيطنا مواجعٌ تخثّرتْ
خطوطُها محمرّةٌ
ويسفرُ المساءُ صامتا
جناحُه كصرخةِ الضباب في الظلامْ
فيبرقُ الوجع
يرقصُ في منابت الهباء.
وحلمُ ليلتي
كفرحةٍ.. تجولُ في القلوبِ مُتعبهْ.. وحيدةً ومُنهكهْ، يلفّها العناء.
يا ليلةً مسكونةً بسكرة الوهنْ
قدمتُ من مشارف السؤال
وهاجسٍ يلوح في مغيبه نداء
يتيمة الأمل
روحي التي تذوب في الغياب.

---

* شاعر سعودي.



العُلا.. بين حلمٍ ورؤيةٍ..!

▪ عمر بوقاسم*

جبالها، جبالها ليست كجبال هذا العالم..،

مدينة العلا ..!، نعم، جبالها، ليست كجبال هذا العالم..،

جبالها كرحم الأمهات، دفؤها يفوق دفء الشمس..!

وكطائر العنقاء، ترافقك في "رحلة عبر الزمن"..

طائر العنقاء، يصعد بك للسماء..،

وجناحاه الأخضران، هما الأعوام وآلاف الأعوام..!

تستظل بهما الأودية والقرى والنجوم والرياح والرمال والأشجار..!!

مدينة العلا..

أم الحضارات.. أم الحياة.. أم التاريخ..

وبين حلم ورؤية،

مدينة العلا

تتحرر من عنف المستحيل،

تتحرر من غموض النقوش والأساطير،

تتحرر .. تتحرر.. وترافقك في "رحلة عبر الزمن"..

---

* كاتب وشاعر سعودي.

سيرة من أدب الاويغور

صراعُ الهوية بين الصين وشعب الاويغور: الروائية آشه: لا أعرف من أكون!*

■ ترجمة: مي ممدوح

آشه، تنتمي لقومية الأويغور، وتكتب باللغة الصينية. ولدت في سبعينيات القرن الماضي في شينجيانغ، وتعيش الآن في ينتشوان، وتعمل في مجال الإعلام، وهي عضو اتحاد الكتاب الصينيين. نشرت الرواية التاريخية «ووسون»، والمجموعة القصصية «العظام الراكضة»، و«الأرض المعزولة»، والمجموعة النثرية «الفراشة البيضاء والفراشة السوداء»، و«أثر الارتطام».

(١)

لردح من الزمن، لم أكن أعرف حقيقة من أكون

في إحدى الأمسيات بشتاء عام ٢٠١٤م، كان ثمة ندوة أدبية توشك على الانتهاء. وخارج النافذة تتلألأ نجوم الشتاء في ظلام ليلٍ حالك السواد. ومع الإرهاق البادي على وجوه الحضور، تشابكت المشاعر والأفكار، واختلط حسن الظن بسوئه! وعمَّ الترقب؛ وذلك، نظرًا للتواصل ليوم كامل.. استحالت هذه الكلمات المختلفة لأرواح متباينة تتدلى من السقف. كان رأسي ثقيلًا جراء إصابتي بنزلة برد، وكأنما قد صُب به ماء الرصاص. وفي الختام، وعلى حين غرة، كانت ثمة فقرة تلخيصية حول لماذا أكون أنا بهويتي القائمة، غشيت الكلمات أُذُني وشدت أكثر أعصاب جسدي حساسية.

حلل المتحدث الأسباب التي تجعلني أنا بماهيتي، بكونها تعود لصلة الدم التي تربطني بأمي، وكذلك لثقافة

نسبي الأبوي.

وعلى الرغم من ارتجاله، فقد كان التحليل في موضعه، وكذلك اتسم التفسير بالعقلانية. وفي تلك اللحظة، لمس «إدراكي العقلي» دقة المتحدث، كنت ممتنة حقًا لذلك. لكن في الوقت ذاته، فقد شُد «إدراكي الحسي» ليصبح أشبه بحبل من الجلد ينضح عرقًا باردًا، لأعود على الفور لـ «غوبي» مرتع طفولتي، فيعتريني الذهول لتوالي مثل هذه المشاهد أمام عيني.

لا يمكن التشكيك في نية المتحدث الطيبة، فهذا مجرد رد فعل فسيولوجي فطري وبسيط لشخص ليس مستعدًا بعد لإدراك هويته. وفي لمح البصر، فلق الزمن كِوّة، ورأيت الضوء الأبيض النقي يتراكم ويسقط في اللحظة نفسها، ليشكل سقوطه طريقا أبيضَ ممتدًا، يتحرك ببطء نحو قدمي. بات واضحًا أن الوقت قد حان. وهكذا صار الأمر واضحًا وطبيعيًا. يبدو أنني كنت بانتظار هذه اللحظة والتي بلغ تأثري فيها أن نضح جلدي العرق البارد، وهو ما ولّد في داخلي شعورًا بالانزعاج الشديد لتورطي في هذا التأثر، وكذلك فجَّرَ بأعماقي تعطشًا للتخلص من رد الفعل الفسيولوجي هذا.

قلت لنفسي، أي نوع من الانزعاج ومن التعطش هذا؟ إنه الإحراج والقلق الشديد الناتج عن عجزكِ وأنتِ تريْنَ الآخرين يشيرون بالتعرف على من تكوني أو من لا تكوني، بينما أنتِ ذاتكِ لا تعرفي حقيقة هويتك. لا بد وأن تضعي حدًا لهذا القلق والإحراج، وكذلك أن تنقذي نفسك من بين براثن الذعر الذي يهيمن على جسدكِ. يجب أن تتعرفي على نفسك قبل أن يتعرف عليكِ الآخرون.

(٢)

عاد بي الزمن إلى أسلافي

ففي خانة جنسية الأم بسجل الأسرة، كُتب الأويغور. بصرف النظر عن الماضي أو الحاضر، فتتمتع أمي بخصائص قومية يمكن معرفتها بمجرد النظر. فجيناتها البيولوجية والثقافية تتبدى وإن لم تتفوه ببنت شفة، من خلال بنيتها القوية والمميزة، وشعرها، وحاجبيها، وعينيها، وحتى في شكل جسدها. ومنذ أن كانت في المدرسة الإعدادية، كانت تتحدث الصينية بشكل طبيعي بصوت مجلجل، في المدرسة، والمكتب، والمنزل، والمطعم وفي حواراتها القصيرة مع الجيران. كان ذلك؛ لأن نصفها الآخر يعود لقومية هان.

فجدي لأمي، رجل من قومية هان بشاندونغ، وقد شارك في حرب المقاومة ضد اليابان في صفوف جيش المتطوعين من شمال شرقي الصين. وبعد الهزيمة من الجيش الياباني في معركة شرسة دارت رحاها في الفترة من ديسمبر ١٩٣٢م وحتى يناير ١٩٣٣م، ودّع أكثر من ٤٠ ألف





من جيش المتطوعين المناهضين لليابان وذويهم في الجزء الشرقي من مقاطعة جيلين وطنهم الأم، وتراجعوا صوب الاتحاد السوفييتي. كان جدي واحداً من هؤلاء. وبعد الانسحاب الى الاتحاد السوفييتي، نُزع سلاح جيش المتطوعين المُناوئ لليابان، وتمركزوا في ايركوتسك وتومسك. ونظرًا للصعوبة المتزايدة بشأن الحصول على المؤن، توصلت الحكومة السوفييتية وحكومة نانجينغ الوطنية خلال وقت قصير، لاتفاق بشأن ارسال اللاجئين المناهضين لليابان بما فيهم الجنرالات، والجنود وعائلاتهم الى الديار عبر طرقٍ ثلاثة. تم توزيع جدي لينضم للفريق العائد للديار من خلال تاتشنغ بشينجيانغ عبر كازاخستان، ليعود بحد أقصى في أكتوبر عام ١٩٣٣م، فدخل شينجيانغ من الاتحاد السوفييتي عبر نقطة التفتيش الحدودية باكتو، تدرب بمدرسة القائد شنغ شيكاي للشرطة، وانضم لمركز الشرطة بمحافظة كيليين جنوب شينجيانغ، عمل مفتشاً أولاً، ثم رئيساً بالإنابة. ولم يغادر شينجيانغ قط طوال حياته. وبعدما استقر بالمكان، أنجب جدي وامرأة محلية من الأويغور ابنته الوحيدة في شينجيانغ، كانت هي أمي.

ترفض أمي العودة لذكرياتها. وبالنسبة لجدي، يتنصر تعليقها الإيجابي عليه بكونه «مهيب الطلة، وطويل القامة، وشديد الوسامة، ويتحدث اللغة الأويغورية بلسان طلق». أما غير ذلك، فيخرج من خلال بعض الأحاديث غير المقصودة، اذ تتفلت بعض كلمات وعبارات منفصلة. وبالطبع، هناك ذكرياتي الباهتة.

الماضي أشبه ما يكون بالهاوية، ترفض أمي الالتفات اليه، لذا، فإن جدي، ذلك الرجل من شاندونغ يكمن داخلي، ويصرف النظر عن مظهره أو شخصيته، فهو دائمًا كومة من القطع الملمها من هنا وهناك، بينما تقبّل جدي أسلوب حياة الأويغور تمامًا كحقيقة واقعة.

فأنجب ذرية من امرأة أويغورية، وانطلق لسانه باللغة الأويغورية، كما كان يمسك بالسكين، ويتناول اللحوم بالطريقة الأويغورية بكشطها من أعلى العظام نحو الداخل بحافة السكين، ولم يأكل لحم الخنزير، واعتاد تدخين تبغ موخه، واحتساء شاي القرميد الأسود، وصار بالكاد يذكر أقاربه في شاندونغ، فهو لم يلتقهم لمرة واحدة حتى وافته المنية، على الرغم من أن زوجته وابنته الكبرى كانتا لا تزالان هناك.



قالت أمي: إنَّ أيامها الهانئة الوحيدة كانت في محافظة كيلبين، حيث لاح للتو ذكريات العيش الرغيد لعائلتها آنذاك. فتذكرت أن الحراس غالبًا ما كانوا يعتنون بها بينما تمتطي حصان جدي طويل القامة وتلهو في الشارع.

تُعد اللغتان الصينية والأويغورية اللغتين الأم لوالدتي، وقد أنمت ميراثها المشترك بالنسبة لكلتا اللغتين. لم يكن جدي يتواصل مع أمي باللغة الصينية تقريبا، حتى بعدما تزوجت وأنجبت، وأحضره أبي من كونشار للعيش بمنزلنا بسبب مرضه، لم يستطع قبح نفسه في ظل بعض اللحظات الخاصة والحساسة من التحدث باللغة الأويغورية.

كان والدي يُصر على التواصل مع أمي باللغة الأويغورية رغم أنها تعيش بالفعل باللغة الصينية، فقد عكف على تعزيز جينات أمي الثقافية والبيولوجية التي تختلف عنه، ولطالما ظل ذلك لغزًا يحار فيه عقلي: ما السر في افتتان جدي سليل قومية هان بالأويغور؟ ولِمَ يُقوِّ أواصر علاقته بهم؟ هل هضمه للغة الأويغورية بما تنطوي عليه من ثراء وتمازج ثقافي يعود لرغبته في التعبير عن القرابة التي تجمعه بالأويغور، أم لتنبيه أمي بإغترابها عن الثقافة التقليدية الأويغورية؟ أم أنه يود أن يستخدم اللغة الأويغورية كحبل سري لإبراز علاقة الدم العميقة التي تجمع الأب والابنة، أو لمجرد إحياء ذكرى مصيره الاستثنائي والذي وهبه فرصة ضئيلة للبقاء على قيد الحياة؟!

بصرف النظر عن كيف دفع جدي والدتي نحو أسلافها الأويغور، فأنا أعتقد أنه عندما يتجاذب الأب والابنة أطراف الحديث باللغة الأويغورية، فإن ما يدعم مثل هذه الحوارات يكمن في عادات التفكير والعقلية الثقافية لقومية هان بالسهول الوسطى، ونسبة تفوّق أي من الثقافتين على الأخرى ربما كانت غير واضحة لكليهما. وفي تلك اللحظات، لم يكن جدي مدركًا للأمر، وكذلك أمي كانت تجهله، لكن الثقافتان لا بد وأن تلتقيان وتتمازجان، فيتراكم تأثيرهما في أعماق وعي أمي يومًا بعد يوم، ليقودها في النهاية إلى خيارها الذاتي، متمثلًا في: ما الذي ستُبقي عليه، وما الذي ستتركه، لتتشكل ذاتها في النهاية كما ترتئيها.

كان الزمن وليس جدي هو ما قاد أمي لمصيرها، والذي كان مشابهًا أيضًا لمصير معظم الناس في تلك الحقبة. في البداية، لم تدرك الأم التي تعيش في ظل تقاليد الأويغور أن نصفها العرقي الآخر ينتمي لقومية هان، وفي سنّ المدرسة، جاءت عائلتها من كيلبين لتستقر في كوتشار، انغمس جدي في تعاطي الأفيون، فتلاشت نقاط قوته، وازدادت حياتهم صعوبة؛ فقد أنفق كل مدخراته، وتحوّل لبيع ما لديهم من مجوهرات، حتى وصل بهم الأمر إلى العوز للمأكل والملبس والمأوى، والافتقار للأمان! كانت أمي في خضم تلك الأحداث، تتجرع مرارة معاناة أسرة أويغورية محطمة خلال تلك الحقبة المضطربة. لم تقل أمي متى بدأت في تعلم اللغة الصينية، لكن ثمة سبيل واضح بعض الشيء يبدأ من مغادرتها كوتشار نحو يانتشي للالتحاق بالمدرسة الإعدادية.

كانت تلك مدرسة صينية، فخطت أمي أولى خطواتها نحو التباعد التدريجي عن التقاليد الأويغورية، حيث تعيَّنَ أن يبدأ الاختلاف الأبرز هنا. البيئة هي دائمًا سبيل الثقافة للتغيير الجيني، فالبشر كسائر الأنواع الأخرى، غالبًا ما يستخدمون التباين للتغلب على الصعوبات والعقبات على المستويين البيولوجي والثقافي. لكن، ما التجارب التي مرت بها أمي بالمدرسة؟ ماذا أو مَن نمَّى داخلها فكرة التخفف من تقاليد الأويغور؟ أو أن السبب يعود لعقلية المجموع؟ وكذلك الشعور بالوحدة والخوف لدى فتاة فقيرة، اختارت أن تجنح لغالبية الجمهور، وكذلك نصفها الآخر، والمتمثل في عرق الهان؟ رفضت أمي التحدث بشأن هذه الأمور كلها، لكنها كانت تذكر بين الحين والآخر فجأة، والغضب يتملكها أن الآخرين قد دفعوها «للرقص» عند كل منعطف.

غريب حقا! فأمي تحب موسيقى الأويغور وترقص على أنغامها من صميم فؤادها، فكلما تهادى لحن، ابتهجت وارتسمت السعادة على محياها والتمعت نظراتها، وكلما رأت الرقص الساحر للفتيات الأويغوريات، تهز كتفيها وتحرك رقبتها في لهفة، لكن عندما اتخذت قرار النأي عن التقاليد الأويغورية، بررت لنفسها الأمر بدفع الآخرين لها للرقص عند كل منعطف. رفضت أمي الإفصاح عن مقصودها، وبالطبع لم يكن بمقدوري الضغط عليها. فتتبع ذكريات أو أسرار الآخرين المستترة، بصرف النظر عن الغرض من وراء ذلك، هو ضربٌ من ضروب الهمجية والقسوة، ناهيك عن كونها أمي. الأم والابنة مقترنان قلبيًا، يمكنني أن أشعر بما ينطوي عليه قلبها من فخر واعتزاز بطبيعتها، وهذا الاعتزاز المقرون بالفخر هو مبعث فخرها ومكمن خجلها.

* نقلا عن جريدة أكتوبر الأدبية - الصين.

أحمد فضل شبلول

لستُ من أنصار مذهب الفنِّ للفنّ

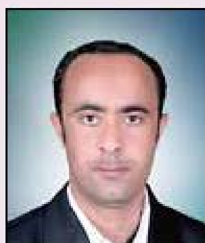


أحمد فضل شبلول، أديب كبير، صاحب ذاتية أدبية زاخرة، فقد أصدر أكثر من ستين مؤلفاً، وما يزال يمارس الأدب عن حب وقناعة، وبكل نشاط وحيوية، عمل بالصحافة، وكتب الشعر للكبار والأطفال، كما أسهم إسهامات تقنية لافتة بجانب دوره الإبداعي، وأعد العديد من المعاجم التي تفتقدها المكتبة العربية، وهو يعمل حالياً على إعداد معجم لشعراء الأطفال، وقد دخل عالم الرواية مؤخراً، وحصل على العديد من الجوائز منها جائزة الدولة التشجيعية في مجال شعر الأطفال، ثم حصل على جائزة الدولة للتفوق، وكان لنا معه هذا الحوار:

■ حاوره: ياسر الششتاوي - شاعر وروائي

• **كيف كانت بداياتك مع الشعر؟ وفي أي سن بدأت كتابة أول قصيدة؟**

■ بدأت في سن مبكرة، وأنا في المرحلة الإعدادية، كنت أكتب كلمات متراصة، بها الكثير من السجع، والكثير من الخلط بين العامية والفصحى، وبين الأغاني التي كنا نسمعها في ذلك الوقت في الراديو، وبخاصة أغاني عبدالحليم حافظ، وما ندرسه من شعر في المدرسة،



وكنت أحاول تقليد ما أسمعه في حلقات وحكايات "ألف ليلة وليلة"، التي نستمع إليها جميعًا في إذاعة البرنامج العام، ولفتني كثيرًا السجع والكلمات المقفاة في الحكايات، وكنت أحاول تقليدها، وعرضت ما أكتبه على مدرس اللغة العربية بمدرسة العطارين الإعدادية، فكان يشجعني وينصحني ألا أخلط بين العامية والفصحى، لكنه كان يشيد بخيالي في الكتابة، وحاول أن يوجهني للقراءة خارج ما ندرسه في المدرسة، كما نصحني بالذهاب إلى قصور الثقافة، التي أخذت أرتادها يوميًا بعد ذلك، وأستفيد بالنشاط المشتعل فيها، وبخاصة قصر ثقافة الحرية، الذي كان يعد القصر الأم في مدينة الإسكندرية. وشيئًا فشيئًا بدأت أكتب شعرًا صحيح اللغة والوزن بعد أن درست عروض الشعر العربي وجماليات الشعر العربي، وبدأت أرسل ما أكتبه للمجلات والجرائد، فكان ينشر أحيانًا في بريد القراء، وأحيانًا لا ينشر، إلى أن فوجئت بأنّ الشاعر الكبير فؤاد حداد ينشر لي قصيدة كاملة في مجلة "صباح الخير"، إذ كان يشرف على باب "قال الشاعر"، بعد أن كان ينشر مقتطفات مما أنشره في بريد القراء، وأقول في مطلع تلك القصيدة:

قلبيَ نيل
وشفاهي همسات نبي
وحروفي قنديلٌ للفقراء
فكيف الصمت؟

وعاصرت وقتها الحرب المشتعلة بين الشعر العمودي والشعر التفعيلي، وبعد نصوص عمودية ضعيفة، لم أجد فيها



نفسي، قررت كتابة شعر التفعيلة الذي وجدته آنذاك أكثر رحابة وأكثر قدرة على حمل ما أود التعبير عنه، وما أريد طرحه من صور وأفكار ومعانٍ، ثم رجعت بعد ذلك إلى العمودي في قصائد قليلة فرضتها التجربة والحالة، ولكنها كانت أكثر نضجًا وتماسكًا من قصائد البدايات.

ثم بدأت أشارك في الأمسيات الشعرية بقصر ثقافة الحرية، والمهرجانات التي كانت تقام في المناسبات المختلفة، وبدأت أنشر شعري في المجلات المهمة بعد تجربة "صباح الخير"، وبخاصة في مجلة "الكاتب" التي كان يرأس تحريرها الشاعر الكبير صلاح عبدالصبور، ويدير تحريرها الناقد الكبير د. علي شلش، ومجلة "الجديد" التي كان يرأس تحريرها الدكتور رشاد رشدي.

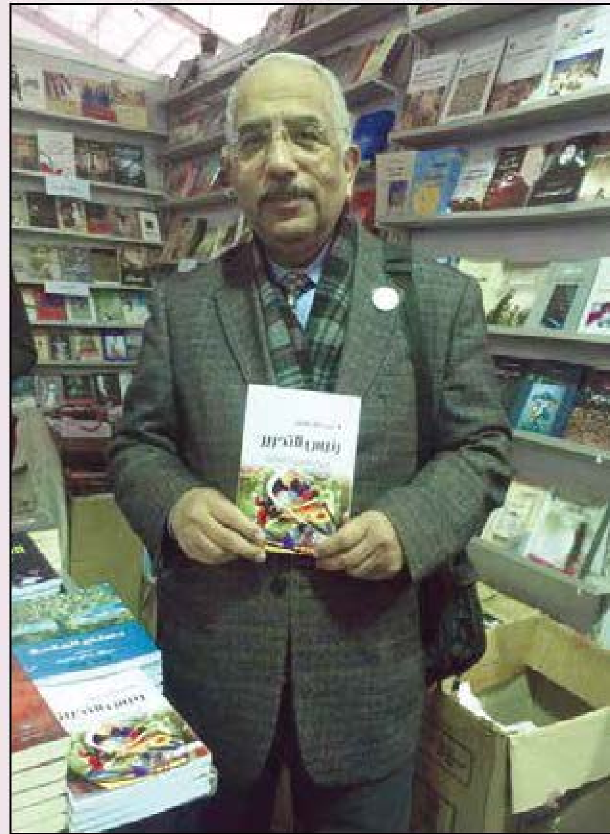
- **هل هناك مَن ساعدك في بداية طريقك مع الشعر؟**

- بطبيعة الحال، ساعدني شعراء الإسكندرية عندما بدأت أتردد على قصر ثقافة الحرية،

فكان أول شاعر أعرض عليه شعري هناك هو الشاعر عبدالعليم القباني، الذي أشاد بالموهبة، ولكنه نصحني بالانتظام في درس العروض وأوزان الشعر التي كان يشرف عليها الشاعر محجوب موسى، وعندما بدأت أتقن أدواتي بدأ الشاعر عبدالمنعم الأنصاري يقدمني في الندوات والأمسيات الشعرية، وهي فترة خصبة من حياتي لا يمكن أن أنساها؛ لأنها كانت مرحلة التكوين والتأسيس.

- **ما أثر الجامعة عليك كشاعر؟ وهل كان لها دور في صقل موهبتك الشعرية؟**

▪ فترة الجامعة كانت فترة خصبة جدًا في حياتي، وأشرت إليها في روايتي الأولى «رئيس التحرير، أهواء السيرة الذاتية»، فقد التحقت بكلية التجارة جامعة الإسكندرية، وكنت أصدر مجلة حائط بعنوان «دعوة للتأمل»، أنشر فيها شعري وشعر آخرين، ثم بدأت أدعو شعراء الإسكندرية من أساتذتي وزملائي لتقيم أمسيات شعرية داخل الكلية، وكان مسموحًا بها في ذلك الوقت، ثم اتفقت مع اتحاد طلاب الكلية وكان يرأسه الزميل عبدالعزيز عمّار، على أن نؤسس ناديًا للشعر بالكلية، وعندما بدأ يتجمع في هذا النادي طلابٌ شعراء من الكليات الأخرى الموجودة في محيط المجمّع النظري لكليات الجامعة، وخاصة من الآداب والحقوق، ثم الطب بعد ذلك، أصبح النادي ناديًا لجامعة الإسكندرية كلها، وكانت فترة خصبة أصقلت موهبتي؛ إذ بدأ الاحتكاك بشعراء آخرين غير الموجودين في قصور الثقافة، كما كنا نستضيف شعراء من خارج الإسكندرية أيضًا، لكنه كان هناك تأثير سلبي على مسيرتي بالكلية، فتعثرت في أكثر من سنة دراسية، ولكن في النهاية تخرجت من قسم إدارة الأعمال بالكلية بتقدير جيد.



- **في بداية كل شاعر لا بد أن يتأثر أو يحب بعض الشعراء، فمن الشعراء الذين تأثرت بهم أو أحببتهم؟**

▪ في الحقيقة منذ أن أحببت الشعر، أحببت الشعراء جميعًا، حتى الشعراء الذين لم أكن أفهم أو أتعاطف مع أشعارهم، وهي التي كانت مقررة علينا في المرحلتين الإعدادية والثانوية، لكن وجدت في قصائد إبراهيم



ناجي الرومانسية مددًا روحيًا وعشقًا جميلًا لبعض الحالات التي كنت أعيشها، وبعد أن درسنا قصيدته الجميلة التي تحمل عنوان «عودة» في المدرسة، الأمر الذي دعاني إلى قراءة كل أشعار إبراهيم ناجي بعد ذلك، ولكن عندما بدأت أنخرط في الحياة الثقافية والأدبية في قصر ثقافة الحرية، عرفت أن هناك شعراء مهمين أحياء، مثل نزار قباني، وصلاح عبدالصبور، وأحمد عبدالمعطي حجازي، وأمل دنقل، وفاروق شوشة، ومحمد إبراهيم أبوسنة، وأحمد سويلم، وبدر توفيق، ومحمد الماغوط، ومحمد الفيتوري، وغيرهم، والتقيت معظمهم بعد ذلك، وكنت قد قرأتهم، وعندما ترجم الدكتور عبدالغفار مكاوي كتاب «ثورة الشعر الحديث»، أدركت أن هناك تجارب عالمية مهمة وينبغي الإطلاع عليها، تمثلت في قصائد بودلير، ورامبو، ومالارميه، وسان جون بيرس، واليوت، وغيرهم، وأدركت أن العالم الشعري أكثر اتساعًا من قصائد التراث العربي وقصائد المتنبي، وأبي تمام، وأبي نواس، وعمر بن أبي ربيعة، والمعري وغيرهم، وأكثر اتساعًا من قصائد الشعراء المعاصرين منذ مدرسة الإحياء التي تزعمها محمود سامي البارودي، ومن حمل الراية بعده مثل أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وعزيز أباظة، وعلي الجارم، وغيرهم.

- **الشاعر أحمد فضل شبلول من مواليد الإسكندرية، فكيف أثرت على إبداعك سواء في الشعر أو الرواية؟**

■ الإسكندرية هي حجر الزاوية في كل أعمالي وكتاباتي، سواء الشعرية أو الروائية، فلهذه المدينة تأثير طاغ عليّ وعلى أعمالي، والإسكندرية لا تعني لي فقط البحر والماء والكورنيش، ولكنها تعني التاريخ والحضارة والانفتاح على العالم، كما أراد لها مؤسسها الإسكندر الأكبر، لقد كانت الإسكندرية في يوم من الأيام عاصمة العالم الثقافية بالفعل، وبخاصة بعد تأسيس مكتبة الإسكندرية القديمة التي لجأ إليها كل طالب علم من أنحاء الدنيا المعروفة في ذلك الوقت، لقد ظلت الإسكندرية عاصمة لمصر لمدة تسعة قرون، منذ تأسيسها عام ٣٣١ قبل الميلاد حتى الفتح العربي لمصر على يد عمرو بن العاص في القرن السادس الميلادي؛ ومن هنا، تأتي الأهمية التاريخية والحضارية والاقتصادية والثقافية للإسكندرية التي بدأ دورها يتراجع كثيرًا عما قبل بسبب الحضور المركزي والإعلامي للقاهرة، وبسبب خروج



الجاليات الأجنبية التي كانت تتعايش في الإسكندرية، وبخاصة بعد قرارات التأميم التي أعلنها جمال عبدالناصر، وبعد حرب ١٩٦٧م، فقد أحسّوا أن هناك تضييقًا عليهم، وأنهم غير مرغوب في وجودهم، فبدأ الخروج التدريجي حتى انفضت المدينة منهم تمامًا، وقد عاصرتُ تلك الجاليات المختلفة في الإسكندرية عندما كنت صغيرًا، وكنت أتعامل مع بعضهم خاصة أصحاب البقالات والخردوات في حَيّنا بمحرم بك، أو في حي العطارين والمنشية، وكان معظمهم من اليونانيين والأتراك والقبارصة، أو من الدول والجزر التي تقع على البحر المتوسط. لذا يشكل البحر هاجسًا ثقافيا عندي.. وليس مجرد وجود مائي، ومنذ بداية أعمالي والإسكندرية لا تفارقني، فهناك قصائد في مجموعتي الشعرية الأولى «مسافر إلى الله» التي صدرت عام ١٩٨٠م، إلى أن كتبت - في الفترة الأخيرة - مجموعة من القصائد أو المقطوعات القصيرة جدًا تحمل عنوان «الخروج إلى البحر»، وصل عددها إلى أكثر من ثلاثمائة مقطوعة من «السايكو السكندري»، والسايكو السكندري الذي أحاول فيه النهج على خطوات الهايكو الياباني، ولكن بطريقة أكثر ملاءمة لنا؛ فالطبيعة المصرية أو السكندرية تختلف تمامًا عن الطبيعة اليابانية التي هي عماد قصيدة الهايكو، فلا توجد لدينا غابات، ولا محيطات، ولا أعاصير أو انفجارات بركانية أو زلازل، ولا توجد لدينا مئات الجزر البحرية (يوجد باليابان أكثر من ثلاثة آلاف جزيرة)، كما لا يوجد لدينا عقيدة بوذا وغير ذلك من اختلافات حادة بين الأدب الياباني والأدب المصري، وأيضا اختلافات في العقائد الدينية. كما أن الهايكو الياباني لا يعتمد على الأنسنة أو المجاز، وأعتقد أن المجاز والأنسنة من أساسات الأدب العربي، لذا جاء «السايكو السكندري» ليحتفل بأشياء غير موجودة في الهايكو الياباني، بما فيها طول القصيدة، فالهايكو الياباني عدد سطوره ثلاثة أسطر، وقد تجاوزت عن هذا الطول، وعدد الكلمات في السايكو السكندري، إذ يتحكم في هذا الطول تماسك القصيدة وعناصرها البنائية، وليس عدد أبيات أو سطور محددة سلفًا، وإن كان هناك بعض الشعراء العرب مثل الصديق الشاعر عذاب الركابي، كتبوا ما يسمى «الهايكو العربي» محاولين اقتفاء أثر الهايكو الياباني.

كذلك في رواياتي: رئيس التحرير، والماء العاشق، واللون العاشق، كانت الإسكندرية حاضرة بشدة، وخاصة اللون العاشق التي هي تجربة الكتابة في السيرة الغيرية عن الفنان التشكيلي الراحل محمود سعيد، ابن الإسكندرية وأحد رواد الفن التشكيلي في الوطن العربي، والذي كان يُصاب بأزمة ربو كلما ذهب إلى القاهرة بعد أن أصبح

عضوا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (المجلس الأعلى للثقافة حاليًا)، ورئيس لجنة الفنون والمقتنيات، فقدم استقالته بعد ذلك، كذلك رواية «انماء العاشق» تتناول أساطير الإسكندرية في الجانب الشرقي منها، وهو سيدي بشر وبئر مسعود، وهكذا.

- **كتبت الشعر للأطفال، ولك عدة دواوين في هذا المجال، ما الفرق في الكتابة الشعرية بين الأطفال والكبار؟ وهل الكتابة للأطفال سهلة كما يُظن؟**

- ثمة فرق كبير بين الكتابة للأطفال والكتابة للكبار، لأن في الكتابة للأطفال تكتب لذات أخرى غير ذاتك، هي ذات الطفل الذي تتصاعد سنوات حياته، فما يُكتب له في الفترة من ٣-٦ سنوات مثلًا، غير ما يُكتب له بعد أن يكبر قليلا ويصبح سنه مثلا تسع سنوات أو اثنتي عشرة سنة أو خمس عشرة سنة وهكذا. وأنا غالبًا أكتب للفترة من ١٢ - ١٥ سنة، أي الفترة التي من الممكن أن يقرأ فيها الطفل بمفرده، ولا يعتمد فيها على أحد يقرأ له، مثلما الحال في السنوات الأولى من سني عمره، وسني الوعي عنده. ولا أعتقد أن الكتابة للأطفال سهلة، هناك مَن يظن أنها سهلة، فيأتي ببعض قصص التراث من جحا وكليلة ودمنة.. ويعيد إنتاجها، وثمة مَن يعتقد أن الكتابة للأطفال هي الكتابة عن القيم الدينية والمثل العليا، وعن أبطال العرب، أو عن المخترعات الجديدة والتكنولوجيا، وكل هذا جميل ومطلوب، ولكن أين ذات الطفل في كل هذا؟!

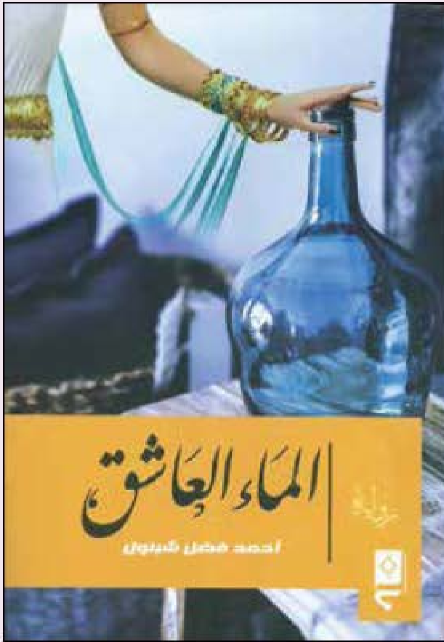
إن للطفل ذاتًا لو أحس أنها موجودة في العمل المقدم له، سيفرح كثيرًا، ويحب هذا العمل، ويقبل عليه، وهذه هي المعضلة.

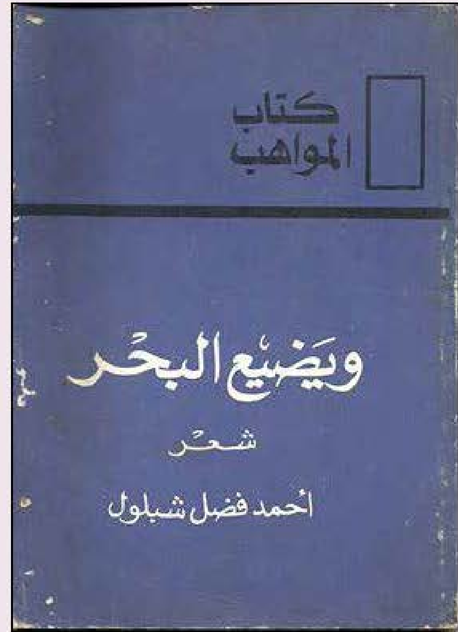
- **الشاعر أحمد فضل شبلول فاز بالعديد من الجوائز مثل: جائزة الدولة التشجيعية، وجائزة التفوق، ما أهمية الجائزة للمبدع؟ وما رأيك في الأدباء الذين لا يحصلون على جائزة تقدموا لها، فيشتمونها أو يتهمونها بعدم النزاهة؟**

- ليس هناك شك أن الجوائز محفزة للإبداع، حين يرى المبدع تقدير الآخرين له، فيدفعه ذلك إلى التجويد والتجديد والابتكار، ليظل في دائرة الضوء دائما؛ غير أن الجوائز لا تصنع مبدعًا، فإذا لم يكن الشخص مبدعًا في الأساس، فلن تفعل له الجوائز شيئًا، ولن تجعله مبدعًا، حتى وإن جامله بعضهم وخلعوا عليه



صفة المبدع، وضعاف النفوس هم الذين يهاجمون جائزة لم يحصلوا عليها، فشيء طبيعي أن يتقدم كثيرون غيره لهذه الجائزة أو تلك، فلماذا يفترض في نفسه أنه أفضل من هؤلاء؟! ثم إن للمحكمين خياراتهم وقناعاتهم، والذي يهاجم الجائزة لأنه لم يحصل عليها، يفترض ضمنيًا أنه يوافق على تحكيم عمله الذي قد لا يقنع الآخرين، أو يقنعهم.. ولكن هناك من هو أفضل منه في الفرع الذي تقدم فيه، وفي السنة التي تقدمتُ فيها للجائزة تقدم معي (٥١) كاتبًا وأديبًا مصريًا، وكوني حصلت عليها ليس معناه أنني الأفضل منهم جميعًا، ولكن هناك عوامل أخرى، ويلعب الحظ أيضا دورًا في ذلك، لا شك، وعلى سبيل المثال قبل حصولي على جائزة الدولة للتفوق في الآداب ٢٠١٩م، تقدمت لها في العام الذي قبله، ولم أحصل عليها، فلم أشتم ولم أتهم المحكمين بعدم النزاهة وعدم الشفافية، أو بالشللية، أو ما إلى ذلك من اتهامات، ثم تقدمت في السنة التي بعدها مرة أخرى؛ لأنني أثق في نفسي وفي إبداعي، وحصلت عليها.





أما جائزة الدولة التشجيعية التي حصلت عليها في مجال شعر الأطفال، قبل التفوق.. فلم أتقدم إليها أصلًا، ولكن عندما رأى المحكمون الذي يشاركون في تحكيم الجائزة أن الإنتاج المقدم للجائزة لا يرقى إلى المستوى، قرروا البحث عن مبدع يكتب في المجال نفسه بالشروط المعلن عنها، وهذا حق أصيل للجنة الجائزة التشجيعية، وعليه طلب أحد المحكمين الذي كان متابعًا لإنتاجي أن أتقدم بثلاث نسخ من ديواني "أشجار الشارع أخواتي" لكي أحصل عليها، وبالفعل تقدمت استجابةً لطلب اللجنة، وحصلت عليها.

وهناك أكثر من جائزة تقدمت إليها خارج مصر، ولم أحصل عليها، بالنسبة لي لا مشكلة على الإطلاق، نحن نكتب ونقرأ ونبدع ونشارك في الحياة الأدبية ليس من أجل الجوائز على الإطلاق؛ لكن للأسف هناك مَن يكتب قياسًا على شروط الجائزة، وإذا لم يفز يملأ الدنيا صراخًا وعويلًا وشتمًا وهجاءً! وأحد الذين لم يفوزوا بجائزة الدولة التي فزت بها، كتب يهاجمني في إحدى الجرائد العربية، وكأنني أنا الذي منحت الجائزة لنفسي، وكشف عن جهله، لأنه لم يقرأ لي سوى عملين من أكثر من ثلاثين سنة، وحكم على مجمل أعمالي من خلال هذين العملين، ونسي أنني قدمت بعد ذلك أكثر من ستين عملًا لم يطلع على واحد منها للأسف!



- **كتبت الرواية مؤخرًا بعد رحلة طويلة مع الشعر، هل كنت تتمنى لو كتبتها مبكرًا؟ ومَن من الروائيين الذين تحب أن تقرأ لهم، وتنصح كل روائي في بداية الطريق أن ينغمس في عوالمهم؟**

- لم يكن واردًا في ذهني على الإطلاق أن أكتب رواية، وإن كنت قد قرأت الكثير من الروايات العربية والمترجمة خلال مسيرتي الأدبية، بطبيعة الحال؛ ولكني مررت بتجربة لم أستطع أن أكتب عنها في قالب شعري أو حتى مسرحي، فلم يكن بد من الكتابة عنها في قالب روائي، فكانت روايتي الأولى «رئيس التحرير - أهواء السيرة الذاتية» التي كتبت فيها عن تجربتي في العمل الصحافي في الخليج، وبطبيعة الحال أحب قراءة نجيب محفوظ الذي فاز بجائزة نوبل عام ١٩٨٨م، وكنت أعمل وقتها خارج مصر، ولم أصدق وقتها أن هناك كاتبًا عربيًا حصل أخيرًا على نوبل، وكان لا بد أن احتفل مع نفسي على الأقل بهذا الفوز؛ فذهبت إلى إحدى المكتبات، واشتريت بعض روايات نجيب محفوظ، منها ما قرأته من قبل، وما لم أقرأه، بل اشتريت أكثر من نسخة من رواية واحدة لأهدي منها أصدقائي في العمل، وأتذكر أن الإعلان كان يوم خميس، وعندما ذهبت للعمل يوم السبت بدأت أوزع ما اشتريته من نسخ زائدة على زملائي.

تعجبني أيضًا روايات الكاتب الياباني هاروكي موراكامي، ولم أعرف السبب في أنه لم يحصل على نوبل حتى هذا العام، مع أن اسمه مدرج دائمًا على لائحة نوبل.

أما عن نصيحتي لكل روائي في الطريق، ولكل أديب، فهي أن يقرأ في كل المجالات الأدبية وغير الأدبية، لأن ذلك سينمّي موهبته ومعارفه ويصقل خبراته، وبالنسبة

لي فقد أفدت كثيرًا من المواد التي كنت أدرسها في كلية التجارة، مثل الاقتصاد والإدارة والقانون والإحصاء والمحاسبة والنظم الضريبية؛ وغيرها لأنها جعلت نظرتي للحياة المعاصرة أكثر اتساعًا مما لو اقتصرت قراءاتي على المواد الأدبية فقط.

- **لماذا لجأت لكتابة الرواية بعد تجربتك الكبيرة مع الشعر؟ وهل أثر ذلك على كتابتك للشعر فأصبح فنك الثاني بعد أن كان فنك الأول؟**

■ ذكرت في إجابة السؤال السابق أسباب لجوئي لكتابة الرواية التي شعرت بمتعة كبيرة وأنا أكتبها، وأحسست أن كتابة عمل روائي يختلف تمامًا عن كتابة ديوان شعري، بل كتابة فصل في فصول الرواية يختلف تمامًا عن كتابة قصيدة، في الرواية كمٌّ أكبر من الوعي والبحث والاطلاع والرجوع



إلى مصادر ومراجع وأشخاص، وبخاصة عندما يحتوي العمل على شيء من المعلوماتية التي يلزمها التوثيق، كما في روايتي الثالثة «اللون العاشق» وهي سيرة غيرية للفنان التشكيلي الرائد محمود سعيد، هناك تواريخ لا بد من التثبت منها، ووقائع لا بد من التأكد منها، حتى وإن احتوى العمل على نسبة كبيرة من التخييل، فكوْني أذكر أن لوحة «بنات بحري» رسمها الفنان عام ١٩٣٥م على سبيل المثال، لا بدّ أن أكون متأكدًا تمامًا من أكثر من مصدر أن هذا التاريخ صحيح بنسبة مائة بالمائة، فلا مجال للتخييل هنا، وكوْني أسعى لإقامة علاقة - في الرواية - بين توفيق الحكيم ومحمود سعيد، فلا بدّ أن أكون متأكدًا أن الاثنين تعاصرا؛ وعليه، يمكنني أن أبني خيالا بأنهما التقيا، وأن الحكيم كان يكتب روايته «عصفور من الشرق» في الوقت الذي يرسم فيه محمود سعيد إحدى لوحاته، وأن أقيم بينهما حوارًا متخيلًا حول الأدب والفن، ولكن على أرضية ثابتة عاشا عليها، وأنهما درسا معا في باريس مثلًا، وتناولا الغداء مرة معًا في برج إيفل، وذهبا معا إلى متحف اللوفر، وهكذا.

وعلى أية حال، لم تطغَ الرواية على الشعر عندي، لأن معظم أبطال رواياتي شعراء، حتى محمود سعيد قدمته على أنه يكتب الشعر إلى جانب الرسم، وإن كان بزغ نجمه في الرسم أكثر، وأنطقت على لسانه قصيدة كتبها في أحد تماثيل محمود مختار وهو تمثال «الخماسين».

الشاعر المصري محمود خيرالله:

أحلِّقُ بقصائدي فوق مشاهدَ معطوبةٍ



محمود خيرالله:

مواليد ٦ يونيو ١٩٧١م شبين القناطر قليوبية

نائب رئيس تحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون.

مدير تحرير «مجلة الثقافة الجديدة» الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

صدر له:

«فانتازيا الرجولة» سلسلة إبداعات «الهيئة العامة لقصور الثقافة» ١٩٩٨م.

«لعنة سقطت من النافذة» شعر، دار ميريت، ٢٠٠١م.

«ظل شجرة في المقابر» شعر، دار البستاني، ٢٠٠٥م.

«كل ما صنع الحداد» شعر، دار صفصافة، ٢٠١٠م.

«صبيّ الفراشات الملوّنة».. اختيار وتقديم لقصائد الشاعر الفلسطيني طه محمد علي، سلسلة «إبداع عربي» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م.

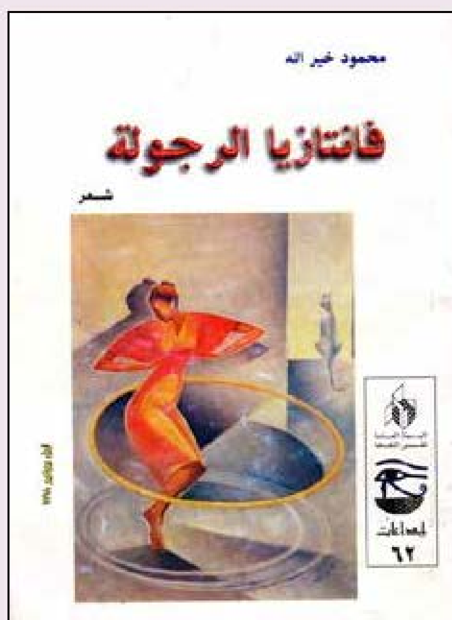
«الأيام حين تعبر خائفة».. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩م.

ترجمت قصائده إلى عدة لغات بينها الإنجليزية، كما ترجم ديوانه «كل ما صنع الحداد» إلى الفرنسية تحت عنوان Tout ce qu'a fait le forgeron.

■ حاوره: كمال أبو النور

- **هل تتفق مع الفكرة القائلة: إنك صرخت بما يكفي في دواوينك الثلاثة الأولى، وبشكل أقل وضوحا في الديوان الرابع؛ حتى جاء ديوانك «الأيـام حين تعبر خائفة».. معبراً عن آلامك دون صراخ..؟ حدثنا عن تجربتك الشعرية ورؤيتك للعالم منذ ديوانك الأول، وحتى ديوانك الأخير.**

- أعتقد أن صوت الشاعر يصفو تدريجيًا بالمعاناة والكدح على نصوصه، وباستمرار العمل عليها لشهور طويلة مُخلصة، وبتحقيق قدرٍ من التراكم يسهم في تجذير نصِّه، لدرجة أنه قد يتناسل أحيانًا في قصائد بعض الشعراء الأحدث سنًا، نحسن الحظ طبعًا؛ وبالتالي، كل هذه الأمور لم تكن تشغل بال الشاعر الذي كان يكتب ديوانه الأول، في منتصف عقد التسعينيات من القرن العشرين، لكنني أظن أنك تقصد أن تشير إلى التطور الطبيعي للشاعر، من وجهة نظري: فالشاعر حين يصفو إلى صوته الخاص، يكون قد قطع نصف المشوار، ليس شرطًا أن تكون قادرًا على قول كل شيء في ديوانك الأول ولا حتى في ديوانك الأخير لأن للشعر شروطًا أخرى قد يكون من بينها القدرة على المحو، لقد آمنتُ منذ اكتشفت الشاعر الذي بداخلي أن معركتي في الأصل هي «معركة مع الوعي باللغة»، فإذا استطعت أن تنجح في تحقيق هذا التوازن الدقيق، بين «الوعي» و«اللغة»، سوف يكون طموحك في الشعر أبعد. أعتقد أن تلك المسافة التي تتحدث عنها، بين ما تسميه الصراخ في الدواوين الثلاثة الأولى، وما أسميه «اللون الهادئ» في الديوانين الأخيرين، هو ما يجب بالضبط أن يتدرَّج فيه الشاعر.

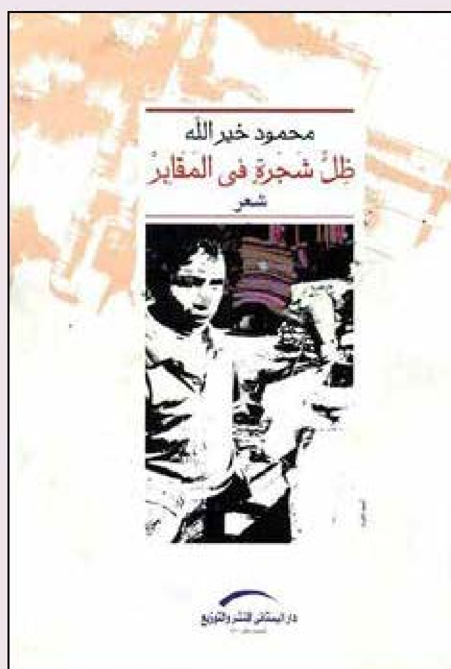


- **«الأيديولوجيا سقطت، والأجساد هي الباقية».. هل ما تزال هذه العبارة التسعينية تُمارس دورها على أرض الواقع في قصيدة النثر؛ أم أن الكتابات الجديدة خليط بين الإثنين؟**

- كنتُ أتحفَّظ طبعًا على عبارة أن «الأيديولوجيا سقطت» منذ منتصف التسعينيات ولا أزال، لأنها تعكس فهمًا وتكشف نهجًا أثبتت الأيام خطأه، أعتقد على العكس أننا محكومون بالأيديولوجيا، لقد كان من الخطأ الفادح أن نتصور أن الشاعر الجديد غادر التفجير اللغوي

السبعيني من أجل البحث عن الذات في الهامشي واليومي والجسداني، بينما نطلب منه نحن أن يكتب هذا الهامش وهو في لحظة تعالٍ على الواقع.. كيف لهذا الشعر أن يلتقط مشاهده الصاخبة من «الحياة اليومية»، وهو يدّعي التعالي على واقع الإنسان وتاريخه وشروطه؟ كنت دائمًا أعتقد أن الشعر الحقيقي يستطيع أن يُحقق هذه المعادلة، وحتى الشاعر الذي يقول إن «الأجساد هي الباقية» يمتلك بالضرورة وعيًا مُحددًا، يحاول أن يعكس فيما يكتب موقعه من العالم ومَصالحه مَعه، وأن يكشف عن درجة وعيه ومستوى الحرية التي يتمتّع بها، هذه الأمور تكون واضحة جدًا في النصوص، مهما كانت تتلمّس الغموض أو تتقصّده، وحينما كنتُ أكتب حريتي في دواويني الأولى متحدثًا عن راتبي الضحل وعن كتل الزحام الإنساني في «مترو الأنفاق»، بينما يعبر القومُ متلاصقين أمام ذلك القصر الذي يمتد ثلاث محطات مترو! وفي حين كنت أكتب عن أرواح العشاق التي ترفرف كالطيور في الحدائق العامة لترعى صغار العاشقين، كان بعضهم يكتب حريته في قصيدة النثر مستغرقًا في الحديث عن لذّة الجسد، وهو حق، وشاعت عناوين مُضللة جدًا مثل «إنهم يكتبون أجسادهم»، كل هذا التضليل كان ينطوي على موقف أيديولوجي، ولا يعني مطلقًا سقوط الأيديولوجيا، لقد أثبتت الأيام أن بعض الشعر الذي كتب عن إفرازات الجسد لم يكن قادرًا على البقاء، للأسف الشديد، كما أثبتت الأيام أن «قصيدة النثر» التي أنفقت عليها وكالات الاستخبارات المركزية حول العالم في المعسكريْن بالمناسبة وعززت وجودها بالمِنح والجوائز، لم تستطع أن تحقق أي قدرٍ من البقاء، ولا تنس أن بعض قصائد النثر المصرية سقطت في نهاية عقد التسعينيات من القرن العشرين، في نموذج أيديولوجي جعلها تتمحْك بذكر رسول العناية الرأسمالية «فرانسيس فوكوياما»، بينما الشعر الذي يعزف على الوتر الإنساني العام، والمموَّل من دماء البسطاء ليعكس جوانب من أحلامهم ومشاهد من بؤسهم، في ظني، كان دائمًا الشعر الذي يستحق البقاء على





مر العصور.

- **المرأة في حياتك تتجسد في الأمّ في كل كتاباتك؛ أما حان الوقت لتكتب عن الحبيبة التي غيبتها وأخفيتها في عقلك الباطن؟**

■ لا أظن أن قراءة دقيقة لقصائدي الأولى تنتهي إلى هذه الحقيقة، فأنا لم أكتب المرأة الأم، فقط، بل كتبتُ في الديوان الأول «فانتازيا الرجولة» الذي أهديته لحبيبتي وزوجتي مثلما أهديت لها ديواني الأخير عن «زوجة بشعيرات بنية هفهافة»، كما أن هناك حبيبة وأسرة مكونة من عدة أطفال في ديوان «كل ما صنع الحداد»، إذ أقول:

«نمشي معًا/ فنرسم علامة انتصارٍ بجسدين/ نجلسُ سويًا/ فتيبس أقدامنا لتصبح جذورًا لشجرتين/ نُنجب أطفالًا/ فنصيرُ حديقةً عامة/ وحين نموتُ/ إذ لا بد من ذلك بكلِّ أسف/ تصعد أرواحُنا إلى السماء/ تمامًا كهذه الطيور/ التي تحلق فوق العُشَّاق/ هنا/ في هذه الحديقة».

هذه قصيدة حب بلا أي شك، لكنها ليست على مواصفات القصيدة التي كانت تُكتب عام ٢٠١٠م، وهي ليست جزءًا من القالب الموصوف للمرأة التي كتبت في قصيدة النثر المصرية؛ أما في قصيدة «الختم» من ديواني الثالث «ظل شجرة في المقابر» الصادر عام ٢٠٠٥م، فقد كتبت فيها امرأة أخرى رأيتُ أنها جديرة بأن تُكتب في الشعر وأن تخلد قصَّتها في الأذهان، حين تحدثتُ عن «عمتي»، وهي نموذج لا يقترب منه الشعر كثيرًا على الرغم من كونه أنموذجًا شاعريًا في بؤسه، متكررًا في حوارينا وشوارعنا الضيقة، أراه النموذج الجدير بالتقديم إلى العالم، تلك المرأة «التي لم يفكر رجل مبصر أن يضمَّها إلى صدره»، لأتحدث عن ذلك البؤس الذي عانته امرأة مسكينة، لا تسقط دمعتها طوال الشهر: «إلا أمام موظف البريد، فوق الختم مباشرةً، لتصرفَ كل شهر سبعة وخمسين جنيهًا مصريًا»، وهناك نماذج نسائية في قصيدتي مثل «الجارية»، «أم كل العبيد الذين تطوحوا في قطارات الضواحي/ وأم الأسى/ الماثل الآن أمامكم/ المرأة التي أرضعت العالم حليب حزنها/ وحين

ماتت/ مشت أصابع كفها معنا في الجنازة»، وبالتالي أنت تريد أن تقول أولًا إن نموذج المرأة في قصائدي هو نموذج خاص جدًا، وغير متكرر بين شعراء جيلي، وهذه حقيقة أولى يمكن أن نتفق عليها؛ أما الحقيقة الثانية في سؤالك فهي أن جزءًا كبيرًا من حياتي لم أكتبْه بعد، ولا أعرف متى سوف يحدث ذلك، ولا بأية طريقة، لقد عشتُ في الحقيقة حياةً صحافية صاخبة، ساعدتني على النضوج، سافرت إلى الخارج عدة مرات، وعرفتُ فيها قصة حب جميلة ومُمتدة، تزوجنا وتخرج بعض أبنائنا الآن من الجامعات، وبدأوا يعيشون قصص حبهم، لقد كنتُ مهمومًا بأن أعيش قصة حبي وأن أستمتع داخل هذه القصة بكل تفاصيلها، أكثر من اهتمامي بأن أكتبها، أو أن أحولها إلى «أيقونة»، رأيتُ



أن أكتب العالم الشعري الخاص بي بقلب عاشق يستطيع أن يغير العالم بنظرة، وألا أستهلك قصة حياتي في القصيدة، وقلتُ لنفسي يومًا ما سوف أحكي حياتي، وأنا واثق أنها قصة تخطف القلوب.

- **أما تزال تنظر إلى أبيك بالنظرة نفسها من الألم؛ أم أن الحياة بعد كل هذه السنوات منحتك أبعادًا أخرى لصورته في الذاكرة؟**

- الشاعر الذي لا يطوِّر قدرته على رؤية العالم محكوم عليه بالفناء، لقد تطورت علاقتي بأبي، منذ رحل عن دنيانا عام ١٩٩٦م، تاركًا لي إرثًا ثقافيًا ولغويًا ونحويًا كان كفيلًا بأن يقصِّر الطريق الوعر إلى الشعر، أبي كان رجلًا لا يُنسى، تصادف أنه حاول في شبابه كتابة الشعر العمودي ولم يوفَّق، وتصادف أنه فرح حين علم أنني أكتب الشعر، لكنه عاش مصدومًا في أنني لا أكتب الشعر العمودي ولا شعر التفعيلة، وأنني أكتب شيئا يخالف ذائقته، لكنه في النهاية رحل، تاركًا لي هذه الرغبة الدفينة التي تجعل المرء يكمل حلم رجل مات، كان أبي ينظر إلى الشعر بفخر حقيقي، وحينما طالع أول قصيدة نشرت لي في «مجلة الشعر» عام ١٩٩٢م، كان سعيدًا إلى حد الزهو، كمن وجد كنزًا في بيته، علمتُ ذلك مصادفةً، حينما كنتُ عائدًا من مراسم دفنه، ركبت القطار إلى منزلي في القاهرة، وفي القطار التقيت أحد أصدقائه، وسألني الرجل إن كنتُ أنا ولده الذي ينشر شعرًا في الصحف

منذ كان طالبًا في الجامعة، قلت له نعم، فقال: «أبوك قابلني من كام سنة وقعد يمدح فيك طول الطريق من شبرا لشبين القناطر، فرحان يا سيدي، لأنه ربَّى في بيته ولدًا يكتب الشعر»، قالها الرجل هكذا بالفصحى السليمة، ومضى فكيف لا يكون مثل هذا الأب مؤثرًا في حياتك؟؟

- **هل لجأت في بعض نصوصك في الديوانين الأخيرين: «كل ما صنع الحداد» و«الأيام حين تعبر خائفة»، إلى نوع من السوريالية؟ يظن بعض النقاد أن الإغراق في الغموض نوع من السوريالية.. كيف ترى الأمر؟**

■ السوريالية ليست تهمة في حد ذاتها، والغموض مُحبَّب في بعض الشعر، لأن الخيال الإنساني لا يجب تقييده، وحين يكون الحديث عن الشعر فإن على الخيال أن يُحلق ما شاء له التحليق، ما دام الهدف هو تحقيق متعة لغوية وجمالية وبصرية، وتعبير عن همٍّ ذاتي أو همٍّ عام، عن نفسي أطلق لخيالي العنان وأعمل على النص طويلًا، وأحب ألا أكرر نفسي من ديوان إلى آخر، لذلك كثيرًا ما أتجنب كتابة خواطري، ولن تجد عندي أي إغراق في الغموض، من أي نوع، لأن نصوصي سهلة التلقي، لكنها تسعى إلى أن تترك الأثر الشعري الملائم. ولا تنس أن قصيدة النثر في التسعينيات كانت المشروع الشعري النقيض ورد الفعل العكسي على تجربة جيل السبعينيات، الذي كتب الغموض شعرًا، ما جعلهم يخسرون القارئ ويحاولون التجريب في العلاقات النحوية للغة العربية، لدرجة دفعت الشاعر الفلسطيني محمود درويش إلى استبعاد قصيدة لأحد شعراء الغموض، من ملف «أدب السبعينيات في مصر»، الذي نشرته «مجلة الكرمل»، وأعده الروائي الراحل إدوارد الخراط، بسبب ما فيها من الغموض والالتباس «النحوي».

- **يرى بعضهم أن شعراء الثمانينيات الذين تحولوا من كتابة قصيدة التفعيلة، إلى كتابة قصيدة النثر لم يتخلصوا من الغنائية والإنشاد في قصائدهم النثرية، فهل الغنائية ضد قصيدة النثر وضد الشعر غير الموزون عموما؟**

■ دعني أقول إن تجربة الشعر المصري في جيل الثمانينيات كانت مختلفة اختلافًا جذريًا عن تجربة السبعينيات، ولعل قصيدة العامية في هذا الجيل كانت أوضح من الفصحى، لكن الغنائية هنا تعبير غير دقيق في ظني، لأنك لو أردت أن تكتب قصيدة النثر بأدوات القصيدة الموزونة أو بسماتها البلاغية والأسلوبية، فلماذا نسمي المحصلة قصيدة نثر؟! ربما لأنه حتى مطلع الألفية الثالثة، لم يجر نقاش عربي جَدّي حول مصطلح قصيدة النثر، أو حول الفارق بين قصيدة النثر و«الشعر الحر»، هل تعرف أنه لم يحدث في أي شعرية في العالم أن أطلق على الشعر «الشعر الحر» اسم قصيدة نثر، إنَّه كما يقول الشاعر الراحل أمجد ناصر «التباس عربي خالص، وسوء فهم

لم يجد من يصحِّحه، رغم المداد الغزير الذي سُفِحَ في الدفاع عن «الشعر الحر» أو الهجوم عليه، الأمر الذي يفترض - في المدافعين على الأقل - معرفة ما يعنيه «الشعر الحر» ذو الأصل الأوروبي، شأنه شأن «قصيدة النثر».

أنا مع الرأي الذي يقول إن قصيدة النثر وُلدت على الورق، على عكس «القصيدة الحرة»، وأن قصيدة النثر ليس لها أصل شفوي، كما هو حال الشعر الموزون أو «الحر»؛ وأن قصيدة النثر تخلو من وظيفة الوصف بفرضية منطقية، إنما غرضه يكون في الغالب محض غرض فني جمالي. وأحب أن ألفت النظر أيضًا إلى أن الشكل الذي تتخذه قصيدة النثر في بلادنا «أسطر شعرية تحت بعضها»، إنما هو تنميط واستسهال، لأن هناك أشكالًا كثيرة للكتابة الشعرية في قصيدة النثر، لكنها للأسف غير مُستهلكة، مهجورة.. أشعر أنها تنتظر أن يكتبها أحد.

- **هل مفهوم الحداثة الشعرية عند العرب يختلف عن مفهوم الحداثة الشعرية لدى الغرب؟ وهل توافق على أن للحداثة الشعرية جذوراً في تراثنا العربي؟**

- للأسف، وكما تقول الشاعرة الدكتورة فاطمة قنديل، فإن «تاريخ الشعر العربي لم يُكتب حتى الآن بوصفه تاريخًا للأشكال والجماليات الخاصة التي تطورت بتطور القصيدة العربية، وإنما ظل محددًا حتى وقت قريب بوصفه موازيًا لتقسيمات التاريخ السياسي». وفوق كل ذلك ومن قبله، لا ننس أن الحداثة التي تعني التصنيع مثلما تعني إنتاج العلم والتقدم والتفكير العقلاني، وتعني رؤية جديدة للعالم تناقض الرؤية التقليدية التي يحكمها التفكير الخرافي غالبًا، لم تكن هي تلك الحداثة التي مرت علينا للأسف، وعرفناها على أسوأ نحو خلال القرن العشرين؛ فها هي قنواتنا الفضائية ما تزال إلى اليوم مليئة بالحديث عن السحر والخرافة والشعوذة، والجن ومشروعية زواج الجن من الإنس، ما نزال نسبح في ملكوت من الغيبيات التي تحكم علاقاتنا بالعالم، لدرجة أننا نتفرد بين كل الأمم بهذا التعبير الخلاق: «أطلال الحداثة»، الذي اشتقّته الكاتبة المصرية فريدة النقاش، لتجيب على سؤال يُشبه سؤالك.



الكاتب والروائي خالد عبدالكريم الحَمْد

القراءةُ جزءٌ من تكويني وحياتي وقرأت لعدد كبير من الروائيين السعوديين والعرب والأجانب



عمل معلما بوزارة المعارف قبل أكثر من ٤٠ عامًا، انتقل بعدها إلى معهد الإدارة العامة الذي أثرى تجربته كثيرًا، وعمل موظفًا وأستاذًا وإداريا فيه، وما أتاح له من فرص الدراسة بالولايات المتحدة، وبعد تخرجه حضر العديد من المؤتمرات والندوات والحلقات داخل المملكة وخارجها.

شكّلت القراءة وعيه وثقافته ومكّنته من الكتابة، تعلّم من تجربته الإدارية قيم العمل: مثل: الولاء، الأداء المنتج الإخلاص، قيمة الوقت وإدارته، ومهارات قيادية.. الخ، أما المواقف فأكتسب منها ما واجه به المشكلات الحياتية

أصدر حتى عام ٢٠١٧م عملين روائيين هما "أم شمل" و "الحلم المعلّق"، ويؤكد أنه لا يستطيع أن يقول إنه قال في عمل أو عملين كل ما يريد. ولا يظن روائيا أو كاتبا يستطيع أن يقول كل ما يريد التعبير عنه فيما يكتب. كتب بين عام ١٤١٣هـ ١٤١٧هـ، في الملحق الثقافي بالجزيرة. وكان مشغولا بالهم الثقافي، كما يتابع ويقرأ المشاريع الثقافية العربية

يقول الكاتب خالد عبدالكريم الحمد إننا نتأثر بتجاربنا وما نمر به. وإن تجربته بالمجلس البلدي كانت مزعجة، إذ لم يحقق فيها الهدف الذي كان يرجوه ولم تحققه الدورات التي قبله ولا التي بعده، لذلك، استقال، وكتب في

استقالته لوزير الشؤون البلدية والقروية: "إذا كنت في عمل، ولم تستطع أن تحقق هدفك فيه، فمن العبث أن تستمر فيه"، المجالس البلدية رغم صلاحياتها الواسعة مكبّلة بشراك الأمانات؛ ولهذا رأيت أنني لو استمريت في العمل بالمجلس سأخون تجربتي في الإدارة.

صدر له عن الدار العربية للعلوم ناشرون في بيروت رواية (الحلم المعلّق) في ٢٧٠ صفحة. قدّم للرواية الأستاذ الدكتور الهادي العيادي أستاذ الأدب العربي الحديث بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس. تدور أحداث الرواية بين الجوف وأمريكا بين الفضاء الضيق والفضاء الواسع، وتتناول أوجاع الجوف التنموية. يحمل بطل الرواية حلما معلقًا للجوف، كقنديل يلوح في الظلام البعيد، يشغله ويشغل به مَن حوله!

■ حاوره: المحرر الثقافي

- **كيف تُعرِّف نفسك لقراء الجوبه؟**

■ أنا قارئ أدمن القراءة من الصف السادس الابتدائي. وخلال هذه الرحلة الطويلة قرأت الكثير من الكتب. كان لي مكتبة خاصة تحتوى على أكثر من «١٠٠» كتاب، عندما كان عمري سبعة عشر عامًا، وكنت وقتها مدرسًا بالمرحلة الابتدائية. أذكر أنها كانت تضم كتبًا من مؤلفات: العقاد، والمنفلوطي، وطه حسين، وأنيس منصور، وعمر فروخ، ومارون عبود. وفيها من المعاجم المورد، ومختار الصحاح.

قرأت آنذاك بنهم رسالة الغفران لأبي العلاء المعري -رسالته لابن القارح- وأول ديوان لنزار قباني، ومذكرات مهاتما غاندي، وكتاب أنيس منصور حول العالم في «٢٠٠» يوم، وكتاب طه حسين «الأيام»، ورواية البؤساء لفكيتور هيجو. وغيرها مما أحتوت عليه مكتبتي. إلى جانب ذلك كنت أتردد على مكتبة الأمير عبدالرحمن السديري التي كانت مقابل المدرسة التي كنت أعمل بها مدرسًا. ففتحت القراءة لي بابًا على عالمٍ عشت كل ما فيه من إثارة وفتون وسحر ومتعة وثروة. القراءة جزء من تكويني وحياتي، عالمٌ جميل، شعرت معه وما أزال أشعر أن العالم ملكي، والنجوم مراكبي.

القراءة ليست ترفًا بالنسبة لي، بل هي ضرورة حياتيه؛ فكما ما تحتاج أجسامنا للغذاء، نحتاج القراءة لبناء ثقافتنا ووعينا. من لا يتغذى جيدًا يصبح ضعيف البنية، ومن لا يقرأ يظل هزيلًا بوعيه وثقافته. وباختصار، القراءة



حياة، وتشكيل وعي ونوافذ مفتوحة على العالم، ومن حرم من هذا العالم أراه إنسانًا تائهًا في ليلة مظلمة بصحراء مقفرة، شخص لم يدرك أن وراء حلكة ظلام الصحراء صبحٌ شفيف النور يغمر الروابي والجبال..

• **العمل الثقافي لا يتوقف غالبا لدى المبدع، ما هو جديدك أستاذ خالد؟**

■ لدي عمل تحت الطبع، ليس عملًا إبداعيا، كتاب «استراحة إداري» هو الآن بيد النادي الأدبي الثقافي بالجوف، سيقومون بإصداره وتوزيعه بعد أن وافقوا على نشره.

أما العمل الإبداعي، ففي تقديري ليس له خطة، هو لحظة هاربة متفلتة تنطلق دون أن تخطط لها، وهنا أشير لرواية «الزمن الضائع» من سبعة أجزاء وأخذت شهرة عالمية للروائي الفرنسي مارسيل بروست، كان مارسيل عائدا لبيته، وكان المناخ باردًا جدًا وممطرًا في تلك الليلة، فلم يستطع مواصلة السير لمنزله، فخطر له أن يتوقف بمنزل جدته القريب، وينتظر حتى يتحسن الجو، في منزلها قدمت له كوبًا من الشاي الساخن والكعك، وعندما غمس الكعك في الشاي، ووضعه طريًا في فمه، انفلت خياله لزمن طفولته، هرب من لحظته للماضي البعيد لبيتهم القديم.. الحديقة.. الشوارع الضيقة.. ملاعب الصبا مع الأطفال، فكانت ولادة عمله الرائع المبدع «الزمن الضائع»، التي لم يفكر بها قبل دخول منزل جدته!

الآن، لا أفكر بإنتاج أي عمل تسميه إبداعًا، قد تأتي لحظة أجدني فيها منغمسًا بالكتابة دون أن أخطط أو أفكر بإنتاج عمل.. لا أدري.

• **من هم الروائيون الذين تسعى لمجاراتهم، أو تتطلع لمجاراتهم حين تكتب؟**

■ قرأت لعدد كبير من الروائيين، من

السعوديين والعرب والأجانب، وفي مكتبتي روايــات لمشاهير الـروائيـيـن، منهم من حصل على جوائز عالمية، وبعضهم حصل على جائزة نوبل. وفـي مكتبتي أكثر من «٣٠٠» روايـة، والحق أنني لا أبحث عن مجاراة أحـد. أما إذا كـان لا بد من ذكر أسماء، فشدني من الروائيين السعوديين محمد حسن علوان، رجـاء عالم، مقبول العلوي. ومـن العرب: أحـلام مستغانمي، واسيني الأعرج، حيدر حيدر، زياد محافظه فـي «نـزلاء العتمة»، ومحمد شكري في «الخبز الحافي». ومـن العالميين شدني وقــرأت: فـاوسـت لجيته، دون كيخوت، لثرباتس، وجبرائيل ماركيز في «مئة عام من العزله»، العجوز والبحر لهمنجواي، العنف والصخب لوليم فوكنر، وغيرهم مما لا يتسع المجال لذكرهم. ومن الروايات التي تلعب بمشاعرك وأحاسيسك قرأت بتأثر إنساني بالغ، رواية «كوخ العم توم» للأمريكية هربيت سـتـاو. وروايــة «آغـا غوك» للكندي آيف تيريو.

- **يحسب لك تعدد التجارب والحيوات. فكيف أثـر ذلـك فـي شخصيتك وأثـرى تجربتك في الكتابة؟**

■ التجربة هـي المخزون والرصيد الـذي أملكه الآن، سواء ما حصلت عليه أثناء عملي معلمًا بـوزارة المعارف آنـذاك، أو من معهد الإدارة العامة الـذي أثرى تجربتي كثيرًا، موظفًا وأستاذًا وإداريًـا، وما أتاح لي من فرص الدراسة بالولايات المتحدة، وبعد تخرجي حضور العديد من المؤتمرات والندوات والحلقات داخل المملكة وخارجها. أو من خلال قراءاتي المتعددة، أو حتى المواقف التي مررت بها حلوها ومرها. كل هذا شكّل سلوكي وتعاملي الإنساني مع الآخر، وممارساتي الحياتية، وما أحمل من قيم. فالقراءة شكلت وعـيـي وثـقـافـتـي، ومكّنتني من الكتابة، تجربتي الإدارية تعلمت منها قيم العمل، مثل: الولاء، قيمة الأداء المنتج، الإخلاص، قيمة الوقت وإدارته، ومهارات قيادية.. الخ.

تجربتي في كتابة الرواية هي تجربة محدودة ومتواضعة

أما المواقف، فاكتسبت منها ما أواجه به المشكلات الحياتية، وما أحـاول به أن أغـلّب الخير على الشر داخـلـي ما استطعت.

- **أصدرت حتى عام ٢٠١٧م عملين روائين، هل استطعت أن تقول ما تريد عبرهما؟**

■ وأنــا أكـتـب.. طرحـت كل الـذي انثال على لسان قلمي، ولـم أمـارس الرقابة عليه. لكنني لا أستطيع أن أقول إنني قلت في عمل أو عملين كل ما أريد. ولا

أظن روائيًا أو كاتبًا يستطيع أن يقول إنه قال كل ما يريد التعبير عنه فيما يكتب. يقول أحد المؤلفين لو بقيت أراجع ما كتبت لما دفعت للمطبعة بأيّ كتاب من كتبي؛ لأنني كلما راجعت مسودتي أضفت وحذفت. ويظهر هذا عندما نقوم بإعادة طباعة مؤلفاتنا.

● **في رواية الحلم المعلّق كانت منطقة الجوف محور العمل وهويته، هل أدى ذلك لسلاسة النص أم تقييدة؟**

■ رواية «الحلم المعلّق» تفاعلتُ معها وعشت لحظات كتابتها مغمورًا بلحظات تملكت تمامًا قلمي ووعيي كثيرًا، فطرحت فيها أجناسًا من الأدب التي قال عنها الأستاذ الدكتور العيادي جاءت مزيجًا من الشعر والنثر. كنت منغمسًا بالكتابة خارج اللحظات التي كنت أكتب فيها وخارج الزمن. قلت فيها ما خطر لي، ولم أُقيّد النص، فجاءت بانسيابية وبدون تحفظ.

● **يأتي النص بعد خوضك لتجربة رئاسة المجلس البلدي وخروجك منه باستقالة. هل أردت أن تحقق بالرواية مالم يمكن تحقيقه بالواقع؟**

■ من المؤكد أننا نتأثر بتجاربنا وما نمر به. وتجربتي بالمجلس تجربة كانت مزعجة، لم أحقق فيها الهدف الذي كنت أرجوه، ولم تحققه الدورات التي قبلي ولا التي بعدي؛ ولذلك، استقلت.. وكتبت في استقالتي لوزير الشئون البلدية والقروية «إذا كنت في عمل ولم تستطع أن تحقق هدفك، فمن العبث أن تستمر فيه». المجالس البلدية رغم صلاحياتها الواسعة مكبلة بشِراك الأمانات! ولهذا رأيت أنني لو استمريت العمل بالمجلس سأخون تجربتي الإدارية. أقول هذا بكل صدق وشفافية، وما ورد في الرواية من إرهاصات. فالتجربة جزء مما نعيشه. أما ما قاله بعض القراء إنني عنيت أشخاصًا بذاتهم بأسماء مستعارة. فهذا ليس صحيحًا ذلك أن الرواية عمومًا تقوم على الرمزية، ولا تستهدف أشخاصًا بذاتهم، الرواية عمومًا تلمس معاناة الإنسان في كافة جوانبها. ولذلك كان المحور معاناة «الجوف» وعشقها. والتي كتبتُ عنها مقالًا ذات يوم عنونته «الحسناء الشاحبة»، وكان واحدًا من العديد من المقالات التي كتبتها عن الجوف.

● **يمتدح أ. د الهادي العيادي/ أستاذ الأدب الحديث تجربتك في رواية الحلم المعلق؛ ففيها كتابة سردية بروح تمزج بين الشعر والنثر. كيف ترى ذلك؟**

■ في البدء، أجدها فرصة ومناسبة ممتازة أن أقدم شكري الجزيل، شكرًا بلا سقف، للأستاذ الدكتور الهادي العيادي.

الذي كتب رأيه بالرواية وهو لا يعرفني من قبل، ولم يسمع عني ولم أقابله ولم يقابلني حتى الآن؛ ولهذا أشعر بقيمة ما كتب وأثمّنه. مسودة الرواية وصلت للأستاذ الدكتور العيادي من الشخص الذي عرضت عليه قراءة الرواية وطلبت رأيه فيها، وهو الدكتور فتحي الخليفي أستاذ الأدب بجامعة الحدود الشمالية، والذي لم أعرفه هو أيضا حينها، ولم أقابله إلا بعد طباعة الرواية وصدورها. أعطيت في البدء المسودة للدكتور سلطان عقلا المرشد بالجامعة «عضو مجلس الشورى حاليا»، وطلبت منه إن كان يعرف من أساتذة الأدب بالجامعة من يعطيني رأيه بالرواية ليعرضها عليه. سلمها للدكتور فتحي الخليفي الذي بعد قراءتها صار بيني وبينه اتصال هاتفي، فأثنى على الرواية، وعرض عليّ أن يبعثها بالبريد للأستاذ الدكتور الهادي العيادي بتونس، فأرسل المسودة للعيادي في تونس الذي قرأها وكتب رأيه المنشور بالرواية، مقدمة للرواية. مشكورا، قبل أن أكلمه أو أتواصل معه.

• ما هو تأثير الهواجس التي تشعر بها والمواقف التي تمر بها في كتابتك؟

■ في كتابة المقال أكتب عن موضوع محدد ومرصود في فكرته وموضوعه، وعندما أبدأ.. تنثال على قلمي الأفكار وما أريد أن أقول. وفي كتابة أوراق العمل هناك خطوات ومنهج لا يخضع للهاجس. أما العمل الإبداعي سواء أكان روائيًا أم شعرًا، فهو حالة خروج وانفلات وتمرد على المألوف، وكلما كان كذلك كانت قيمته الإبداعية. الإبداع في تقديري لا يعرف القيود ولا الهواجس أو المواقف. هو حالة استثنائية أفقها مفتوح، هاربة فاتنة آسرة متحررة جريئة عذبة، تنطلق من أغلال تخترق رتابة الواقع بحدة. يتفتق فيها الحرف كما تتفتق البراعم والزهور على أغصان الشجر. تحلق كما تحلق الطيور في مسبح الكون.

• هل ترى الساحة الثقافية العربية باتت أفضل حالا أم أنها في نكوص؟

■ بين عام ١٤١٣ هـ - ١٤١٧ هـ، كتبت في الملحق الثقافي بالجزيرة. كنت مشغولا بالهم الثقافي، وأتابع وأقرأ المشاريع الثقافية العربية، لمحمد عابد الجابري، عبدالله العروي، حسن حنفي، زكي نجيب محمود. وغيرهم، ولمهتمين أيضا بشأن الثقافة والفكر والنقد: علي حرب، نصر حامد أبو زيد، إدوارد سعيد، عبدالإله بلقزيز، محمد أركون، طيب تيزيني، صادق جلال العظم، جمال باروت، محمود أمين العالم، برهان غليون، هاشم جعيط، الصادق النهيوم.. وغيرهم، مما لا يتسع المجال لذكرهم.

جائحة كورونا تحدت الأنسان وكشفت ضعفه وستترك العالم بندوب وجروح عميقة، وأسقطت ورقة التوت عما كنا نظن أن الغرب يملكه من تقدم صحي مذهل

بعد تقاعدي، بدأت أكتب بإخبارية الجوف الإلكترونية «مراسي»، فكتبت مقالًا عنونته «ثقافة الزوابع»، وفي المقال ذكرت إنه منذ أن كتب طه حسين «الشعر الجاهلي»، وعلي عبدالرازق «الإسلام وأصول الحكم»، مرورًا بأزمة نصر حامد، والحملة على حيدر حيدر وروايته «وليمة لأعشاب البحر» وديوان أبو نواس. والنقد الذي ضيّع جورج طرابيشي عمره ووقته فيه، يتعقب مؤلفات محمد عابد الجابري ثماني سنوات، وثقافتنا ثقافة متاريس وزوابع، راح ضحية الرأي والفكر فيها حسين مروه، ومهدي العالم، وأجبر سيد القمني على التخلي عن مؤلفاته، وتعرض نجيب محفوظ للاغتيال. نحن ننقد ونهاجم ونتمترس قبل أن نقرأ. على الساحة الثقافية كل مفكر وناقد ومثقف يحمل تحت عباءته أيدلوجيته.

إن مهمة الثقافة السائدة مهمة سهلة ومركبها ليّن، إنها ثقافة المألوف، أما محاولات التغيير فهي تتم في مجملها في حدود ضيقة وعلى مستوى فردي، كالمشاريع التي أشرت إليها، فراحت مبعثرة لم يجمعها جامع يعكس آمال المثقف والإنسان العربي عمومًا وطموحاته.

المنظمات العربية المعنية بهذا الشأن لم يكن دورها فاعلًا، والشاهد أن خططها الثقافية منذ مطلع السبعينيات لم تحقق إلا نتائجَ محدودة. أما الجامعات فهي قلاع أكاديمية معزول بعضها عن بعض وعن المجتمعات. نحتاج برامج ثقافية عربية في إطار عربي شامل يعزز قدرة الثقافة العربية على المنافسة والندية؛ ثقافة مبدعة لها امتداد إنساني بعيد وعميق. في هذا الفراغ ظلت الثقافة العربية مع كل محاولة تجديد وإبداع تواجه اختلاف الرأي بالسلاح وبالهجوم. إنها في تقديري في تراجع ونكوص!

- **هل تكتب الرواية كعمل متخيل؟ أم أنك تحاول ربطها بالواقع وحتمية دخول السيرة. ماذا عن ارتباط رواية الحلم المعلق بسيرة (سكاكا)؟**

■ لا بد من التأكيد أولًا على أن تجربتي في كتابة الرواية هي تجربة محدودة ومتواضعة. تجربتي في الحلم المعلق رغم أنه ينظر اليها على أنها سيرة «للجوف»، وقال عنها العيادي إنها مهداة للجوف أكثر من القراء، ولكنها لا تخلو من الخيال الذي لامس الواقع ربما بشكل مباشر، الحلم المعلق حالة من العشق

والوجع مما أصاب المعشوقة. وتطويقها بحلم ظل معلقًا، وظل أهل الجوف يبحثون عنه عند منبت الشمس. حلم سيعذب ضمير الزمن. رواية «أم شمل» يُلحظ فيها الخيال أكثر، فكل أحداثها تدور في المتخيل، رغم أنها كانت ترصد فترة زمنية لواقع معاش.

- **كيف ترى صدى رواياتك وما هو العمل الذي حقق أكبر صدى؟**

■ لم أتابع ذلك بشكل أستطيع معه أن أبدي رأيًا محددًا بهذا، لكن من خلال حسابي بتويتر والسؤال عن الرواية وكيفية الحصول عليها، أعتقد أن رواية الحلم المعلق، أخذت صدىً واهتمامًا أكثر من «أم شمل» خاصة بالجوف. ولعل هذا يبين لي أكثر في طبعة الحلم الثانية التي أعمل عليها والتي سيتاح لها توزيعًا أكثر من الطبعة الأولى بالمنطقة.

- **هل تذكر أساتذتك القدامى ومدى تأثيرهم في شخصيتك وبنيتك الثقافية؟**

■ تشكيل وعيي الثقافي وبداية بنيته أردّهُ لصديقي وأستاذي الذي لم أدرس عنده، الأخ حمود مريحيل المبارك، أمدّ الله بعمره. أذكره وأشكره بكل مناسبة ولا أتردد. كان هو من فتح لي باب القراءة وحفزني لها في الصف الخامس الابتدائي. في تلك المرحلة المبكرة



حمود مريحيل المبارك

مدّني بكتاب «عصاميون عظماء من الشرق والغرب» لمحمد فريد أبو حديد، ولم يصعب عليّ قراءته؛ لأنه كان سيرة مختصرة لعلماء ومشاهير. لكن الكتاب فتح لي أفقًا جديدًا، بعده صار يمدني بالكتب، فقرأت في ظلال الزيزفون، والفضيلة، ومن ثم لـ طه حسين، إلى أن كوّنْتُ مكتبتي الخاصة، فيما بعد.

بالمدرسة على المستوى التعليم الرسمي كان أستاذنا محمد إبراهيم مسامح رحمه الله في المرحلة الابتدائية يدرسنا اللغة العربية، وكان في حصة المطالعة يشدنا بالقصص الشيقة آنذاك. علاء الدين والفانوس السحري، علي بابا، الأرنب فيروز وغيرها، فكان له تأثير بيّن في حبي للغة العربية والقراءة.

- **هل تُطلع أحدًا ما على رواياتك قبل نشرها؟**

■ نعم أطلعتُ على مسودة الروايتين عددًا من الإخوة الذين وثقتُ في رأيهم. الرواية الأولى قرأ مسودتها الأخوة عقل الضميري، فيصل البحيران، عبدالرحمن الدرعان، عبدالله الظاهر، حاتم عثمان وزودوني بآرائهم المتباينة، ومن ثم عرضتها على متخصص، الدكتور فتحي الخليفي، حتى وصلت للأستاذ الدكتور العيادي، فقدّم للرواية. كذلك في رواية أم شمل، ولكن العدد الذي عرضتها عليه وقرأها وزودني برأيه أقل بكثير من الرواية الأولى.

• كيف ترى ثقل دورة الزمن وسرعة التحولات ومدى انعكاس ذلك على الثقافة والإنسان؟

■ لم يعد الإنسان معزولًا كما كان محصنا من الوافد. العالم أصبح قرية صغيرة مع العولمة وتطور التقنية والاتصال، وهو واقع مذهل وضاغط في الوقت نفسه. سرعة التحولات اليومية هي الأزمة التي ترهق الإنسان ويواجهها نفسيًا وماديًا، تتدفق المعلومة بشكلٍ سريعٍ مزعجٍ يصعب ملاحقتها ومواكبة المنتج.

انهارت سدود الأمن الثقافي مع العالم السبراني واخترق كل الحواجز، ولم يستطع الرقيب رقابة المنتج الوافد وفرزه. تراجع الزمن المكاني، وتسلل الزمن الآني لأطراف الأرض، فدمّر الثقافات الطرفية وأذابها بمحلول الثقافة الأحادية التي سادت العالم، الزمن الآني وثقل دورته وسرعتها أصاب الهوية والفاعل الثقافي في مقتل! وغيّر كثيرًا في قيم الإنسان التراثية التقليدية، وقوض كثيرًا من معاني وجوده فرديًا وجماعيًا وعلاقته بالعالم. حصون الثقافة لم تعد قائمة. الإنسان بتشكيل ثقافته ووعيه وإنسانيته رهين الثقافة الأحادية واحتوائها له.

• ما الذي يدهشك وأنت ترى التحولات والجوائح تجتاح العالم، وكيف ترى تأثيرها عليه؟

■ ما يجري بالعالم أدهش البشرية كلها، فسرعة الجائحة وانتشارها وتحولها وما أحدثته من دمار. أربك العالم نفسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا. غيّرت الجائحة الكثير.. الكثير في العالم. عرّضت الدول لخسائر فادحة؛ بشرية، واقتصادية، وعزلت العالم عن بعضه بعضًا بالإغلاقات والتباعد. غيّرت في كل ما هو حياتي وحولنا، وسيحتاج التعافي مما أحدثته الجائحة وقتًا طويلًا ليتحرر العالم مما هو فيه من إعاقة. شلت الجائحة الاقتصاد العالمي، وأنهكت القطاع الصحي حول العالم؛ فالكلفة والمواجهة كانت أكبر من إمكانات القطاع الصحي في كثير من دول العالم إن لم يكن العالم أجمع. لم يستطع العالم احتواءها بسهولة فظل



معاقًا أمام مواجهتها، ليس بيده أي سلاح لمقاومتها وصدها. لقد تحدت الإنسان وكشفت ضعفه، وأكثر من هذا أسقطت الجائحة/الكارثة ورقة التوت عن عورة الغرب، وما كنا نظن أنه يملكه من تقدم صحي مذهل، وقف حائرًا عاجزًا، فاختل توازن العالم، وحتى الآن مع اكتشاف اللقاح، ما يزال الإنسان مكبّلًا في حركته وحياته ومعزولا. ولا أظنها ستترك العالم بلا ندوب وجروح عميقة، وظهور دول وسقوط دول على خريطة العالم.

- **رأيك في عبارة «مارتن لوثر كنج الابن: الكراهية تشلُّ الحياة.. والحب يحررها»؟**

- الكراهية داء، والحب دواء. الكراهية صحراء قفر موحشة، والحب شلالات تتدفق، ومساحات خضراء واسعة تتفتق براعمها وزهورها نضرةً جميلة. الكراهية انغلاق وحصار نفسي واجتماعي، والحب أفق مفتوح على الآخر، ومساحات واسعة من الضوء مقابل أقبية مظلمة من الكراهية. ولكن لا بد هنا من الإشارة إلى أنني أميز بين ردة الفعل والموقف وبين الكراهية.

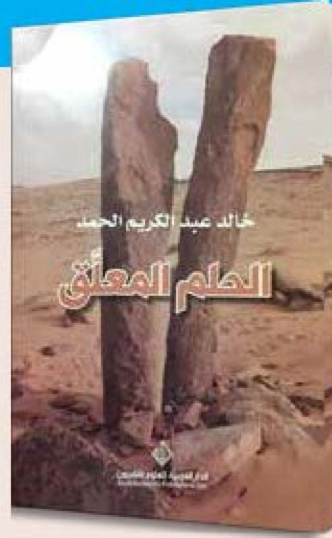
ردة الفعل ثورة تأتي عندما تشعر بالجرح أو الإهانة وقد تطول أو تقصر، والموقف يكون أحيانًا تعبيرًا عن مبدأ. وفي كل الأحوال التسامح سيد الأخلاق.

- **ما هي كلمتك لجيل الشباب؟**

- الزمن أسرع من أن تلتقطوا أنفاسكم، ومضمار السباق إن لم توظفوا طاقاتكم ووقتكم وجهودكم وتستثمروها بكفاءة وفاعلية.. ستفوت عليكم فرص لن تستطيعوا تعويضها. الزمن لا ينتظر من يتأخر. العالم اليوم يقوم على المعرفة المركّبة المتغيرة والمولّدة لمعرفة جديدة على نحو لا متناهٍ، ومَن يملكها يسيطر على العالم، فاسعوا لامتلاكها بكل حيوية ونشاط وإصرار. لقد خرج العالم من قرن المعرفة القطعية إلى قرن المعرفة المتغيرة بشكل مذهل، ومن يملكها يملك القرار الأخير. المكسب لمن يكن على مستوى التحدي.

الحُلمُ المُعَلَّق..

لخالد عبدالكريم الحَمْدْ وملامحها الجوفية بامتياز



■ غازي خيران الملحم*

ما بين طرفة عين وانتفاتتها، ترنّح ناصر.. مادت الأرض تحت قدميه، ثم هوى جملة من علياء آماله وطيوف أحلامه مريضا، يصارع الألم ويكابد أمواج الاحتضار. وكان كلما راح في غيبوبة ثم عاد من غشاوتها، تأمل في وجوه الحضور ممن يلتفون حول سريره، وأخذ يهذي بذاك الحلم القديم الذي ما برح يسكنه، يرسم ملامحه المستقبلية، ويتخيل سبيل الولوج إلى تحقيقه.

لكن وقبل تحقيق حلمه ذاك، كان للقدر كلمته، ومضى ناصر إلى جوار ربه، وانتقل إلى رحمة الله تعالى، وغادر الدنيا بعد عمر عاش جله بعيدا عن الجوف، قريبا منه بقلبه وتفكيره.

ألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عينًا بالإياب المسافر

بهذا المشهد الأخير والمؤثر، وضع الأديب والقاص: 'خالد عبدالكريم الحمد' بصمات النهاية على فصول روايته: 'الحلم المعلق'، ذات الملامح الجوفية، التي استهل مجرياتها بالإشارة إلى ناصر الذي يعد الأكثر حضورًا في حيثياتها القصصية، ومحور الحدث الأكثر تداولًا في بنيتها السردية، وتسلسل لقطاتها الدرامية.

ناصر.. ذلك الفتى الذي ترعرع ونشأ في بيت خاله ووسط عائلته وبين أطفاله، على أثر فقده لوالده ثم بعيدًا

حين وفاة أمه، وهو لم يزل في عمر الزهور، إلا إن الحزن ما برح يلازمه ويلاحقه في كل خطوة يخطوها، والتي بدت تتضح معالمها منذ انتسابه للمدرسة والسير في ركابها بتفوق ظاهر، لكن تلك الفترة لم تخلُ هي أيضا، من بعض الهنات الحزينة والمؤلمة لناصر، فقد فجع بموت أخيه سند، وفراق أخته ليلى عقب زواجها. وفي تلك الأثناء المضطربة نوعًا ما من حياة الفتى، تخرج من الثانوية العامة بدرجات عالية أهلته للابتعاث إلى أمريكا والدراسة في إحدى جامعتها.

وفي بداية مشواره هناك، تعرض لبعض المنغصات، كونه لم يألف الكثير من تقاليد البلد وعجيب عاداته، التي بدت مستنكرة وغريبة عليه، لكن مع الأيام وانغماسه في الدراسة، بدأ يتأقلم مع وضعه الجديد ويعتاد عليه، لكن الحزن ما يزال يناوشه، فتوفي خاله الذي كان بمثابة أمه وأبيه اللذين رحلا عنه، لكنه دارى حزنه، وواصل مسيرته الجامعية، التي تخللتها هالات منوعة من الفرح والترح، تعرف خلالها على "سلمى".. فتاة عربية كانت تدرس الطب، وتشاطره العيش بصحبة ذويها في بلد الاغتراب، ما لبث إن تزوجها بعد فترة من تخرجه، واضطلاعه ببعض الأعمال هناك، ورزق منها بربع دسته من الأطفال.

وعلى الرغم من تلك التحسينات التي بدت ملامحها تتجلى في حياة ناصر، إلا إن طيوف "الجوف" بمزارعها البدائية وبيوتها القديمة، وطيبة أهلها ونقاء سريرتهم



خالد عبدالكريم الحمد

وبساطتها، لم تغادر مخيلته، وظلت حلمه الكبير الذي لا ينفك يعاوده، ويتلجلج بإصرار في خلجات صدره.

وكوميض البرق انسلت السنون تترى، ومضت تحث الخطى في سبيلها، وكبر أولاد ناصر وحصلوا على شهادات عليا أهلتهم لشغل وظائف مناسبة.

وهكذا، أمضى ناصر في تلك المفاوز النائية، نحو أربعين سنة، قرر بعدها العودة إلى الوطن، والاتكاء على وسادة "الجوف" الأثيرة، وأخذ قسطًا من الراحة، في ذلك الوسط الذي ما انفك شذاه يعبق بتلافيف روحه، ويمنحه النشوة التي كان يفتقدها، وهو هناك في دهاليز غربته.

وأخيرًا، عاد ناصر إلى أرضه وناسه وموئل ذكرياته، فوجدها ما تزال على حالها من بدائية، وعدم تطور كان ينشده ويتخيله.

وبفعل الصدمة التي لم يكن يأملها، غادر ناصر الجوف إلى الرياض حيث مكان عمله

الجديد، فاستمر به لفترة ما، لكن حنينه إلى "الجوف"، جعله يقرر العودة إليه ثانية، ليستثمر جهده فيه.. في مسقط رأسه وعشقه الأزلي.

صادف العديد من الصعوبات، وتعرض لبعض المواقف والأحداث والمضايقات، التي لم تكن في الحسبان، مما عرّضَ حلمه للاهتزاز العنيف، وخشي عليه من السقوط.

لكن طيب المكان وسحره العفوي، بعث فيه الأمل من جديد، فعاد يتشبث بتلابيب حلمه المعلق، الذي تُوّج بالوصول المفاجئ لزوجته سلمى مع بعض أبنائه الذين تركهم خلفه في مغتربهم البعيد، فانتابه فرحٌ غامرٌ لم يهنأ به أو يتذوقه من سنين خلت. وهكذا التأم شمل العائلة مجددًا. ولما كانت طبيعة الأيام التقلب، ولأمر ما توقف ناصر خلالها عن اهتماماته السابقة، التي تمثلت في مشاهدة التلفاز وإدمان القراءة وغيرها.. وعلى غير موعد أو انتظار، تعرض ناصر لفترة سجن وجيزة، بسبب وشاية مزيفة، للنيل من شخصه وتعكير سمعته، لكنها ما لبثت أن انزاحت وظهر بطلانها، فعاد ناصر إلى بيته وأهله وجيرانه، دون تأثر يذكر بتلك الحادثة، التي باتت بالنسبة إليه مجرد زوبعة في فنجان.

وبعد كل هذه الفصول الحياتية المتباينة، والأحداث التي مر بها ناصر، واستجابة لتعلقه بربوع الجوف وأهلها، قرر المكوث الدائم على أرضها وبين أناسها، وعدم مبارحتها أبدًا، كما كان شأنه، وقضاء ما بقي له من الحياة فوق ترابها الأثير لنفسه، حتى تحين رحلة العمر الأخيرة، التي ما لبثت إلا هنيهة من زمان وحلت، وأسدل الستار على مجمل مفرداتها وتفاصيلها، وأمست صفحات مطوية من سجلات الماضي ومدونات العمر الذي انقضى.

على هذا النسق من تدرج الأحداث وانسيابها، تتالت فصول رواية: «الحلم المعلق» ومقاطعها الملونة، التي ساقها الأديب القاص: «خالد عبدالكريم الحمد»، بأسلوب حواري وسردي عفوي، بعيدًا عن التشابك الزائد والتعقيد الدرامي، تتخلله بعض الشواهد الشعرية التي جاءت لإشباع الحدث وتجميله، ليتناسب وصيرورة الحالات والمواقف، التي مر بها شخوص الرواية، تطرق من خلالها المؤلف لقضايا اجتماعية وخدمية عدة، منها التعليمية والصحية، وسواهما من شؤون بلدية وإدارية وما إلى ذلك من اهتمامات أخرى إنسانية. كما أورد الكاتب بعض لمحات رمزية في بعض اللقطات الحوارية، كالتي رددها ناصر وهو على فراش المرض في لحظاته الأخيرة مثل قوله: الحلم.. الحلم.

صدرت الرواية عن الدار العربية للعلوم ناشرون في بيروت، في العام ١٤٣٨هـ. وتقع في (٢٧٠) صفحة من القطع الوسط، موزعة على (٤٤) فصلا.

* كاتب من سوريا مقيم في الجوف.

رحلةُ الشتاء
بين الدَّخُول وحَوْمَل[1]

■ د. عائض الردّادي*

أ- رحلة الشتاء

هو اسم أطلقه أعضاء الرحلة على رحلتهم السنوية التي تكون في البر، في فصل الشتاء، وأعضاؤها مجموعة من أعضاء مجلس الشورى السابقين، يعشقون البر، ويحنّون إلى الماضي، ربطتهم محبة كانت بدايتها قاعة مجلس الشورى، ثم توطدت من خلال هذه الرحلة الحولية التي يتشوقون إليها، وقد ذكر د. عبدالرحمن الشبيلي رحمه الله أن «الفكرة بدأت مطلع شتاء عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م» وقد كتب عنها ١٤ صفحة في ذكرياته[2] وسمّاها «الشُّورَحَّالة» نحتًا من كلمتي شورى ورحالة.

ومنظم الرحلة (ترتيبا وتمويلًا) في كل السنين هو د. زياد بن عبدالرحمن السديري، وأقتبس السطور التي كتبها عنه د. الشبيلي، إذ وصف وأجاد، وهي «قائد الرحلة د. زياد السديري على درجة عالية من الثقافة الصحراوية في معرفة القبائل واللهجات، والاتجاهات، وقراءة الأثر، وتحديد المواقع، والثروة الحيوانية، والغطاء النباتي، والأنواء، ونظافة البيئة، ورواية الشعر النبطي وقرضه، وحفظ الموروث الشعبي من القصص والنوادر والأمثال، وذلك فضلا عن اللياقة البدنية»[3].

بعد تجارب كثيرة، استقر موعدها لتكون أوائل الشتاء تحيُّنًا لاخضرار الأرض، وتجنُّبًا للمعاناة حين كانت في أواخر الشتاء من عواصف وغبار، ويُرتَّب لها قبل بدئها، إذ يجتمع الأعضاء



جبل الساقب

في منزل قائدها، أو بيت أحد أعضائها للتخطيط المسبق لرحلة كل عام قبل نحو شهرين من موعدها، ويتركون تحديد المكان للدكتور زياد؛ لخبرته في الأماكن، وإذا وقع اختياره على مكان أرسل إليه من يطلع عليه، لمعرفة مناسبته، من حيث سهولة الطرق، ومناسبة مكان المخيم والمُضحّى[4] والتعرف على معالم المكان بشكل عام.

وإذا ما حان التاريخ انطلق الرحالة من منزل د. عبدالرحمن الشبيلي رحمه الله سابقًا، ومن منزل أ. محمد الشريف حاليًا، وكل منهما يهيئ لهم طعام الغداء ثم يمتطون السيارات المناسبة لرحلة البر في وقت واحد، ما لم يكن المكان بعيدًا فيذهبون بالطائرة، وهناك تستقبلهم سيارات ملائمة للبرّ مع سائقيها يتكفل بها د. زياد.

وقبل الوصول بأيام، تكون الخيام قد نصبت، فمنها ما يكون للنوم، ومنها ما يكون مجلسًا لاجتماع الرحالة، ومنها ما يكون لمائدة الطعام، ولا يُحْضِر الرحالة معهم سوى أمتعتهم الشخصية والفراش المغلق (sleeping bags) الذي من أهم أغراضه السلامة من الهوام والدفء من البرد، وأحيانا يؤمن المضيف سُررًا في الخيام كما حصل في رحلة العلا، فلا يحتاجون إليه، وهذا الفراش والفَرْوة من الأشياء الدائمة، وغالبًا.. كل عضو يطويه إذا عاد، ولا يفتحه إلا في مكان رحلة العام القادم.

يتكفل المضيف بكل ما تستدعيه الرحلة من خيام، وطعام، وماء، وعمال طبخ وخدمة،

وحطب وفحم، وزوالٍ ومراكٍ وطاولات أحيانًا ومولد كهرباء، وفي السنة الأخيرة حصل فيها تطوّر: إذ خُصِّص لكل شخص خيمة صغيرة، فيها الخصوصية والأمان من الهوام، وتطور آخر هو تأمين فحم صناعي يستمر ست ساعات ولا دخان فيه، مما جعل الرحلة ليس لها من الماضي إلا صحراوية المكان، فهي رحلة برٍّ حَضَرية، بل فيما عدا حالة الجو رحلة ترفيه.

وبرنامجها في يومي الخميس والجمعة يبدأ بأداء صلاة الفجر جماعة، ثم يحتسون القهوة والحليب بالزنجبيل مع التمر، ليتناولوا الفطور في الساعة السابعة، ثم يبدؤون في التاسعة الانطلاق إلى المُضَحَّى الذي في الغالب يبعد عن مخيمهم نحو عشرة أكيال ما بين ماشٍ لمن استطاع، أو راكب سيارة، أو من يُقسِّم المسافة بينهما، فإذا حان وقت صلاة الظهر صلوه مع العصر جمعًا وقصرًا، ثم تناولوا غداءهم، وما قبله وبعده جلسة تعمرها أحاديث ثقافية أو طرف، وقد يمارس بعضهم لعبة البالوت، فإذا قرب العصر انطلقوا بالطريقة نفسها، وقبيل المغرب يكون عِقْدهم قد اكتمل في المخيم، فيصلون المغرب والعشاء ثم يتناولون العشاء في وقت مبكر، تتلوه جلسة سمر، والأغلب أن نومهم لا يتأخر عن العاشرة، وقد يتأخر بعضهم إلى الحادية عشرة، أما يوم السبت فهو الختام، إذ يتناولون ما يسمّونه فطورًا غداءً، ثم يبدأ مشوار العودة.



د. زياد بن عبدالرحمن السديري



جلسة تحت ظلال طلحة بجوار جبل الساقب.



المخيم بجوار جبل الصاقب

هذه المجموعة تجمعهم صفة واحدة هي عضوية سابقة في الشورى، لكن تتنوع تخصصاتهم من شرعية، وقانونية، واقتصادية، ولغوية، وتاريخية، وآثارية، وتربوية وإدارية وطبية، منهم المدني ومنهم العسكري، ومنهم أستاذ الجامعة، ومنهم المسؤول الإداري سابقًا، ومنهم رجل الأعمال، ويتنوع حديث جلساتهم بين الجد والهزل، وإذا طرح موضوع جادٌ أعطى الحديث فيه للمختص، ولا ترتيب بينها، فقد يكون الحديث جادًا فينتقل للمزاح والمداعبة، وقد يكون العكس، وفي كل الأحوال فإن الإطار العام في الجلسة هو الوقار والاحترام، وكأن جلستهم هي ما صوّره راكان بن حثلين في قوله:

يا محلا الفنجال مع سيحة البال

في مجلس ما فيه نفس ثقيله

إنه مجلس لثقافة راقية، أخذ من الصحراء أصالتها، ومن الحضارة الحديثة رفاهيتها، يعمرون المكان إذا نزلوه، وإذا رحلوا عنه تركوه نظيفًا كما وجدوه.

ليس للرحلة مكان محدد، فكل مناطق المملكة مكان لها بعد دراسة مناسبته، ولن يتسع المجال ولا ما احتفظت به الذاكرة لذكر شيء عن كل رحلة، ولكن سيشار لبعضها على سبيل المثال.

من أبرز الرحلات رحلة إلى العلا ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م، وكانت بالطائرة، وجال الرحالة بين جبال العلا ورمالها وآثارها القديمة والحديثة، ومن حسن حظهم أنه كان بينهم د. خليل البراهيم العالم الآثاري

الذي عرفهم على الآثار والكتابات، وبخاصة حضارة «ددان»، وقلّ أن يستجيب الرحالة لدعوة من الأهالي، بل يعتذرون لهم اعتذارًا مقبولًا، لكن في رحلتهم هذه زارهم د. سعود البلوي وعرّفهم بشجرة البان العربية[٢] التي تشتهر الآن بشجرة المورنجا (moringa)، وهي شجرة تنبت في سفوح جبال الحجاز وشعابها، ولكن أهل العلا استنبتوها في المزارع وأنشؤوا معصرة في قرية «جِيدة» التي تبعد عن العلا غربًا نحو ١٢٠ كيلًا، وقد استجابوا لدعوته، فزاروا منابت «البان» في الجبال، وفي بعض مزارع البان، ومعصرة الثمرة، وحظوا بكرم أهل «جِيدة»، وأخذ بعض أعضاء الرحلة بذورها وزرعوها، وكان ذلك مما ميّز هذه الرحلة.

أما رحلة سامودة[٣] في شمالي المملكة، فلم تكن مفاجآتها تخطر على البال، حيث نام الرحالة كالمعتاد بعد ليلة سمرهم حول نار السَّمُر الملتهبة التي تشعر من حولها بالدفء، لكنهم قضوا ليلة ليلاء تحت لسعات البرد الذي لم يخفف منه لباس وفراش مغلق (sleeping bags) ولا فروات ومشالح وبر، وعند الاستيقاظ للصلاة وجدوا الماء جامدًا، والخيام ملتحفة بالثلج، ودرجة الحرارة ٧ درجات تحت الصفر، فمنهم من انتظر حتى سُخُن الماء، ومنهم من أخذ بفتوى التيمم، وفتحوا عيونهم على الأرض بعد الإشراق، فرأوا أرضًا مكسوة بالثلج، وكانت ليلتهم الثانية أشد من الأولى، لكن كل ذلك لم يقلل من متعتهم بالرحلة، فبعد احتساء الحليب الحار الممزوج بالزنجبيل، تناولوا إفطارهم، ثم انطلقوا إلى مضحّاهم،



د. عبدالرحمن الشبيلي

وبدأ الثلج ينقشع، ويظهر وجه الأرض الأخضر، وبدت الإبل تنتشر بأعداد كبيرة عن يمينهم وعن شمالهم مؤكدة وصفها بأنها سفينة الصحراء.

ومن رحلة شمالية إلى رحلة جنوبية في العام التالي، في محمية عُرُوق بني مُعارِض، جنوب شرقي وادي الدواسر، على مشارف الربع الخالي في ربيع عام ١٤٣٩/٢٠١٨م، ولم تكن قاسية، فقد كان الجو باردًا ليلًا دافئًا نهارًا، وسكنوا سكنًا مريحًا يتبع لإدارة المحمية، هيأه صاحب السمو الملكي سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز، رئيس هيئة السياحة والتراث الوطني، آنذاك، تشجيعًا منه لهذه المبادرة، ودعمًا للسياحة، واهتمامًا بها، ونصب المضيف سرادقًا يجتمعون فيها، مؤمّنًا كل ما تستدعيه الرحلة كالمعتاد، مضيفًا سيارات ملائمة لطبيعة الأرض، وتمتّع الرحالة بجولات على



جبل الساقب

جبال من الرمال، وقطعوا وديان المحمية، واستظلوا بشجرها في مضحاهم، وشهدوا أثر الحماية في نبات الشجيرات وأعشاب المحمية، وأبصروا قطعان الغزلان راكضة على الرمال، والتقط نجلا د. زياد (عبدالرحمن وخالد) صورًا عالية المستوى لكل ذلك جسّدت الرحلة أفضل تجسيد، مما يمكن أن يكوِّن ألبومًا رائعًا عنها. ومما في هذه الرحلة: زيارة مدينة الفاو الأثرية عاصمة مملكة كندة العربية، واطلعوا على ما بذله د. عبدالرحمن الأنصاري وزملاؤه في جامعة الملك سعود من جهود في التنقيب الأثري لاكتشاف هذه المدينة وما بقي أكثر[٢].

وفي عام ١٤٤٠/٢٠١٩م كانت الرحلة إلى طَخْفة التي تبعد عن الرس ١٥٠ كيلًا، وعن عفيف ٩٠ كيلًا، وكانت منازل لكثير من القبائل العربية قبل الإسلام وبعده؛ وهي متنزَّه جميل جمع بين الجبال والسهول والشعاب، وبطاحُه نظيفة جميلة، ولبلدية «مركز نَفِي» الذي تتبعه إداريًا جهد واضح في المحافظة على نظافتها، وكانت الأرض خضراء، وصفيان الجبال لامعة إثر سقوط الأمطار، جال الرحالة في الشعاب بالأقدام وبالسيارات، وقضوا رحلة سعيدة، واعتادوا أن يكون يوم السبت بدون نشاط، ولكنهم في هذه الرحلة خالفوا هذه العادة؛ إذ تناولوا الإفطار عند زميلهم د. حزام بن هزاع العتيبي في «نفي» ثم تجولوا في المدينة القديمة، وزاروا منزل الشيخ عمر بن ربيعان العتيبي، ومنزل الشاعر ابن سبيل، ثم ساروا إلى عنيزة.. حيث لبوا دعوة للغداء من زميلهم د. عبدالرحمن الشبيلي ود. يزيد

العوهلي، كانت الرحلة سعيدة، لكنها كانت آخر رحلة لعبدالرحمن الشبيلي الذي انتقل إلى رحمة الله قبل رحلة عام ١٤٤١هـ.

ب- بين الدَّخُول وحَوْمَل

تاريخ هذه الرحلة من الأربعاء ١٤٤١/٤/٢٨ هـ إلى ١٤٤١/٥/٢هـ، الموافق ما بين ٢٥-٢٠١٩/١٢/٢٨م، وكانت في عالية نجد، بين الأماكن التي ذكرها امرؤ القيس في أول معلقته[٨]، ولذا صار لها وهج في النفوس لارتباطها بالذاكرة التاريخية والشعرية.

جبل الصاقِب

سار الرحّالة من الرياض على الطريق السريع إلى الطائف نحو أربع مئة كيل، ثم قُبيل الحُومِيَّة[٩] اتجهوا جنوبا نحو ١٣٠ كيلًا، حيث نُصب المخيم هناك في حضن جبيل مقابل لجبل الصاقب من الشرق، ويبعد عنه خمسة أكيال، وليس بينهم وبينه سوى فلاة خالية من الجبال، يرونه أمامهم من المخيم.

وفوق الجبيل المجاور للمخيم رَضْم من الحجارة في شكل جسر طويل يشبه الغرفة ثم يمتد منه مذنب حجري، وحجارته ما تزال متماسكة، وكان الظن أنه من متاريس الحروب القديمة لكن الدكتور خليل البراهيم عالم الآثار، أفاد أنه من المدافن الحجرية القديمة، وأنه يُعرف آثاريًا بالقبر المذنَّب، وهو ضارب في أعماق التاريخ.

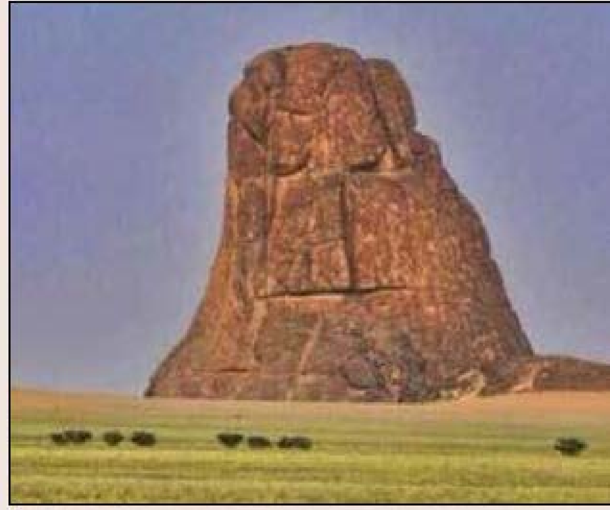
وكان الرحالة عندما تقرر مكان الرحلة قد قرؤوا عن الصاقب والمواضع التي ذكرها امرؤ القيس في مطلع معلقته، وما في محيطها ما كتبه سعد بن جنيدل في كتابه النفيس «عالية نجد»[١٠] وفي صباح اليوم الأول اتجهوا إلى جبل الصاقِب، وهو جبل عالٍ منفرد، شاهق، لا يمكن صعوده؛ لأنه صخرة واحدة ملساء، وإن وجد في بعض جوانبه حجارة كبيرة ملتصقة به، فيها تجويفات جرّاء عوامل التعرية الطبيعية.

قال عنه ابن جنيدل: «يقع في بطن صحراء منخفضة تدعى جُفْرة الصاقب»[١١]، وقال عنه ابن بليهد: «لا يوجد في بلاد العرب هضبة أعلاها أكبر من أسفلها إلا هضبة صاقب»[١٢] وصرّح ابن جنيدل: أن «ما ذكره البكري والهَمْداني في تحديد الصاقب لا يدع شكًا أن المقصود بذلك هو جبل الصاقب المعروف في هذا العهد، ولم أطّلع على جبل يدعى بهذا الاسم غيره»[١٣].

وذكر القدماء أن جبل الصاقب يقع تلقاء مِلْحة، وهي هضبة حمراء تقع في جنوبي جفرة الصاقب، وقال ابن جنيدل: إن «ملحة تدعى في هذا العهد الأميلاح»[١٤]، ويقال لجبل الصاقب أيضا صاقب الدَّخُول «لقربه منه»[١٥] وهو الوارد في قول أوس ين حَجَر راثيًا:

على السَّيِّد القَرْم لو أنه
يقوم على ذروة الصاقبِ[١٦]

لم يكتفِ الرحالة بالوقوف عند جبل الصاقب ومشاهدته، بل داروا حوله من كل جهاته نحو كيلين ونصف الكيل، ثم انطلقوا إلى جبل حومل الذي يبعد عنه ٢١ كيلًا تقريبًا.



جبل الصاقب

وجُفْرة الصاقب التي يقع فيها جبل الصاقب وما حوله: وصفها ابن جنيدل بأنها: «أرض منخفضة، واسعة، محاطة بتلال رملية، وأرض دكاك، وفي بطنها خباري، تنحدر فيها سيول ما حولها، وفي وسطها يقع جبل الصاقب.. ويسميها بعضهم جفرة الصاقب.. غربًا جنوبيًا من الدخول، وفي ناحيتها الشمالية يقع جبل حومل، وفي حدّها من الشمال تقع هضبة المَنْخِرة» ويضيف ابن جنيدل «ولا يفهم من كلمة الجفرة معنى الضيق في مساحتها، ولكنه يدل على انخفاض بطنها وارتفاع ما حولها عليها، فهي صحراء واسعة، ورعيها من أطيب المراعي وأوفرها، وليس في بطنها مياه، ولكن المياه التي حولها تصدر عليها»[١٦].

وصل الرحالة من الصاقب إلى حومل ووقفوا عنده وفي ذاكرتهم قول امرئ القيس:[١٧]

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
بسِقطِ اللِّوى بين الدَّخولِ وحَوملِ

فتوضِحَ فالمِقراةِ لم يَعْفُ رسمُها
لما نسجتها من جنوبٍ وشمألِ

كان معهم نص معلقة امرئ القيس فصار كأنه معهم، يتتبعون الأماكن التي وقف عليها وبكى ذكرياته ومنازله، ومعهم إلى ذلك ما كتبه عنها سعد بن جنيدل محتويًا على أقوال الجغرافيين السابقين والمعاصرين في كل موضع، يتحدثون ويتأملون، ويناقشون، ويقرؤون، ويصورون، فهم في مرابع في عالية نجد التي خلّدها امرؤ القيس، وخلدها التاريخ، وعُني بها الجغرافيون ومؤرخو الأدب.

حَوْمَل

وصفه ابن جنيدل بأنه «جبل أسود، له قمة بارزة، يقع غربًا من هضاب الدخول وشرقًا من المَنْخِرَة... وهو معروف بهذا الاسم قديمًا وحديثًا» وأكد ابن جنيدل أن حومل هذا هو الوارد في معلقة امرئ القيس؛ لأنه ذكر في قصيدته مواضع أخرى قريبة من الدخول وحومل، وأنه غير حومل الذي ورد في شعرٍ لحسان بن ثابت مع أماكن أخرى، فتلك في بلاد الشام[١٨].

وجبل حومل، وما حوله من جبال، ما تزال معروفة بأسمائها عند أهل المنطقة، ومنهم من لم يطلّع على ما كُتب عنها في المصادر، فهم يعرفون ذلك بالرواية والتوارث.

الدَّخُول

سار الرحالة متجهين شرقًا مسافة تقارب ١٢ كيلا، فوصلوا إلى الدخول، وهي هضاب متعددة، تفصل بينها الرمال، وذكر ابن جنيدل أنه يبعد عن عفيف جنوبًا مئتي كيل[٢٠]، وتقدر المسافة بين جبل الصاقب والدخول بخمسة وعشرين كيلًا.

سقط اللوى

هو وصف للأرض الواقعة بين الدخول وحومل وليس اسمًا للموضع، فالسِّقط هو مُنْقَطع الرمل، واللوى: هو حيث يلتوى الرمل ويَرِقّ، وفي شرح البيت في ديوان امرئ القيس «وإنما خصَّ منقطع الرمل ومُلْتَواه؛ لأنهم كانوا لا ينزلون إلا في صلابة من الأرض ليكون ذلك أثبت لأوتاد الأبنية»[٢١] ومثل سقط اللوى في المعنى وصف مُنْعَرج اللوى الذي ورد في بيت دريد بن الصِّمّة:

أَمرتُهم أمري بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

ورمال سقط اللوى ليست باللّيِّنة، وليست بالصلبة، تميل للبياض، وتسير عليها السيارات بيسر، ومن مكان لآخر تظهر صخور غارقة في الرمال.

تُوضِح

رجّح ابن جنيدل أن توضح التي ذكرها امرؤ القيس مع هذه المواضع هي الأبرق الذي يعرف حاليًا باسم أبرق الميضاح، شرقًا من رمل عِرْق سُبَيّع، وهو قريب من جفرة الصاقب، وغربًا من جبل الصاقب، ورجّح قوله هذا بأن جبل حومل وهضبة الدخول وسقط اللوى بينهما ما تزال معروفة، وكلها قريبة من الميضاح[٢٢]، ولم يقف الرحالة على هذا المكان.

المِقْرَاة

هي وصف وليس اسمًا لمكان فهي مثل سقط اللوى، ففي القاموس «المقراة كل ما اجتمع به الماء»، أي هي «الغدير الذي يجتمع فيه الماء من قولهم قريت الماء في الحوض إذا جمعته»[٢٣]. وأورد البكري في معجم ما استعجم «أن أبا عبيدة يقول: إن المقراة ليس موضعًا، وإنما يريد الحوض الذي يُجمع فيه الماء»[٢٤]. ويرى ابن جنيدل أن المقراة هي جفرة الصاقب، إذ قال: «ويبدو لي أن الجفرة هي الموضع الذي ذكره امرؤ القيس باسم المقراة مقرونًا بذكر الدخول وحومل وتوضح؛ لقرب هذه المواضع من بعضها»[٢٥]، إلى أن قال: «ولفظة المقراة تدل لغويًا على وصفٍ جغرافي لا يختلف عن تكوين الجفرة الطبيعي... وقد أوضحت أن بطن الجفرة فيه خباري شهيرة تجتمع فيها مياه السيول ويشربها الناس»[٢٦]. قال كاتب هذه السطور: أرى أن المقراة هي الغدير الذي نحر عنده امرؤ القيس راحلته لابنة عمه عنيزة وصويحباتها، على ما سيأتي وصفه.

بعد التجوال والوقوف عند تلك المواضع واستحضار التاريخ اتجه الرحالة إلى موضع جنوب جفرة الصاقب بنحو ١٥ كيلًا، وهناك قضوا مضحاهم، في مكان بطحاؤه نظيفة، وأشجاره خضراء، في حضن جبال،



قبر منذب

واستظلوا بواحدة من طلحه، وتجاذبوا الحديث حول امرئ القيس وحياته المرفّهة قبل أن يصله نعي والده مقتولاً، فقال قولته المشهورة «ضيّعني أبي صغيرًا وحمّلني دمه كبيرًا، اليوم خمر وغدًا أمر».

وكان مما طرقوه في حديثهم قراءة أبيات من معلقة امرئ القيس، منها التي وصف فيها نحر بعيره لابنة عمه عنيزة وصويحباتها وهي:[37]

ألا رُبّ يومٍ لك منهنّ صالحٍ
ولا سيما يومٍ بدارة جُلجُلِ

ويوم عقرتُ للعذارى مطيّتي
فيا عجبًا من رَحلِها المتحمَّلِ

يظلّ العذارى يرتمين بلحمها
وشحمٍ كهُدّاب الدِّمقس المُفتّلِ

ويوم دخلتُ الخدر خدرَ عُنيزةٍ
فقالت: لك الويلاتُ إنك مُرجلي

تقول وقد مال الغبيط بنا معًا
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزلِ

وجُلجل اسم مكان وقع فيه يوم من أيام العرب يسمى يوم الغدير أو يوم جلجل؛ إذ خرج الرجال للقتال وبقي النساء، وتخلّف امرؤ القيس، وكَمَن في مكان ليرى الفتيات ومنهن عنيزة وهن يسبحن في الغدير، وتفصيل القصة في المصادر الأدبية، وما يهم منها هنا هو أنهن قلن له: غدًا فقد حبَسْتنا وجوّعتنا، فنحر لهن ناقته، وأجّج النار، وشوى لهن، وجعل يقطّع لهن من كبدها وسنامها وأطايبها فيرمينه على الجمر، ويأكلن حتى شبعن ثم حملن متاع راحلته، وحملت عنيزة امرأ القيس على راحلتها، فكان يوم نعيم وسرور لهن ولامرئ القيس[38].

وشتان بين طعام امرئ القيس وصويحباته وهن يرتمين بلحم ناقته، أي يتهادينه بينهن فرحات بيوم السرور هذا، وبين غداء الرحالة

الذي كان من كل ما لذ وطاب، من لحوم الأغنام والطيور، مشويا وغير مشوي، وكل ما لذ من أنواع الخبز، وكل ما لذ من الخضار والفواكه، ويحتسون القهوة مع أطيب التمور، لا يفترشون البطحاء، بل يجلسون على الكراسي أو الزوالي مع المساند، وكل يختار ما لذ له من وجبة متنوعة كما وصفها د. عبدالرحمن الشبيلي رحمه الله فيما كتب عن رحلات سابقة بأنها «وجبات فندقية تلبي جميع الأذواق»[٢٩].

وقضوا مُضحَّاهم في اليوم التالي بجوار هضبة المَنْخِرَة وهي هضبة سوداء لها رؤوس بارزة»[٣٠] تقع غربًا من حومل، وتراها من الدخول، وذكر ابن جنيدل أنها «تعرف في هذا العهد باسم محرف تحريفا يسيرًا فيقال لها: المنحرة»[٣١]. وباتوا ليلتهم التالية في سَمَر كالمعتاد ثم نوم وفطور في الصباح، تلته رحلة العودة، ممتلئة أذهانهم بذكر الزمان والمكان في الأيام البعيدة والقريبة.

ومن طرائف هذه الرحلة أن أجهزة الجوَّال صمتت طول رحلتهم لعدم وجود إرسال، وكان من يحتاج إلى مكالمة يذهب إلى طريق الطائف السريع، مسافة تصل إلى ما يقارب مئة وثلاثين كيلًا، ويحمّله بعضهم جَوَّاله ليستقبل الرسائل فيأتي بها، وهكذا يأتيك بالأخبار من لم تزوِّد، وعرفوا كم من الوقت يهدر في الانكباب على أجهزة الجوال، على ما فيه من فوائد كثيرة لمن يحسن استخدام الوسيلة.

الهوامش:

(١) محاضرة في مركز عبدالرحمن السديري، في الغاط، في ١٤٤١/٦/١٤هـ، ٢٠٢٠/٢/٨م.

(٢) «مشيناها... حكايات ذات» ط١، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م من ص ٣٧١ -٣٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٤.

(٤) المضحى: اسم للمكان الذي يقضون فيه وقت الضحى ويتناولون فيه وجبة الغداء.

(٥) البان: واحدته بانة، تشبه الأثل كثيرًا، تنبت في الجبال والشعاب، شجرة سامقة الطول، سريعة النمو، جميلة المنظر، رشيقة سهلة التثني؛ ولذا، شبه بها الشعراء النساء الحسان في نعومة الملمس ورشاقة القوام وتثني أجسامهن كأغصان البان أمام الرياح، ومثلهم شعراء الحنين في حنينهم للجزيرة العربية، وقد فصّل الكلام عنها نباتيًا د. أحمد سعيد قشاش في كتابه «النبات في جبال السراة والحجاز» محتويًا صورًا كثيرة لها، ٩٦/١-١٠٣، ط١، ١٤٢٧هـ، السروات للطباعة.

(٦) سامودة: من قرى حفر الباطن.

(٧) كتب د. عبدالرحمن الشبيلي رحمه الله مقالًا بعنوان «الربع الخالي» مستودع الحياة الفطرية والسياحة والآثار» نشر في جريدة الشرق الأوسط، في عددها ١٤٣٠٠، في ١٤٣٩/٥/٦هـ الموافق ٢٠١٨/١/٢٢م، ومجلة ترحال، إبريل ٢٠١٨م.

(٨) هناك خلاف في موقع الأماكن الواردة في أول المعلقة، «وقد استقر في الأذهان أن مكانها الصحيح هي عالية نجد الجنوبية، فأخذ هذا التحديد شبه الإجماع» كما قال عبدالله الشائع في كتابه «مع امرئ القيس بين الدخول وحومل» (ص٦) وهو ممن كان يقول بذلك قبل عدوله عنه وتأليف كتابه هذا حيث رأى أنها في عالية نجد الشمالية والوسطى، قائلًا: «ولن أتوصل إلى قول حاسم ودقيق في بعض الأماكن» (ص١١) مشيرًا إلى أن «كل أهل ناحية يزعمون أن امرأ القيس كان يقصد دخولهم وحوملهم» (ص٦).

خالد البسام

١٣٧٥ - ١٤٣٦هـ/ ١٩٥٦ - ٢٠١٥م

■ محمد عبدالرزاق القشعمي*

أحببته منذ أول لقاء جمعني به بالبحرين، وكنت قد عرفته من خلال ما كتبه عن تاريخ الخليج العربي، وبخاصة البحرين، حيث عاش وتعلّم وعمل، رغم أنه من مواليد عنيزة بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٥٦م. كان والده حمد، وقبله جده سليمان، من أشهر تجار البحرين، وبحكم ارتباطهم العائلي بعنيزة؛ إذ جرت العادة أن تلد المرأة قرب والدتها المقيمة بعنيزة، قبل أن يتعودوا على التوليد في المستشفيات.

في إحدى المناسبات في الرياض، صافحني الأخ محمد الحمد البسام، قبل نحو خمس عشرة سنة، وأعطاني رقم هاتف ابن شقيقته خالد الحمد السليمان البسام في البحرين، وقال إنه يسأل عني، ويرغب بالتعرف عليّ ولقائي به، ولهذا سافرت مع الصديق عبدالله حسين العبد المحسن لزيارة ابنته سالي -الطالبة بجامعة البحرين وقتها- فهاتفت الأستاذ خالد البسام، فرحب بي، وطلب عنوان إقامتي عندما عرف أنني بالبحرين.

وسريعًا ما جاء، وقال: إنه معجب بما أكتبه من ذكريات، وما أنقله من معلومات من الصحف المبكرة في المملكة، وكأننا متفقون على نبش وإحياء ما نسي واندثر.

دعانا لزيارة صومعته، وهي شقة مليئة بالكتب والدوريات، قال: هذا مكتبي، فبعد التقاعد من العمل الرسمي، أصبحت أقرأ وأكتب هنا بعيدًا عن صخب منزل العائلة، وأثناء تفقدي لرفوف الكتب، وقع نظري على مجلدات مجلة (صوت البحرين) وكنت

- ١٩٤٩م. وقد كتب الإهداء التالي: (الكاتب والإنسان الجميل محمد القشعمي مع المحبة.. خالد ٢٠٠٩/٣/٦م).

وكان والد جده حمد من التجار المعروفين بالهند، ولهذا فقد قرر إرسال ابنه سليمان إلى البحرين لمزاولة التجارة منذ عام ١٩٠٥م، وقال عنه حفيده خالد: «... فقد استفاد كثيراً من معلومات وحكايات النجديين الذين قابلهم في الهند، والذين ظلوا في البحرين لبعض الوقت، وكانت أولى زياراته لشيخ التجار أو (فخر التجار)، كما كان يُلقّب آنذاك، وهو المثقف النجدي الشهير (مقبل عبدالرحمن الذكير) تاجر اللؤلؤ العريق.. ومع الوقت تعرف سليمان عن طريق الذكير على كثير من شخصيات البحرين وتجارها، وراح يقرأ بنَهم كثيراً من الصحف والمجلات المصرية والشامية التي يحضرها الذكير عن طريق الهند...».

وبعد مضي خمس سنوات من إقامته بالبحرين، يستدعيه والده المقيم بمكة ليزوجه ابنة عمه نورة السليمان البسام، وبعد وفاة والده المفاجئة، انتقل للإقامة بعنيزة، فرزق بابنته حصة وابنيه حمد ومحمد.

عاد سليمان للبحرين لتفقد تجارته التي تولاها بعده شريكه منصور الخنيني، وبعد أن هيأ السكن المناسب للعائلة بالبحرين، نقلها إليه.

في ١ رجب سنة ١٣٤٩هـ، دخل ابنه حمد مدرسة الفلاح بحي الفاضل بالمنامة القريبة من السوق، حيث متجر والده.

قال عن جده سليمان إن الفكر القومي قد ألهب مشاعره وحماسته، وافتخاره بانتمائه للعروبة، ومساندته الحق العربي، وتأييد حركات التحرر الوطني، ورفض الاستعمار الأجنبي، وقال



خالد حمد البسام رحمه الله

أبحث عنها، ولوجود العديد من كتّاب المملكة كانوا يكتبون بها قبل صدور صحف أو مجلات في المنطقتين الوسطى والشرقية.

عرفت أن المجلة قد صدرها مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث بالبحرين، والتي قد صدرت في الفترة من ٦٩ - ١٣٧٣هـ ولأربع سنوات، توقفت بعدها، ولم يصدر منها إلا أعداد محدودة، وعرف مدى حرصي على الحصول على نسخة منها، وعدني بالبحث عنها، وفعلاً في اليوم التالي فاجأني بمجلداتها الأربعة، فاعتبرتها أجمل هدية منه، وبسبب هذه الهدية أعددت كتاباً باسم (الكُتّاب السعوديون في مجلة صوت البحرين)، صدر عام ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، عن دار المفردات للنشر والتوزيع بالرياض.

استمرت علاقتنا واتصالاتنا هاتفياً، ولقاءات عابرة بمعارض الكتب بالرياض والبحرين والقاهرة، فأصبح يبعث لي ما صدر له من جديد، إلا أنه أهداني ما صدر له من قبل عند لقائي به لأول مرة.. أهداني كتابه الجديد والمهم، والذي يحكي به سيرة جده (النجدي الطيب.. سيرة التاجر والمثقف سليمان الحمد البسام) ١٨٨٨

إنه في عام ١٩٢٩م خاض تجربة كبيرة في دعم القضايا القومية، وشارك لأول مرة في تأسيس وعضوية أول لجنة تضامن بحرينية لنصرة كفاح الشعب الفلسطيني.

كبر الابن حمد، وبدأ مزاولة التجارة مع والده، وتسلم مسؤولية العائلة بعد وفاة والده سليمان عام ١٩٤٩م.

نعود إلى الحفيد خالد بن حمد البسام، فبعد ولادته بعنيزة لدى جدته لأمه، يعود للبحرين لتلقي علومه الأولى، ثم ينتقل للقاهرة للدراسة الجامعية، وكانت المشاعر القومية والحماسة على أشدها بين الشباب، ومع ثورة ظفار عام ١٩٧٧م، نجده يترك دراسته ويلتحق بها باسم (فهد)، وقد سجل هذه الفترة في روايته (مدرس ظفار) الصادرة عام ٢٠١٠م من دار آمل في بيروت: ما جعله يشارك بحمل السلاح، تاركًا دراسته بالقاهرة، ومتخذًا اسمًا رمزيًا (فهد)، ليخوض أولى تجاربه الثورية الحقيقية، وعلى أرض الواقع في ثورة ظفار، ولم يكن في باله أن تدريس تلاميذ الثورة وحمل السلاح، هو أقل بل وأسهل مهمة قام بها. وقد بقي في مدينة (الغيظة) أقصى شمالي اليمن، وهي من أسعد أيامه كما قال: «لقد كانت ظفار حلمًا، ثم كابوسًا، ويُعدُّها أسطورة في الذاكرة لا تنسى أبدًا..». وكأنه بمغامرته يستعيد دور جده ومجده السابق. وكان قد أصدر قبل ذلك بسنتين رواية (لا يوجد مصور بعنيزة)، أهداها لي بقوله: «أخي الحبيب أبو يعرب كاتبًا ومؤرخًا جميلًا.. مع المحبة.. خالد»، متتبعًا سيرة ثلاثة من أبناء عنيزة تغربوا وتفرقوا، أحدهم في الهند، والآخر في الشام، والثالث بالبحرين، وحين التقوا في آخر حياتهم، أخذ كل منهم يقص قصته، وسبب التسمية أن أحدهم ذهب لإدارة الجوازات في بريدة لاستخراج جواز سفر، وعندما طلب منه صورًا شمسية، قال له: لا يوجد مصور في عنيزة.

نعود إلى بداياته كما قال عن تكريمه في اثنينية عبدالمقصود خوجه بجدة في ٢٠١٤/١٢/٨م، إنه عمل في البحرين من عام ١٩٨٤م مدير تحرير مجلة (بانوراما) البحرينية، ومراسلًا لجريدة الحياة اللندنية، ومدير تحرير جريدة (الأيام)، ثم رئيسًا لتحرير مجلة (هنا البحرين).

يحرر صفحة أسبوعية في جريدة الخليج بعنوان: (قال الراوي) في التاريخ.

يحرر صفحتين أسبوعيتين في مجلة (كل الأسرة)، بعنوان: (نسوان زمان) عن تاريخ المرأة. أعد برامجًا لإذاعة البحرين ١٩٨٨-٢٠٠٢م، لتلفزيون دبي ٢٠٠٠م، وبرنامجًا



خريطة فلسطين



الشيخ عبدالمقصود خوجة

تلفزيونيًا بعنوان: (روزنامة فن) ٢٠٠٢م، وتفرغ أخيرًا للكتابة الصحفية والتأليف، وذكر من مؤلفاته تلك الأيام، رجال في جزائر اللؤلؤ، القوافل، خليج الحكايات، مرفأ الذكريات، صدمة الاحتكاك، بريد القلب، بساتين، عزف على السطور، حكايات من البحرين، نسوان زمان، يا زمان الخليج.

وأمامي الآن كتاب لم يُذكر، وهو (كلنا فداك) البحرين والقضية الفلسطينية ١٩١٧- ١٩٤٨م، كتبه بعد زيارته للقدس مع والده عام ١٩٦٤م.

وروايته التي صدرت بعد وفاته (ثمن الملح) عن دار جداول ٢٠١٦م، وهي عن تجارة الرقيق في الجزيرة العربية، وله مجموعة أخرى أعدها بطلب من وزارة الإعلام بعنوان: (رواد الصحافة البحرينية)، أهداني أربعة منها وهي:

١- علي سيار.. عمر من الكتابة ٢٠٠٦م.

٢- محمود المردي.. أضواء قلم ٢٠٠٧م.

٣- حسن الجشي.. البدايات الشجاعة ٢٠٠٧م.

٤- تقي البحارنة.. عنفوان الكتابة ٢٠٠٧م.

قال عنه عبدالمقصود خوجه عند تقديمه في حفل تكريمه: «... إنه السعودي المولد، والبحريني الهوى، والاهتمام، والنشأة، المؤرخ، والمترجم، والأديب، والناقد، والصحفي الأستاذ خالد بن حمد البسام...».

وقال عنه أحمد عائل فقيه: «... الحديث عن خالد البسام، هو حديث عن شخص يقف بين هويتين: الهوية السعودية والهوية البحرينية، والسفر في الهويات المتعددة هو سفر في الثقافات المتعددة، هو ابن عنيزة، وهو ابن المنامة في آن، هو سليل عائلة تنتشر في الآفاق من العراق، إلى سوريا، إلى الهند، ومن القصيم.. إلى الحجاز إلى جيزان.. هو متعدد المواهب، هو الكاتب والروائي أيضًا، هو الباحث، وهو المؤرخ أيضًا، وأخيرًا هو المترجم، وإنه يقف على خليج الحكايات...».

قال إنه عندما نشر كتابه الأول (تلك الأيام) ١٩٨٧م، جاءه صحفي إنجليزي وقال له: إن الكتاب غريبٌ رغم تدعيمه بالصور والوثائق.. وقال له هل ذهبت إلى الأرشيف البريطاني؟ إنك ستندهش بما ستراه هناك، فذهب وقضى سنة في تعلم اللغة الإنجليزية، ثم ذهب للمكتبة البريطانية، وقضى بها أربعة أشهر، من العاشرة صباحًا وحتى الخامسة بعد الظهر: «رأيت كميات من الوثائق عن البحرين، وعن الخليج، وعن الجزيرة العربية، لدرجة إني «أنا يقول لكم قصة، من ضمن الأشياء التي حصلتها، إن البريطانيين كانوا دقيقين جدًا في تسجيل أي حادثة مهما كانت بسيطة في البحرين، لدرجة إني لقيت تقرير الوكالة البريطانية في البحرين عن جدي، حاطينه مثل الخبر، يعني كاتبين (سرقة منزل التاجر النجدي سليمان الحمد البسام.. واكتشفت أن لديهم قائمة سوداء وقائمة بيضاء للذين يتعاملون مع البريطانيين، من البحرينيين والنجديين، الحمد لله، لقد عرفت أن أناسًا من عائلتي محطوطين في القائمة السوداء، وفيه

ناس محظوظين في القائمة البيضاء.. المهم أنني أيقظت الأوراق النائمة في هذه المكتبة..».

آخر لقاء لي معه كان قبل وفاته بأربعة أشهر في منزل الدكتور عادل العلي بالمنامة، حيث قضينا وقتًا جميلًا أمتعنا فيه بالذكريات والقصص.. وكان رحمه الله يحكي عن آخر أعماله التي يكتبها عن قصة تجارة الرقيق في الخليج العربي، وذكر أن لديه مشاريع ثقافية كثيرة لم تكتمل، وأنه حريص على إنهائها.

وكان قبل سنوات قد أسرَّ لي أنه «قد قدم طلبًا للسفير السعودي بالبحرين لاستعادة الجنسية السعودية.. وقال ليس لي بل لأولادي.. وبعد أشهر كنت مع الدكتور عبدالرحمن الشبيلي في رحلة إلى عنيزة فذكرت له الموضوع، وقال أن سمو الأمير سلمان - الملك - سبق أن سأله عن باقي مؤلفات البسام؛ لأنه معجب بكتابه (يا زمان الخليج)، وأنه لو تيسر وزار المملكة.. يمكنه زيارة الأمير سلمان، وسوف ينال ما يريد..

علمًا بأن مجلس التعاون الخليجي قد كرّمه مع مجموعة من أبناء دول المجلس في الإبداع بالدوحة يوم ١٥ اكتوبر ٢٠١٥م.

كما حصل كتابه (خليج الحكايات) عام ١٩٩٣م، وكتاب (صدمة الاحتكاك) عام ١٩٩٨م على شهادة أكثر الكتب انتشارًا في بريطانيا.

ونشرت جريدة أخبار الخليج البحرينية في عددها ١٤٢٠٤ يوم السبت ١١ فبراير ٢٠١٨م الموافق ١٤ جمادي الأولى ١٤٣٨هـ، مقالًا بقلم عبدالحميد القائد عنوانه: (وهج الكتابة.. رواية عن المسكوت عنه)، يتحدث فيه عن كتاب صدر للبسام بعد وفاته بسنة، من سلسلة روايات الهلال في أكتوبر ٢٠١٦م بعنوان «جراندول»، والرواية تبدأ في عام ١٩٥١م، يصف المنطقة التي خصصتها السلطات البريطانية لممارسة البغاء بالمنامة، تتألف الرواية من ٢٢٤صفحة، ومواد الرواية معتمدة على الأرشيف البريطاني، والذي تَعَوَّد المرحوم أن يستقي الكثير من المعلومات منه في كتبه السابقة.

كما فاز بالمركز الأول في استفتاء كُتّاب الأعمدة المفضلين في الصحافة المحلية في يوليو ١٩٩٩م، وهو عضو لجنة تحكيم جائزة الصحافة العربية (دبي) لعام ٢٠٠٨م.

وقد كرمته صحيفة (الوسط) البحرينية في نوفمبر ٢٠٠٧م على جميع كتبه.

نَعتْه رابطة الصحافة البحرينية: «الكاتب والصحفي خالد البسام في ذمة الله.. تنعى رابطة الصحافة البحرينية والأسرة الصحفية البحرينية الكاتب والصحفي خالد البسام الذي وافته المنية صباح اليوم الثلاثاء ١٠ نوفمبر ٢٠١٥م، ويعد البسام أحد أبرز الكتاب الصحفيين البحرينين الذين أثرو الساحة الصحفية والأدبية من خلال كتاباته الصحفية وإصداراته الأدبية والتاريخية».

كما رثاه كثير من الأدباء والكتاب. وممن تحدث عنه الشاعر قاسم حداد قائلًا: «خالد البسام على هيامه بالتوثيق والتأريخ، فإنه يفعل ذلك بهدوء كبير، وبعيدًا عن الضجيج، ودون أي ادعاء، ربما لأنه يفعل ذلك بدافع ذاتي يجعله سعيدًا لما يفعل، ففي عمل مثل هذا يشعر خالد أنه يحقق شيئًا يحبه.. الخ».

وقال عنه عبدالمنعم ابراهيم في «أخبار الخليج»: خالد البسام.. رحل الذي حول القراطيس المهترئة إلى جواهر أدبية.

وقال جورج جحا من بيروت: خالد البسام وعنيزة.. حبر سحري برائحة القهوة.

* كاتب وباحث سعودي

حديثُ الوجدان في كتاب
سنواتُ الجوف: ذكرياتُ جيل

■ د. هيا بنت عبدالرحمن السمهري*

حظيتُ بمرور مكتنز وحيازة ملأى، حين تهادى بين أصابعي كتاب الدكتور عبدالواحد الحُميْد (سنوات الجوف؛ ذكريات جيل)، الذي نشرته بوابة التنوير الوطنية العريقة (مركز عبدالرحمن السديري الثقافي)، والكتاب اعتلا رواق طبعتين فاخرتين، الأولى عام ٢٠١٧م، والثانية ٢٠٢٠م. ولقد راق لي الكتاب محتوىً ونتيجةً وفكرًا وأسلوبَ سرد؛ ولأن الذاكرة التصويرية دائما ما تكون حاضرةً في متكآت أمثالي! فقد انطبعتْ حزمة من صفحاته بالذاكرة، فجذبتني للغوص في التفاصيل، فشرعتُ في قراءة تحليلية أخرى للكتاب، حتى استقرتْ في ذهني جدارته بأن يكون في علياء الوثائق التاريخية لمنطقة الجوف.

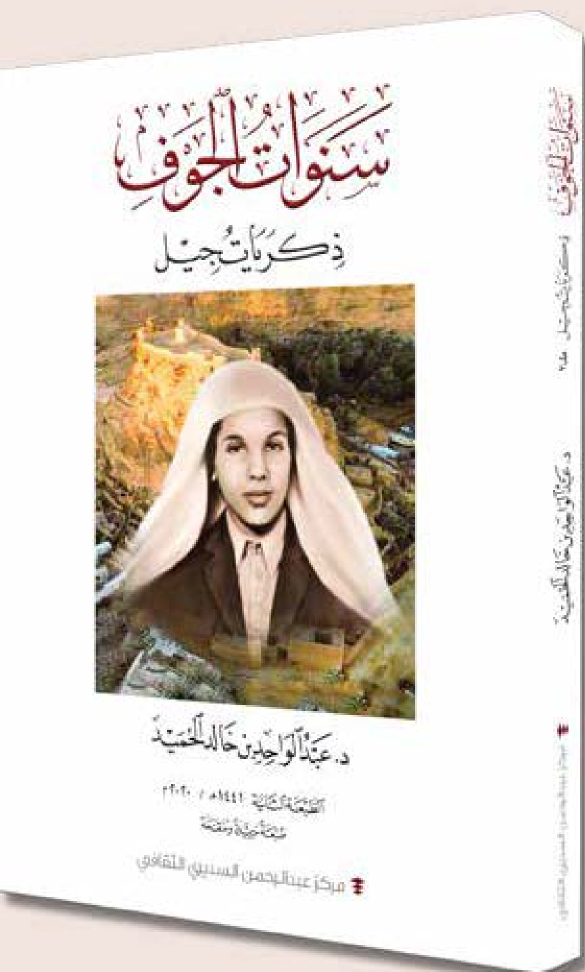
فالكتاب بدايته تخطيطٌ للصعود المجتمعي المستدام، وما استشرفه الكاتب في ذلك الجيل الذي وُلِد في الخمسينيات الميلادية، ونهايته ختمٌ توثيقيٌّ لحكايات الجد والبحث والسؤال والعمل. وفي الكتاب رحلاتٌ ومحطاتٌ كانت غير مقررة، ومن ثمَّ أصبحتْ ممنهجة إلى عالم موجود ما كان اكتشافه شغفًا لأحد في يوم ما!؟ فأفاض في صياغة العبارات عن علائق الإنسان الجوفي بالفن الغنائي وتذوق الأصوات والمقارنة بينها، وبسط حديثًا رائقًا عنها، وفنّد الكاتب ميولَ الناس حول أولئك الفنانين الذين لم يدلفوا بلادنا إلا من خلال وسائط الإعلام المسموعة والمرئية. واستوقفنا الكاتب للاستماع لكل طارق سياسي يحضر عبر الإذاعات العربية آنذاك، ودائما ما يطرح الكاتب شيئا من وقائع الخرافة تجاه الأحداث التي اندست في

حياة، وسَرتْ على الألسنة بما هي وسيلةٌ جاذبةٌ لليقين؛ فكأنَّه حَمَلَ أمانةَ توثيق تلك المرحلة، يدفعه الشغف الذي كانت تُستَقبلُ به حكايات السابقين فوق (أراضيهم الوطنية التي كانت تسمى آنذاك بالنائية)، إذ توارى النقد في الكتاب حين المرور لتدوين تلك الحقبة، وانسكب الودُّ العميقُ الممتدُّ عند الكاتب؛ فهو في حديث البساتين الزراعية، أو ما يسمى جوفيًا بالحوطات، كان تعدِّي الأطفال على الثمار براءةً وشجاعةً، وليس بدافع الحاجة؛ إنما حبًّا في المغامرة! وتوقف الكاتب في كثير من المواقف ليبررها، وينتقل منها على عجل!

ففي حديث الكاتب عن سوق البحر في سكاكا تفاصيل درسها الكاتب بدقة، ثم سكبها لتكون من شواهده على التفوق الإقتصادي الذي ارتقى سلَّمهُ أهل سكاكا (البسطات، وحلقات الحراج المؤقته، والدكاكين ذات الشمولية في بضائعها، فالتنوّع في استحصال المال رصَدَهُ الكاتب، فدخل من خلاله إلى مناقب الاقتصاد الجوفي.

ومن اللافت الجميل أنَّ الكاتب أجاد في بعض محطات اللغة المحكية هناك، ومصطلحات الأسماء، ثم في براعة مشهودة، رصد تحول بعض المصطلح، فتراكمت الأسماء في الكتاب بمفاهيمها المجتمعية الجوفية (قماء الحسو) هي بئر الماء المضلل، ولعبة الفلوس المنتشرة عند الأطفال هي القمار بذاته، ويسمونها أيضا (السلب)؛ لأنَّ المغلوب تُسلبُ أمواله ويخسرها، والأهم أن الكاتب يقطع ما قد يتوارد من الأفكار حول انتشار تلك الألعاب المحرمة شرعًا، فيبسط في فخار لافت تصدي المجتمع الجوفي لكل ما درج عليه صغارهم وفتيانهم وهو مخالف شرعا، كما هي لعبة الفلوس وهي القمار بذاته..!

ويبدو أن ذكاء الكاتب تدخَّل فشكَّل نمطا من الثنائية الحضارية المنتجة، الملأى بالتفاصيل والأسماء والحكايات، تصلح للإخراج المرئي والمسموع، ولم يكن للرجوع والتقهقر عباراتٌ في الكتاب؛ فكلما توقفنا مع الكاتب في طرحٍ



جديد، حضر ليبلغنا احتفاء آخر عن مجتمعه الجوفي الأثير، ثم يعود لموضوعه الأساس، وهذه خصيصة لافتة جميلة، أبدع الكاتب في التعامل معها، وبدا لي تأثير البث الإعلامي من وسائطه المحدودة آنذاك واضحًا في وجيب المجتمع الجوفي الذي كان مختلفًا، فهو يستقي من منصات الإعلام الخليجية والعربية ذات الجوار والقرب الجغرافي. وكانت وسائط النقد موجَّهةً من مقر الأحداث خارج بلادنا، ولذلك تولَّدَ رسوخٌ عجيبٌ وتأييدٌ لما يُبثّ بمستوىً خرافيّ من الثقة فيما يُدسّ، وغدتْ تلك الأخبار هي من يُرتب أزمنة العيش، ويحقق التواصل المجتمعي للحديث حولها! وشجون أخرى جديرة بالتوقف في عمق مجتمع سكاكا وحي الشعيب؛ حيث وُلد الكاتب وعاش حقبةً من حياته عندما تقاطر عليهما وصف كاتب دقيق عاش والأرض والعَرْض، ومن ثم تعايش مع انتقال وجهته إلى العاصمة الرياض أم الدنيا وأبوها، كما أضفى عليها الكاتب.

ومن اللافت أن الكاتب، وهو ذلكم الواعي الحكيم، يلاحق الوعي في كتابه، ويرصد شئونه وشجونه، ويمسك بشواهده وشهوده، ويبسطها بسطًا احتفاءً بمجتمعه الجوفي، ودائمًا ما يقف الكاتب عند صور الذات المحلية مقابل الآخر الوافد الذي أتيحتْ له مشاركة المواطن في الإعمار والنهضة، حتى يبرز خصائص الاندماج ووسائل تحقيقه، والتوازن في الأخذ والعطاء واكتساب المعرفة الجديدة، مما كان قد تَولّد في مجتمع الجوف وسواه من قطاعات بلادنا، فكانت شهادته ممهورة تنفي عن ذلك الجيل العنصرية، وتقرر أنَّ الاندماج في النسيج صبغة لهم!

ولقد وُفّقَ الكاتب في تصوير مرحلة الطفولة واليفاع في نموذج مسيرةٍ طفوليةٍ صادقة، ووسمٍ لمراهقةٍ بريئةٍ وتذكارٍ مبكرٍ لاستقبال فوران الشباب وزهوه!

والكتاب في عمومه شاهدٌ على نفوس الناس في ذلك الزمان، وبصمةٌ أكيدةٌ على مجتمعاتهم، فالطرح في الكتاب خطوةٌ للإسهام في مجال تسجيل السيرة؛ وحديثٌ للذكريات بمقتضياتٍ مختلفةٍ نحو دفع عجلة كل ذي لُبٍّ نحو إتمامها، وما تضمنه الكتاب من محطات تصويرية لمسيرة الكاتب صنعت من آمال الناس فنًّا خالدا شكّل الكاتب بتحليلاته ووقفاته دروبًا للوقوف على تفاصيل إبداع العقول السعودية في الجوف وبروزها، والكاتب أحد العقول الشواهد على ذلك، وإن لم يورد في سرده شيئًا من صفحات إبداعه علنا.

كما أن الكاتب آثرَ حجْب بعض التفاصيل، ووَرّى عن ذلك بالمثل السائر «وهل ينطق من في فيه ماء؟».

وفي قلب الحقيقة التي كانت حديث الكتاب والكاتب، نجح الدكتور عبدالواحد في الغوص في أعماق إنسان ذلك الجيل، فكانوا يتحدثون عن تغريباتهم في بلاد الشام، وسرد نَزرًا من أسباب الاغتراب، ولكنه تجاوز تفصيلاته لما فيها من المشقة والأجور الزهيدة، ولكنه فصّل وعلّل في الحديث عن تلك المقارنات التي كانت تتوارد على ألسنة الناس عندما ارتفع منسوب العيش في البيئات السعودية، وكان حديث المقارنات مثيرًا جدًا، فكانت لأحاديث الشارع الجوفي طقوسٌ تُتبع، فهم لا يتحدثون عن عجائب التحضر في عهدهم إلا وَهُم في اصطفاف مُنظّم سعيدٌ حول الشبّاتِ وهي نارٌ توقدُ، يتحلّق حولها أهل الحيّ، ومن

اللافت أن الكاتب استطاع القبض على كثيرٍ من صور ذلك الجيل مُستلّةً من الصورة الكلية المنبثة في سائر المدن على أطراف بلادنا، فعلمنا أنهم «كانوا طاقات تتفجر بالطموحات، وتصطدم بمحدودية الأفق»، المعدّ لاستثمار تلك الطاقات، وحتى لا تسقط العناوين التي وضعها الكاتب، فقد ابتعد عن اصطياد أكثر الطبقات سطحية، وتعامل مع أفقٍ واسعٍ من جميع شرائح المجتمع، وأبدع في رسم لوحات التغيرات التي طرأت على حراك المجتمع الجوفي، وعلى اقتصاده وبضائعه التي واكبت التحول الوطني الكبير آنذاك، والذي امتدّ معاصرًا شامخًا، وحقق الكاتب من خلال ذلك تشكيل صور المشاركة التي تمت هناك في إبداع سردي أخاذ، وفي محطة متوهجة من الذكريات، توجهت بوصلة الكاتب إلى حكايا أميرها المحب عبدالرحمن بن أحمد السديري الذي استوطنها أميرًا بتعيينٍ من قبل الملك عبدالعزيز رحمهما الله، لثمانٍ وأربعين سنة مورقة، رصد الكاتب قليل من كثيرها الوافر.

والإطار الجميل الذي أرادهُ الكاتب حين الحديث عن الأمير السديري، صنعته صفات أهل المنطقة التي استفاض الكاتب في ذكرها، والإحاطة بتأثيرها على نجاحات منظومة العمل المؤسسي، والمشاريع التنموية التي قدحها الأمير عبدالرحمن السديري، فأضاءت ما حولها (دار الجوف للعلوم والثقافة، وتعليم المرأة، وكان افتتاح أول مدرسة ١٣٨٢م والمدارس الصناعية والزراعية وغيرها، مما لا يمكن طرحه في هذه المساحة، وإلا.. فالكتاب



د. عبدالواحد الحميد

وثيقةٌ تاريخية واجتماعيةٌ، ومرآةٌ صادقةٌ للتحولات التي شهدتها الأجيال السابقة في الجوف.

ولقد أجاد الكاتب الطرح الودود الهادئ، وارتقى في سلالم الذكريات للجوف وأهلها بشمولية وفيض، واعتنى بالتفاصيل في وصف كل وسيلة اتخذها الجوفيون لاستقبال مسيرة الحياة، ولا ريب.. فالكاتبُ صاحب دار، وزائرٌ محبٌ، وعليمٌ بالكيل والسيل، حيث التحمتْ الوشائج بين مدينته ونفسه وجيله!

والكتاب في عموم محتواه رِكازٌ يستحق القراءة والبحث، ويُحمدُ للكاتب حين وقف واستوقفنا معه في ثنيات المكان، وعلائق الزمان، حتى أتانا اليقين بأن للجوف أدوارًا عُليا في صناعة عقولٍ وطنيةٍ غزيرةٍ يتصدرهم مؤلف الكتاب، معالي الدكتور عبدالواحد الحميد.

---

* كاتبة سعودية.

أبطال نجيب محفوظ

صلاح القرشي



الذين يعرفون نجيب محفوظ، يعرفون الكثير من أبطاله، كشخصيات تبدو وكأنها خرجت من أوراق الرواية، لتتحول إلى شخصيات من لحم ودم، تنبض بالحياة وتستعصي على النسيان.

وأعتقد أن هذا الأمر ينطبق على الكثير من الروائيين الكبار، فالكثير من الشخصيات التي أبدعوها تكاد تتحول إلى أسماء نعرفها ونتعامل معها، باعتبارها موجودة فعلاً، وليست مجرد شخصيات روائية.

"سي السيد" أحمد عبدالجواد بطل الثلاثية، مثال حيّ لشخصية مركبة وشديدة التناقض، من نوع الشخصيات التي نكرهها ونُحبها في الوقت نفسه.

في الثلاثية نفسها لا يمكن نسيان "كمال عبدالجواد"، ولعلها أكثر شخصيات نجيب محفوظ التي تلتقط جزءًا من سيرته الذاتية، وبخاصة مرحلة شبابه، وتعبر بشكل كبير عن صراع حقيقيٍّ عاشه بين الإيمان والعلم، وبين الرومانسية والواقعية.

في "ميرامار" لا يمكن نسيان شخصية "زهرة"، ومن خلالها عبّر محفوظ عن خوفه وقلقه على مستقبل مصر، تربص الرجال بزهرة البريئة والجميلة كان يرمز بشكل أو بآخر إلى تلك المخاوف، ويتنبأ بشفافية عالية بكثير مما حدث بعد ذلك، فيما "عامر وجدي" الرجل العجوز والمتأمل، الذي يحاول أن يدافع عن زهرة، يمثل ذلك الصوت الخافت الذي لا يسمعه أحد.

لا يمكن أن ننسى أيضاً شخصية "أنيس زكي" في "ثرثرة فوق النيل"، وهي واحدةٌ من أجمل روايات محفوظ، "أنيس زكي" الذي أراد أن يعالج إحباطاته الاجتماعية والفكرية من خلال الاغتراب الشخصي، حيث العوامة وتهويمات المخدر، ومن خلال فكرة العبثية واللامبالاة.. ذلك البطل الذي يدور حديثه دائما داخل نفسه، رسمه محفوظ ببراعة فائقة، واختار له أن يكون مثقفًا متخصصًا في التاريخ، ليبدو التاريخ في عينيه وهو في غياهب النشوة.. مثل سمكة كبيرة توقفت عن التهام العوامة، واختارت أن تغمز لها بعينها.

لا يمكن أن ننسى أيضاً "عاشور الناجي" وأبناءه وأحفاده في "الحرافيش"، الرواية التي ناقشت ببراعة مفهوم السلطة وتأثيرها، وفكرة العدل والصراع الطبقي.

ولا يمكن نسيان "عيسى الدباغ" بطل رواية "السمان والخريف"، ذلك الشاب الممتلئ بالأمل والطموح، والصاعد بسرعة ليكون نجمًا سياسيًا يتوقع له الجميع أن يصعد للوزارة في أول حكومة جديدة يشكلها الوفد، لكن الأحداث التي جرت بعد ذلك جعلت كل أحلامه وطموحاته تتهاوى، فيجد نفسه خارج العصر.. فيما يكتسح رجال آخرون المشهد، يخسر عيسى الدباغ مستقبله السياسي والعاطفي، وينجح محفوظ ببراعة في رسم حياته المترنحة واليائسة.

ويمكن لي أن أمضي في تعداد الكثير من شخصيات نجيب محفوظ التي بقيت تزخر بالحياة في العديد من رواياته الأخرى، لولا أن الموضوع هو.. إشارات فقط.

* كاتب سعودي.

